

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع اللغة والنحو والصرف

منهج العكبري في كتابه " إعراب لامية الشنفرى "
مع دراسة المسائل النحوية والصرفية فيه

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
تخصص النحو والصرف

من الطالب: علي يحيى محمد السرحاني
الرقم الجامعي: ٤١٩٨٤٣٢٠

إشراف الدكتور: محمد العُمـري

المجلد الأول

إهـــــداء

إلى أبويـن شـيخين كبـيرين أقـدم لهمـا ثمـرة مـن ثمـار غرسـهما وزهـرة مـن روض عطفـهما ..

وَقـُل ربِّ ارْحمْهُمَا كما ربياني صغيرا

وإلى أخوة شدوا على يدي ورعـوا هـذا الأمـل ، وبعثـوا فيَّ روح الصبر .. كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإلى أهل بيتي الأدنين الذيـن جنـدوا أنفسـهم خدمـة لي .. ورب ساع لقاعد .

وإلى الذين يعملون ويسعدهم أن يعمل غيرهم

بسم ا لله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، والحمد لله فاطر السموات والأرض ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولياً من الذُّل · سبحانه تنزه عن الشريك والمعين ، وتعالى عن التشبيه والتمثيل ·

خلق الخلق وحده ، فهم مربوبون له يتقلبون وفق مشيئته ، ويتصرفون بمقتضى حكمته وجبروته · فليس لأحد معه حول ، ولا مخلوق من خلقه قوة ، ولا راد لأمره، ولا معقب لحكمه · نسأله أن يوزعنا شكر نعمته ، وأن يلهم نفوسنا صلاحها وتقواها وأن يجنبنا ضلال الهوى وزيغَ القلوب ·

والصلاة والسلام على خير خلق ا لله ، سيدنا محمد بن عبدا لله ، دعوة أبينا إبراهيم اللهم صل عليه وسلم تسليماً كثيراً ثم أما بعد :-

فكان الشعر - ولا يزال - ديوان العرب ، ومن خلاله تصدر الأمه عن موروث خالد جاءنا منه قليله وضاع كثيره ، ولو جاءنا وافراً لوجدنا علماً وشعراً كثيراً ، ولن نعدم من ذلك الموروث أن نجد فائدة لغوية ، أو نكتته بلاغية ، أو مسألة نحوية ، فالشعر متعة الأديب ، وذوق البلاغي ، وحجة المفسر ، وسند الأصولي ، ودليل الفقيه ، وشاهد النحوي ، وميزان العروضي ، ووثيقة المؤرِّخ ، وخارطة الجغرافي ، ثم هو من قبل ومن بعد ، بوح العاشق ، ونفثة المصدور ، وحنين الغريب ، وهو وعاء صدور الرواة والنَّقلة ، سلمته أجيال إلى أجيال ، حتى أظل زمان التدوين ، وأخذ الشعر حظَّه منه ·

شأنه شأنَ علوم العرب الأخرى ، جمع بعناية فائقة ، شملت الشعراء والمشاهير ، وأصحاب الدواوين ، والشعراء الأغفال ، والمقلِّين · ومن هنا عكف اللغويون والنحاة على هذا الموروث الشعري الضخم ، يفاتشونه وينصبونه في ضبط قوانين

اللغة ، ومعرفة أصولها وضوابطها الكلِّية ، وكان لهم من الشعر قياس وسماع ، فما لم يضبطه القياس هُرع فيه إلى السماع وما لم يرد به سماع جاز نطقه بما يبيحه القياس . ويزداد أمر الشعر أهمية إذا علم أن علماء اللغة في الصدر الأول كانوا ملء السمع والبصر وقلب الحركة الشعرية، فهذا أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ إمام في اللغة والنحو ، وأحد القرّاء السبعة ، كان رواية لذي الرُّمة الذي يقال : إن شعره يمثل ثلث لغة العرب . ولا ينظر إلى ما يقوله بعض المحدثين من تشكيك في شواهد اللغة والنحو بناء على أن كثيراً منها قد جاء في الكتب مجهولاً غيرَ معروف القائل ؛ لأن جامعي اللغة وواضعي النحو لم يكونوا يحفلون كثيراً بتسمية قائل الشعر ، لا سيما أن صدور الشاهد المجهول قائلُهُ من ثقة يعتمد عليه يقبل . ومن هنا حرصت على اختيار موضوع يرتبط بالشعر ، ليشتمل على النحو النظري والتطبيقي ، فرأيت : " **شرح لامية العرب للعكبَري** " تفي بهذا الغرض ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً : انشراح الصدر لهذا الموضوع بعد استخارة الله تعالى وذلك في التفاف عند بيته المحرَّم .

ثانياً : تبوء لامية العرب في تاريخ الشعر العربي منزلة تزاحم منزلة المعلقات من حيث الشهرة ، وعناية العلماء بها وارتفاعها إلى ما ارتفعت إليه قصيدة كعب بن زهير " بانت سعاد " مع اختلاف بين القصيدتين ، ومن حيث الغرض ووفرة المادة اللغوية التي تميزت بها اللامية ، وقد بالغ الأدباء في إبراز أهمية اللامية حتى أنهم رووا عن النبي ﷺ قوله : " علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق " ، وهي وإن لم تثبت هذه الرواية إلاَّ أن ذلك يعكس مدى عناية العلماء وحفاوتهم بها حتى أنهم اعتقدوا أن العناية بها جاءت بتوجيه من الرسول ﷺ ،

وإن كانت نسبة ذلك إلى عمر رضي ا لله عنه أقرب لما لعمر ﷺ من إلماحات عجلى عن الشعر ونقده ٠

ثالثاً : أن لامية العرب من عيون الشعر العربي التي احتفل بها النقاد قديماً وحديثـاً ، وقد تناولها كثير من العلماء ، والأقدمين ، والمحدثين بالشرح والتحليـل منهـم ، الزمخشري إمام المشرق ، والعكبري إمام بغداد ، وابن زاكور إمـام المغـرب، وابـن عطاء إمام مصر ومكة ، وكل هؤلاء من النحويين القدامى ، كانت شـروحهم منـاراً للدارسين والباحثين٠ ونالت من الشـرح ، والتحليـل ، والتفسـير مـا لم تنلـه أيـة قصيدة أخرى ، فقد استمرت حركة الشروح للامية ، من القـرن الثـالث علـى يـدٍ ثعلب ، إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري على يدٍّ ابن التلاميذ ، وطيلـة هـذه القرون قل أن نجد قرناً يخلو من شرح لها إلى المعاصرين ٠

وقصيدة بهذه المنزلة حتما تلفت الانتباه وسيجد دارس النحو فيها بغيته ٠

رابعـاً : تجـاوز الاعتنـاء باللاميـة علمـاء العـرب إلى المستشـرقين ، فقـاموا يدرسـونها وينقلونها إلى لغاتهم ، وهي عندهـم مـن النصـوص العربيـة الأولى الـتي تـدرس في معاهدهم لتعلم اللغة العربية ، وتذوق جمال الأدب العربي ٠

ومـن اللغـــات المترجمـــة اليهـــا الإنجليزيـــة ، والفرنســية ، والألمانيــة ، والإيطالية٠٠٠ وغيرها ، وتنم أقوال المستشرقين فيها عن إعجاب بالغ من ذلك ما قاله كرنكو : " هي من أجمل أبيات الشعر العربي " وما قاله ردهـارس : " إنهـا أتم دراما استطيع تذكرها" ولا يقتصر تاريخ لامية العرب على ما كتب حولها مـن دراسات بل يمتد ليشمل ما أعقبها من لاميات نسبت للأمم الأخرى ، وهي لاميـة العجم ، ولامية الهند ، ولامية الاتراك ، ولامية الروم ٠

خامساً : أن قصيدة " لامية العرب " تقع ضمن عصور الاحتجاج ، لذا فقد أحصى الأستاذ عبدالسلام هارون ـ يرحمه ا لله ـ اثني عشر بيتاً من اللامية شواهد وجدها في كتب النحويين ، كالمحتسب ، وشرح المفصل ، ومغني اللبيب ، وشرح الأشموني ، والخزانة ، فضلاً عن اهتمام المعجمات اللغوية وكتبها بأبيات اللامية، وقد وجدت العسكري يستشهد بأبيات منها ، وابن فارس ، والفارسي ، وأبا عبيد البكري ، وأبا الفرج البصري، وأبا العلاء المعري ،وابن الشجري ، والرضي ، والمرادي ، والتبريزي ، وخالد الأزهري ، والشنقيطي ، والسيوطي٠

سادساً : أن لامية العرب برغم كثرة شروحها ، إلا أني لم أجد من تناولها من ناحية الدرس النحوي ـ فهي مطروقة من الناحية التاريخية ، والبلاغية ، والنقدية ـ مع أن النحويين على اختلاف مذاهبهم ، وعصورهم المختلفة ذكروا منها اثني عشر بيتاً في كتبهم المختلفة استشهاداً على قضايا نحوية أو صرفية ، ولهذا كان لابد من التصدي للامية من أفق جديد بتناولها من وجهة نحوية ٠

هذه هي الأسباب التي دفعتني لاختيار لامية العرب موضوعاً للدراسة ٠ أما أسباب اختيار شرح العكبري من بين الشروح فأوجزها في التالي :

أولاً : أن شرح العكبري حظي بعناية المحققين ، وهي عناية لم يحظَ بها غيره ، فقد نشر محققاً ثلاث مرات ، حيث حققه الدكتور محمد خير الحلواني سنة ١٤٠٣هـ، وهي الطبعة الأولى ، وحققه الأستاذ رجب إبراهيم الشحات ، كما حققه الأستاذ محمد أديب جمران سنة ١٤٠٤هـ وهو مناط البحث ، وشرح بهذه العناية جدير بأن تدرس مسائله ٠

ثانياً : أني وجدت في شرح العكبري أكثر من ثلاثين مسألة نحوية وصرفية أثارها حين شرح اللامية ، ومسائل بهذا العدد جديرة بالبحث والدراسة ٠

ثالثاً : أن العكبري يمثل عصراً نضج فيه النحو ، وهو علامة بارزة للدراسة النحوية ، وإليه انتهى العلم في زمنه في تسعة علوم ، وعلمه يعكس هضمه لمذاهب البصريين والكوفيين على السواء ، وإن مال للبصريين فقد فهم مذهب الكوفيين ، وهذا دليل بيِّن على علو كعبه في الدرس النحوي ٠

رابعاً : أن العكبري من العلماء الذين يتميزون بالتنوع سواء بدراسة الشعر أو دراسته القرآنية، أو في دراسته للحديث ، أو مسائل الخلاف ، فهو إمام في النحو والقراءة ، وملتقى لمجموع الفنون ، ولذا نسب إلى المذهب البصري وبعضهم نسبه للكوفي ، وبعضهم للبغدادي ، ولم يكن فيما ألف من كتب النحو يتخبط في آرائه، ويضرب على غير هدى ، بل كان صاحب مذهب ، ومن أصحاب الرأي في هذا العلم الذي كثر فيه الخلاف ٠

خامساً : عند الاطلاع على شروح هؤلاء العلماء ، وجدت أن الشاهد النحوي في هذه اللامية، يجب أن يأخذ قدراً كبيراً من الاهتمام ؛ حيث تناوله كثير من العلماء بين طيات كتبهم المختلفة إثباتاً لقاعدة نحوية ، أو صرفية ، ولم يكن الاستشهاد به مقصوراً على علماء مذهب معين بل تناوله علماء المشرق ، والمغرب في كتبهم المختلفة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، وتنوع ثقافاتهم ، ولهذا أردت أن أقوم بهذا العمل تتميماً للفائدة؛ حتى يلم القارئ بكل جوانب هذه اللامية من خلال شرح عالم نحوي كالعكبري ٠

وقد رأيت بعد أن جمعت المادة العلمية أن أتناول الموضوع في أربعة فصول مختومة بخاتمة أودعت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وذلك على النحو التالي:

الفصل الأول :

اللامية بين الشاعر والشارح ٠

وقد أدرت هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بلامية العرب :

حيث عرفت بها ، وبالباعث على نظمها ، وبسبب تسميتها كما تناولت نسبة القصيدة إلى قائلها ، ووقفت على الخبر الذي أورده القالي في أماليه والذي كان بمثابة الشرارة التي أوقدت نار الشك في نسبة القصيدة ٠ كما وقفت على الأدلة التي ساقها المشككون وتصديت للرد عليها وأبطلتها٠

المبحث الثاني : التعريف بالشاعر :

ترجمت في هذا المبحث للشاعر الشنفرى من حيث اسمه ، ونسبه ، وميلاده، ونشأته ، ومقتله ، وشعره ٠ واختلفت إلى أقوال العلماء حول اسم الشنفرى في الكتب التي ترجمت له ، واختلفت معهم جميعاً ، وأرتأيت أن لفظ " الشنفرى " أصبح من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى زيادة تعريف وتوضيح ، فهو علم فرد في التاريخ العربي قديماً وحديثاً ، ولم يشارك فيه شخص آخر ٠

المبحث الثالث : التعريف بالشارح :

ترجمت في هذا المبحث لشارح اللامية " العكبري " وتحدثت عن عصره، ونسبه، ومولده ، ونشأته ، وأخلاقه ، ومنزلته ، ومذهبه النحوي والفقهي ، وشيوخه، وشعره ، ووفاته ، ونسبة الشرح إليه ، ومصنفاته المطبوعة والمخطوطة، وقد آثرت عند التعريف بالعكبري أن أعرِّف بأبرز مشايخه ، وأشهر تلاميذه مستنطقاً عبارة ابن خلكان وهو يترجم للعكبري : " وانتفع به خلق كثير " ٠

وقد دللت عند الحديث عن مذهبه النحوي أنه بصري المذهب شديد التمسك بأصولهم يعتمد آراء أئمتهم ، وقد اعتمدت في ذلك على ما تيسر لي من مصنفاته المخطوطة[١] التي احضرتها من مظانها أثناء تجميع المادة العلمية ، وكذا مصنفاته المطبوعة ٠ وقد رددت مزاعم المحدثين الذين حاولوا نزعه من منبته من مذهب البصرة، ليغرسوه في مذهب بغداد ٠

وقد أثبت نسبة الشرح إلى العكبري على الرغم من أن مصادر ترجمة العكبري على وفرتها وعنايتها باستقصاء آثاره مهما قل شأنها ، وحجمها لم تذكر الشرح ضمن مصنفاته ٠ كما أثبت للشرح مخطوطاً أقدم من المخطوط [٢] الذي اعتمد عليه محقق اللامية إلا أن عوادي الأيام لم تسمح بقراءة التاريخ إلا خمسين وستمائة وما اعتمد عليه محقق اللامية شرح مخطوط سنة ٦٩٤هـ ٠

الفصل الثاني :

أثر اللامية في الدرس اللغوي وأهم شروحها

وبينت في هذا الفصل جهود اللغويين والنحويين الذين قدموا دراسات تتصل باللامية ، وقد جعلته على مبحثين :

المبحث الأول : عناية اللغويين والنحويين باللامية ٠

المبحث الثاني : منهج العكبري في شرح اللامية موازناً بالشرحين التاليين:

١) أعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري ٠

٢) نهاية الأرب في شرح لامية العرب ٠ لابن عطاء المكي ٠

---

(١) عاينت جل مصنفات العكبري المخطوطة أثناء تجميع المادة العلمية للموضوع ، وقد أفردت لذلك جزءاً تناولته عند الحديث عن مصنفات العكبري المخطوطة ٠

(٢) أحضرته من دار الكتب المصرية ورقمه هناك ٥١٠٣/أدب ٠

وقد أقمت الموازنة على النحو التالي :

أولاً : طريقة التأليف ٠

ثانياً : المصادر ٠

ثالثاً : الشواهد ٠

رابعاً : المسائل النحوية والصرفية التي تميز بها كل شرح ٠

خامساً : الخصائص العامة لكل شرح ٠

وحرصت على هذين الشرحين لما بين صاحبيهما من اشتراك في الدرس النحوي، فالزمخشري إمام ـ المشرق ، إمام في التفسير ، وابن عطاء إمام في مكة ، ومصر ، وصاحب حسٍ نحوي وبلاغي ٠

وقد استبعدت من الموازنة الشرح المنسوب للمبرد خطأ ـ والمطبوع بهامش شرح أعجب العجب سنة ١٣٠٠هـ ـ للأسباب التالية :

أولاً : إغفال الشرح للإشارات النحوية والصرفية في القصيدة ، والتي تغري بالشرح٠

ثانياً : تركيز الشرح على الجانب التفسيري لمعاني الكلمات في أبيات اللامية فقط٠

ثالثاً : إهمال الشرح لقضايا الإعراب فهو لا يعرج على شيء من ذلك ٠

هذا الخلط في النسبة للمبرد ، واحدة من جملة الاختلاطات السيئة التي رافقت الحركة العلمية التي نشطت في العصر الحديث ٠

وهذا الشرح ليس للمبرد في شيء وإنما هو لأحد تلاميذ ثعلب على الأرجح ؛ فقد اختلط كلامه بكلام شيخه على غرار ما نجد في نوادر أبي زيد وغيره من كتب التراث٠

كما استبعدت من الموازنة شرح ابن زاكور للسببين التاليين:

أولاً: اعتماد ابن زاكور على الجانب البلاغي فقط، فهو يهتم بالتشبيه والاستعارة والدلالة البلاغية، وكثيرًا ما نجد ذكرًا للسكاكي والعسكري وغيرهما.

وثانيًا: خلو الشرح من المسائل النحوية والصرفية.

الفصل الثالث: المسائل النحوية:

وقد درست المسائل النحوية على النحو التالي:

أولاً: قمت بعرض البيت الذي أعربه العكبري ثم سقت أدلة العكبري النقلية العقلية لإعراب البيت.

ثانيًا: تناولت رأي العكبري مفصلاً في المسألة وشرحت مذهبه، وأوردت حجته التي بها أعرب البيت.

ثالثًا: بينت أصالة رأي العكبري أو تأثره بمن سبقه، مع ذكر أسماء أشهر نحاة العربية اللاحقين الذين تمسكوا برأي العكبري.

رابعًا: قارنت بين أقوال العكبري في إعرابه للأبيات مع آرائه المبثوثة في كتبه بغية الكشف عن تمسكه برأيه أو تراجعه، أو تأثره بمن قبله.

خامسًا: ألمحت إلى كتب النحاة الذين استشهدوا على قضايا نحوية أو صرفية بأبيات من اللامية وذلك حسب المسألة المدروسة وحسب البيت المعرَّب.

سادسًا: عاينت كتب الأعاريب عند دراسة المسائل، مع ذكر رأي العكبري فيها عند اتصال المسائل بآية قرآنية أو حديث كريم.

سابعًا: ربطت بين المسائل المدروسة وبين مادة المصادر والمراجع، ومن ذلك كتب الضرورات حيث عدت إلى معظمها عند ورود كلمة "ضرورة" وكذا كتب الأدوات ... وهذا من نص الحديث إلى أهله.

ثامناً : لم أغفل ما قد يقال في المسألة من أقوال أخرى مخالفة لما عليه العكبري بل درستها معزوة إلى أصحابها ذاكراً أدلة أصحاب كل رأي وما قد يعترض عليها منها ٠

تاسعاً : خلصت بعد ذلك لترجيح ما أراه راجحاً مقوِّيا ما أقول بما توفرَّ لي من أدلة وبراهين ٠

وكنت في كل مسألة من مسائل اللامية أقوم بالتالي :

أولاً : رتبت المسائل حسب ترتيب ألفية ابن مالك ٠

ثانياً : رقمت مسائل البحث ترقيماً متسلسلاً حتى يسهل العودة إليها إذا احتيج إلى ذلك ٠

ثالثاً : أحلت كل مسألة إلى مظانها النحوية قبل الدخول في دراستها وذلك بوضع رقم لها في الحاشية بغية تهيئة القارئ للمسألة وإعلامه بأصالتها في الدرس النحوي ٠

رابعاً : عند تناول المسألة في البيت المعرَّب استدل حسب الحاجة بأبيات من الألفية مع الدقة التامة في نقلها ٠

خامساً : أشرت في الحاشية عند كل مسألة إلى مظانها في كتب النحو وتدوين ماله صلة وثيقة بالمسألة المعروضة ، كي يتيسر لمن شاء أن يجمع شتاتها في سهولة ويسر ويضم ـ بغير عناء ـ فروعها ، وما تفرق منها في مناسبات وموضوعات مختلفة ٠

سادساً : أرجعت الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن بذكر اسم السورة ثم رقم الآية، مع ضبطها بالشكل ٠

سابعاً : عزوت القراءات القرآنية إلى أصحابها ، ووثقتها معتمداً على كتب القراءات والتفاسير ٠

ثامناً : خرَّجت الأحاديث الشريفة من كتب السُّنَّة ٠

تاسعاً : خرَّجت الأمثال وأقوال العرب من مظانها ككتب الأمثال والمصنفات العربية القديمة والمأخرة ٠

عاشراً : نسبت الأبيات إلى قائليها ، مشيراً إلى رواياتها ، وإرجاعها إلى أهم مصادرها وفي مقدمتها الدواوين والمجموعات الشعرية وكتب النحو واللغة ، ورتبتها حسب وفيات أصحابها بعد ذكر الديوان مع ضبطها بالشكل ، وشرح ما تدعو الحاجة إلى شرحه من مفرداتها ٠

الحادي عشر : ترجمت باختصار للأعلام من النحاة غير المشهورين ، وتركت ما عداهم من الشعراء مما ذاع صيتهم في صناعة النحو ، وليست اسماؤهم بغريبة على المتخصصين ٠

الثاني عشر : اجتهدت في توثيق آراء النحاة ورددتها إلى مصنفاتها ، إلا إذا تعذر ذلك فإني أحيل رأي العالم إلى مصادر النحو الأخرى ٠

الفصل الرابع :

دراسة المسائل الصرفية

درست المسائل الصرفية التي وردت في اللامية وذلك على النحو التالي :

أولاً : عرضت البيت الذي أعربه العكبري والذي تقع فيه المسألة الصرفية ٠

ثانياً : تناولت رأي العكبري مفصلاً في المسألة ، وشرحت مذهبه فيها ٠

ثالثاً : عولت على الكتب الأصيلة في فن التصريف وعلمائه ٠

رابعاً : ألمحت إلى كتب النحاة الذين استشهدوا على قضايا نحوية أو صرفية بأبيات من اللامية وذلك حسب المسألة المدروسة وحسب البيت المعرب ٠

خامساً : أشرت في الحاشية عند كل مسألة إلى مظانها في كتب النحو وتدوين ما له صلة وثيقة بالمسألة المعروضة ، كي يتيسر لمن شاء أن يلم شتاتها في سهولة ويسر

ويضم – بغير عناء – فروعها، وما تفرق منها في مناسبات وموضوعات مختلفة.

سادسًا: عرَّفت عند الحاجة بالمصطلحات الصرفية التي تذكر عرضًا ضمن دراسة المسألة ضمن البيت المعرب، وذلك لجعل المسألة بجميع أجزائها في متناول القارئ مع إشارة مظانها التي بسطت القول فيها.

وقد آثرت تقديم المسائل النحوية في الدراسة على المسائل الصرفية لأمرين:

الأول: تأثرًا بمنهج الأقدمين في الدرس النحوي، ثانيًا: ضآلة المسائل الصرفية التي ذكرت في اللامية. ولم أسر في ركاب اللغويين المحدثين الذين يرون إدراج النحو والصرف تحت قسم واحد.

الخاتمـــة:

وأودعت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ثم ذيلت ذلك بفهارس عامة على النحو التالي:

أ) فهرس الآيات القرآنية.

ب) فهرس الأحاديث النبوية.

ج) فهرس الآثار، والأمثال.

د) فهرس الأشعار.

هـ) فهرس المسائل النحوية والصرفية.

و) فهرس المصادر والمراجع.

ز) فهرس الموضوعات.

وبعد : فلما كان من المُسَلَّم به أنه ، لم يَعْرَ خَلْقٌ من السهو والغلط فالكمال لله وحده ، والنقص شامل للمخلوقين ، فهذا عملي يحتاج إلى نظر عالم جليل يصوبه، يأخذ بيد كاتبه ليصنعه على عينه ، ليرتقيَ إلى مسالك النهابهين ، ومدارج الطالبين ٠

وحسب هذا البحث أنه الخطوة الأولى في سبيل دراسة هذا الموضوع وأرجو أن تتلوها خطوات تكمل ما فيه من نقص ، وتقوِّم ما قد يكون فيه من عِوَج ، وحسبي أني شققت الطريق بين يدي هذا البحث إذ لم تسبق دراسة المسائل النحوية في لامية العرب ٠

وهنا أسجل شكري وتقديري للأستاذ الدكتور رياض الخوام ، المرشد الأكاديمي أثناء دراستي ، والذي شملني بحسن رعايته وكريم أدبه ، والذي تلقفني في مرحلة الطلب الأولى،وأشرف على وضع خطة البحث والتصور الأولي له.

كما أشكر الأستاذ الدكتور محمد أحمد العُمري الذي تولى الإشراف عليَّ إتماماً لإشراف الدكتور رياض الخوام ، فأعاد قراءة الخطة ، أولا وقراءة ما كتبت من فصول في الرسالة في زمنها الأول ، ولم يدخر وسعاً في إرشادي ، لمست منه كرم الوفادة ، واعتدال الرأي ، واتزان الحكم ، فهو معين علم وسلسبيل معرفة ، فله من ا لله جزيل الثواب ٠

كما أشكر أساتذتي الكرام ، على إشرابهم إيايَّ حبَّ هذه اللغة فكنت أرى كل واحد منهم جبلاً من العلم ، وجميلهم في رقبتي لا ينزعه إلا غاسلي ٠ وحقاً : "العلم رحم بين أهله " ٠

وا لله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يثيب عليه ٠ وا لله من وراء القصد وهو ولي التوفيق ٠

الباحث

علي يحيى محمد السرحاني

الفصل الأول

اللامية بين الشاعر والشارح

المبحث الأول :

التعريف بلامية العرب

تعدُّ لامية العرب من أفضل نماذج الشعر الجاهلي عامة ، وشعر الصعاليك خاصة ، وذلك لما حَوَتْهُ من مميزات أساسية ، في إبراز حياة الصعلوك وخصاله في الفروسية والبطولة ، واليأس من الجماعة الإنسانية .

وقد حرِصَ فيها الشاعر على رسم شخصيته ذاتياً وخارجياً ، معجباً بقوته النفسية والجسدية ، مفضلاً مواجهته لتحديات الطبيعة وسرعة شَنِّه للغزوات في الليل والنهار ، و " القصيدة حافلة بالصور الحسِّية المباشرة ، غنِّية بالإيقاع الموسيقي الذي يكاد يُعيد لنا صفحة من الحياة النادرة لأولئك الفرسان المشردين، على الرغم من أن هذه القصيدة قد حَفِلتْ بموضوعات كثيرة إلاَّ أنّها حافظت على وحدتها في المحور الذي تدور حَوْلَه ، وهو محور شخصية الشاعر التي عرضها صاحبها من مختلف جوانبها النفسية ، والحركية بإطار فني رائع "[١] .

ويبدأها الشاعر بالتأهب للرحيل عن قومه ؛ لأن في الابتعاد منأى للكريم عن الأذى ، وذلك واضح من البيت الأول :

أقيموا بني أميّ صَدورَ مَطِّيكم   فإنـي إلى أَهْلٍ سواكم لأَمْيَلُ

وفي البيتين الثالث والرابع[٢] في قوله :

وفي الأرض منْأىً للكريم عن الأذى   وفيها لِمَنْ خافَ القِلَى مُتَحَولُ
لَعَمْرُكَ ما بالأرض ضِيقٌ على امرئٍ   سَرَى رَاغِباً أو رَاهِباً وهو يَعْقِلُ

وتظهر في القصيدة شخصية الشاعر الشجاع المفتخر بنفسه وبأعماله ، فليس من المولعين بالنساء وليس بالجبان ، ولا الأوغاد القليلي الخير ، أو الجاهلين بمخارم الأرض وهنا يصف جلده على الأسفار واحتماله وعوثة الطريق[٣] :

(١) انظر : موسوعة الشعر العربي ، مطاع صفدي وإيليا حاوي ج١/٦٣ .
(٢) المنازل والديار ، أسامة بن منقذ ج١/٣٥٧ .
(٣) انظر : أدب العرب ، مازن عبود ص٥٦ .

إِذَا الأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لاقَى مَنَاسِمِي   تَطَايرَ مِنْــــهُ قَــادِحٌ وَمُفَلَّــلُ

أما الجوع فيقول بشأنه :

أُدِيمُ مَطَالَ الجُوعِ حتَّى أُمِيّتَــهُ   وَأَضْرِبُ عَنْه الذِكْرَ صَفْحاً فَأُذْهَلُ

والباعث على نظم هذه القصيدة تحمل الشاعر إهانة أهـابت بنفسـه العزيـزة أن يترك أهله ويهيم على وجهه مع الوحـوش ، وقـد نظـم هـذه القصيـدة يعـاتب قومه مفتخراً بانفراده في البراري ومصاحبته للسباع ، ويفضل السـباع علـى النـاس ولكنه يُفضل نفسه على تلك الوحوش وهو يفترش الأرض ، ويستغني عن الجميـع بقلبٍ مشَّيع ، وسيفٍ صقيل وقوسٍ طويلة[١] :

ثَلاَثَةُ أَصْحَابٍ فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ   وَأَبْيَضُ إِصْلِيْتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَــلُ

وتثير هذه القصيدة قضيةً ذات بـال في الأدب العربـي ، مـن حيـث التنـازع عليها وبين العرب ، والعجم ومعنـى ذلـك أنهـا ليسـت قصيـدة عاديـة أو يسـيرة الشأن ، فالواقع أنها درة لامعة في الأدب العربي كله ، وقد تكـون هنـاك قصـائد أُتيح لها دور كبير أو صغير من الشهرة والذيوع لارتباطها بأحداث معينة ، ولكـن لا تُعرف قصيدة أخرى في الشعر العربـي كلـه تنـافس لاميـة العـرب في موضوعهـا بالذات ، وفي مقدرتها على تصوير لون من الحياة العربيـة هـي حيـاة الصعلكـة ، وعلى التعبير عن حياة طائفة من المجتمع العربي وهم الصعاليك[٢] .

(١) تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ص٧٣ .

(٢) شرح لامية العرب للشنفرى ، شرح ودراسة ، الدكتور عبدالحيم حفني ، ٥٦ .

" والقصيدة تُمثل الجانب الجاهلي تمثيلاً صادقاً ، وصفاً لمظاهرها العربية من صحراء ووديان وحيوان ثم وصفاً للزاوية الأخلاقية لأعراب الصحراء ، فإذا ما تعمقنا في هذه القصيدة تعمقاً داخلياً لوجدنا أنها نابعة من حياة العرب في باديتهم وتصور كل ما يدور في خيالهم من الغزو والسلب ووصف الحيوان وكثرة الألفاظ الخشنة والغريبة فيها "(١) ٠

أما تسميتها " لامية العرب " فلأن قافيتها لام ٠ لكننا لا نعرف من أطلق عليها هذا الاسم ؟ ومتى أطلق ؟ ولماذا أُختصت هذه اللامية دون غيرها بهذا الاسم؟ مع وجود عدد كبير من القصائد ـ لشعراء الجاهلية والإسلام المعروفين ـ من ذوات قافية اللام(٢) فقد ترك النابغة أربع لاميات ، منها اثنتان طويلتان لكل واحدة منها ثلاثون بيتاً ، وترك عنترة لاميتين إحداهما طويلة في ثلاثين بيتاً ، وخلَّف طرفة ثلاث لاميات ، ونظم زهير بن أبي سلمى خمساً ، وأنشد علقمة واحدة ، وامرؤ القيس ترك لنا خمس عشرة لامية بينها معلقته في ستة وسبعين بيتاً ٠ وفي صدر الإسلام ترك كعب بن زهير لاميته المشهورة التي مطلعها :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيومَ مَتْبُولُ

لكن كل هذه اللاميات لم تبلغ في شهرتها مبلغ ما وصلت إليه لامية الشنفرى التي فرضت على الأدباء ، والشعراء هذا الاسم بكل فخر فصارت

---

(١) الشنفرى شاعر الصحراء الأبي ، د٠ محمود أبو ناجي ، ١١٩ ٠

(٢) انظر من عيون الشعر ، اللاميات ، د٠محمد إبراهيم نصر ٠

"لامية العرب " ، وتوجد لامية أخرى هي لامية العجم للطغرائي[1] ، والمدة بين اللاميتين طويلة جداً ، فإذا كانت لامية العرب ، قد قيلت قبيل فجر الإسلام ، فإن لامية العجم ، نظمت في غضون تاريخ ١١٢٠م وعليه فإن المدة بين نظم الاثنتين تقرب من (٥٠٠) عام[2] .

ولم تكن لامية العرب إلاَّ أنموذجاً صادقاً لشاعرية الشنفرى ومن خلالها لمعت شاعريته حيث تشير الأخبار أن الأصمعي كان عند الرشيد في يوم شديد البرد ، فدخل عليه سعيد بن سلم[3] ، فاستنشده شعراً في البرد فأنشده فقال الرشيد : غير هذا ، فأنشده الأصمعي شعراً آخر فقال الرشيد : أريد أبلغ من هذا، فأنشد الأصمعي هذا البيت :

وَلَيْلَهِ قِرٍّ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وَأَقْطُعَهُ اللاَّئي بها يَتَنَبَّلُ

فقال الرشيد : يا أصمعي حسبك ، ما بعد هذا شيء[4] .

بل تشير المصادر إلى أقدم من ذلك ، فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: " علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق "[5] .

---

(١) الحسين بن علي بن عبد الصمد المعروف بالطغرائي ٥٣٣ المنعوت بالأستاذ وهو من أسرة عربية تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي على الأرجح وقد ولد عام ٤٥٣هـ في (جَيّ) من أعمال أصبهان وعاش في ظل الدولة السلجوقية ٠ انظر لامية الأدب فضل ا لله الأنصاري ص٨ ٠ والغيث المسجم في شرح لامية العجم ، صلاح الدين الصفدي ١٦/١ ٠

(٢) لامية العرب ، نشيد الصحراء لشاعر الأزد الشنفري ، ص٢٨ ٠

(٣) هو سعيد بن سلم بن قتيبه الباهلي ، تولى بعض الأعمال بمرو ، وقدم بغداد وحدَّث بها ، فروى عنه محمد بن زياد بن الأعرابي ٠ وكان سعيد عالماً بالحديث والعربية ، لكنه كان لا يبذل نفسه للناس ٠ انظر تاريخ بغداد ص٤٦٥ ٠

(٤) نور القبس ، لليغموري ، ص١٣٤ ٠

(٥) الشنفرى شاعر الصحراء الأبي ، د٠ محمود أبو ناجي ، ص١١٩ ولامية العجم ، ١/٢٧ ٠

وبالغ بعض الأدباء في أهمية هذه اللامية كثيراً ، حتى أن بعضهم لفّق حديثاً نسبه إلى الرسول ﷺ ، فادَّعوا أنه قال : " علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق "[١] .

ولعل هذا مما يعوزه الدليل ، وما هو إلاَّ دافع الترغيب للالتفات إلى الكنوز الأدبية التي نفض عنها المستشرقون غبار الاهمال وكآبة الانزواء ، ومسابقة في كشف الموروث الأدبي القديم وأنه ليس بمعزلٍ عن نظر الأجيال فقد دعا النبي عليه الصلاة والسلام إلى تعليمها وكذا عمر رضي ا الله عنه على حدِّ زعمهم .

وما أكثر هذه الأخبار التي لا تظهر إلاَّ في المناسبات والتي هي أوهن من بيت العنكبوت ، وإذا كان إحياء التراث الأدبي المجيد يقوم على الابتذال والإسفاف في النقل والرواية فهو جرح غائر في جسم التاريخ الأدبي ، وينسحب على جميع مفاخر الأدب العربي كلها .

إلاَّ أنه في حكم المسلَّم به ما ذكره السيوطي : " وقال السَّاجي : سمعت جعفر بن محمد الخوارزمي يحدّث عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال : قرأتُ شعرَ الشنفرى على الشافعي بمكة "[٢] .

ومن المسلَّم به أيضاً أنه لا يعرف قصيدة أخرى في الشعر العربي كله تنافس لامية العرب في موضعها بالذات ، وفي مقدرتها على تصوير لون من الحياة العربية وهي حياة الصعلكة والصعاليك . ومن أجل ذلك تناولها عدة من علماء العرب

---

(١) اعراب لامية الشنفرى ، إملاء أبي البقاء عبدا لله بن الحسين العكبري ، تحقيق وتقديم محمد أديب جمران ص٣٦ .

(٢) المزهر ١/١٦٠ ، وتاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين ٢/٤٩ .

القدامى بالشرح كالمبرد[١] ، والزمخشري ، والعكبري ، والتبريزي ، وفتن بها المستشرقون أيما فتنةٍ ، فترجمت إلى الإنكليزية ، والفرنسية ، والإيطالية والألمانية[٢]، والبولندية[٣] . وتنم أقوالهم فيها عن إعجاب بالغ ، فقال عنها ردهارس : " إنها أتم دراما أستطيع تذكرها"[٤] وقال عنها كرنكو : " هي من أجمل أبيات الشعر العربي" [٥] .

وقد ظلت اللامية منذ الجاهلية حتى عصرنا الحاضر مشهورة بأنها للشنفرى، وقد تناولها عدة من جلّة العلماء بالشرح والإعراب ، ولم يبدوا أي شك أو إشارة إلى أنها نسبت إلى أحدٍ من الشعراء غير الشنفرى[٦] عدا آراء ليست بذات أهمية كالزَّبيدي الذي نسبها خطأً إلى تأبط شراً[٧] وأبي رياش القيسي[٨] الذي عدها من الشوارد التي لا يعرف صاحبها[٩] وإلى ذلك ذهب جابر يللي زاعماً أن ناظمها شخص آخر غير الشنفرى لم يصل إلينا اسمه[١٠] .

---

(١) ينسب للمبرد شرح للامية ولا تصح هذه النسبة ، لما بيّن المبرد واتجاهاته النحوية ، وبيّن ضآلة المادة المشروحة بها اللامية . وسنذكر السبب في عدم صحة نسبة هذا الشرح للمبرد في الفصل الثاني : أثر اللامية في الدرس اللغوي وأهم شروحها .

(٢) مجلة المنهل العدد ٥٥٠ المجلد ٦٠ ، صفر ١٤١٩هـ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٥/١٣ .

(٤) مجلة المقتطف ١٨٧/٦ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٥/١٣ .

(٦) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ص ١٦٢ .

(٧) تاج العروس ١٩٦/٨ .

(٨) اسمه في معجم الأدباء وغيره أحمد بن إبراهيم الشيباني ، وسماه السيوطي في البغيه إبراهيم بن أحمد، كان من الحافظ ، ومن رواة الأدب ، توفي سنة ٣٤٩هـ. انظر بغية الوعاة : ٤٠٩/١ ، معجم الأدباء.

(٩) مجلة المنهل العدد (٥٥٠) المجلد (٦٠) ١٤١٩هـ .

(١٠) المصدر السابق ص٥١ .

وهذه الغمزات الأدبية والآراء الضعيفة شائعة في الأدب العربي حول كثير من الشعر ، ولكنها لم تؤثر في الاتجاه العام للنقاد والأدباء ؛ بمعنى أن كثيراً من القصائد غير اللامية نسبت في رأي ضعيف أو في إشارة عابرة إلى غير شاعرها ولكن شهرة القصيدة في نسبتها لقائلها ، ومعرفة عامة العلماء لمصدرها ورواتها ، لم يجعل لمثل هذه الآراء الضعيفة قيمة ولا تأثيراً في الاتجاه العام ، إلاَّ أن بعض المستشرقين أثار الشك في نسبتها إلى الشنفرى ، وجعل من هذا الشك موضوع دراسة واهتمام ومن أولئك المستشرق كرنكو الذي يزعم أنه تتبع آراء قدامى اللغويين في شكهم هذا، ويرد الدكتور عبدالحليم حفني على هذا التتبع المغلوط بقوله : " في حين أننا لا نعلم أن أحداً في تاريخ الأدب العربي منذ الجاهلية نفى اللامية عن الشنفرى إلاَّ ابن دريد في رواية القالي من أن ابن دريد حدَّثه أن هذه اللامية لخلف الأحمر "[١] .

وقد لقيت آراء كرنكو صدىً واسعاً في صفوف الباحثين ، فيذهب الدكتور يوسف خليف يتلقف رأي المشككين في اللامية ، فيزعم أنها منحولة على الشنفرى وذلك بفعل خلف الأحمر[٢] . مع أنه من المسلَّم يقيناً عند النقاد والعلماء والشرَّاح العرب في كل العصور نسبتها إلى الشنفرى دون شك ، وبإجماع ، إلاَّ ما جاء في رواية ابن دريد : قال أبو علي القالي : " كان أبو محرز[٣] أعلم الناس بالشعر واللغة ، وأشعر الناس على مذاهب العرب : حدثني أبو بكر بن دريد أن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها :

---

(١) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ص١٦٣ .

(٢) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د.يوسف خليف ، ١٧٧ ، ١٧٩ .

(٣) كنية خلف الأحمر .

أقيموا بني أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فإنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمُ لأَمْيَلُ

له ، وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول ، فكان أقدر الناس على قافيةٍ "[١] .

وهذه الرواية عند ابن دريد عُوِّل عليها وجعلت منفذًا رحبًا للنيل من اللامية ونزعها من الشنفرى وإلصاقها بخلف الأحمر وذلك بحجة أن ابن دريد كان قريب عهد بخلف فهو أكثر صلة بالروايات ، ولعل هذا مما اعتمد عليه كرنكو ورأى العلماء الأولين لم يكن لهم علم بهذه القصيدة ، فابن قتيبة لم يذكرها في كتابة الشعر والشعراء ، كما لا توجد أية إشارة إليها في كتاب الأغاني[٢] . أما الدكتور يوسف خليف فيعتمد على ملحظ تاريخي ينطلق من خلاله ويقطع به حيث يقول : "إن لسان العرب على كثرة ما نقل من شعر الصعاليك لم يرد فيه أيُّ ذكرٍ لها ولا أي بيت منها ، وبدأت كفة الشك في صحة نسبتها إلى الشنفرى ترجح"[٣] .

ثم يقول : " هذا من الناحية التاريخية أما من الناحية الفنية ، فإن أول ما يلفت نظرنا أن هذه اللامية طويلة طولاً ليس مألوفاً في شعر الصعاليك ؛ لأن شعر الصعاليك كان في مجموعه شعر مقطوعات ، فهذه اللامية تبلغ ثمانية وستين بيتاً، في حين لا تزيد أطول قصيدة في " ديوان الصعاليك " وهي تائية الشنفرى على خمسةٍ وثلاثين بيتًا في بعض المصادر"[٤] .

(١) الأمالي ١/١٥٦ .

(٢) مجلة المنهل العدد ٥٥٠ ، والضمير في " له " يعود على خلف الأحمر .

(٣) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ١٧٨ .

(٤) المرجع السابق .

ولنا أن نتساءل هل الناحية الفنية في النقد الأدبي سيف مُصْلَت على رقبة العمل الأدبي فيلجأ الناقد بحكمة على إظهار الأدلة الفنية ، فيسحب رصيد الشاعر لمجرد طول قصيدته غير المألوف أو لعدم ورود ألفاظ منها في المعجمات اللغوية ، بل ربما حكم الناقد على العمل الأدبي المميز بأنه ظاهرة ليست مألوفة في أعمال الشاعر مما يترتب على ذلك تقويض الأساسات ونقض المسلّمات ، وهذا ما نلحظه في رأي الدكتور يوسف خليف في اللامية ، حيث يقول : " ... ونلاحظ قلة الاضطراب في رواية ألفاظها وفي ترتيب أبياتها وهي ظاهرة ليست مألوفة في شعر الصعاليك ، لأن أول ما يميز شعر الصعاليك الاضطراب في رواية ألفاظه وترتيب أبياته ، وإذا أضفنا إلى هذا ما لاحظه كرنكو من قلة أسماء المواضع والأشخاص فيها ، وهي ظاهرة ليست طبيعية في قصائد الشعر العربي المبكرة ، زادت كفة الشك في صحة نسبة هذه اللامية إلى الشنفرى في الرجحان"[١] .

وتلك الأدلة التي ساقها " كرنكو " و " الدكتور يوسف خليف " حول نحل خلف الأحمر لامية العرب على الشنفرى يمكن مناقشتها والرد عليها وذلك من خلال التالي :

(١) إن قول خلف الأحمر الشعر ونحله الشعراء المتقدمين مما يوهم ويوقع في المشاكلة بين كلامه وكلامهم لا يتأكد في لامية الشنفرى وذلك ما لاحظه جورج يعقوب : "ولكن قصائد خلف الأحمر تحتفظ دائماً بعمود الشعر القديم وطابعه ، أما في لامية الشنفرى فيواجهنا مذهب شعري مستقل ، فعلى حين يجعل الشاعر الجاهلي وصف الطبيعة من الجبال والفيافي وغيرها عرضاً مقصوداً لذاته يتخذ شاعر اللامية

(١) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ١٧٨ .

هذا الوصف بمثابة منظر أساسي بهيج لتصوير الإنسان نفسه وأعماله "[١] .

(٢) إنَّ رواية القالي وابن دريد تصريح بمعرفتهما أن هذه اللامية منسوبة إلى الشنفرى ، وأن هذه النسبة هي الأصل ، وأن الشيء الطارئ هو محاولة انتزاعها من الشنفرى، وما كان للقالي التعليق على رواية ابن دريد وإنما كان يريد أن يستقصي كل ما وعته ذاكرته مما حدَّثت به العلماء عن خلف فقال فيما قال : حدثني أبو بكر بن دريد أن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها :

أقيموا بني أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ   فإنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمُ لأَمْيَلُ

له ، وهي من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول ، فكان أقدر الناس على قافية "[٢] .

والرواية تحمل طابع الضعف وتوحي بعدم الصحة ؛ لأن الرواية بدون سند فلم يحدثنا القالي أن ابن دريد روى هذه الرواية عن أحدٍ ، مع أن القالي من أدق العلماء في التزام سلسلة الرواة فهو يلتزم دائماً عند حديثه المشافة مع معاصريه أن يذكر سلسلة الرواية كاملة[٣] .

ومن ثم فإن ملابسات هذا الموقف تحملنا على أن نتصور أن القالي وقع في شيء من اللبس فيما بينه وبين نفسه عند نقله هذه الرواية ، فأغلب الظن أن ابن دريد لم يقل هذا المعنى بهذه الصورة ، وإنما قال كلاماً مضمونه أنه سمع من يزعم أن لامية الشنفرى من صنع خلف الأحمر ، فهو مجرد ناقل لزعم أو ادِّعاء ، لكن القالي حين دونها التبس عليه الأمر أو طال عهد ذاكرته بالحديث فنسي ، وظن أنه رأى لابن دريد ، ونقله على أنه رأى زعم أو ادِّعاء[٤] .

(١) تاريخ الأدب العربى ، بروكلمان ١٠٦/١ .
(٢) الشنفرى الصعلوك ، د٠عبدالحليم حفنى ٨٧ .
(٣) شعر الصعاليك ١٦٤ .
(٤) الشنفرى الصعلوك ٨٨ .

يعضد ما سبق أن القالي نفسه روى هذه القصيدة للشنفرى دون أن يذكر انتحالها[١] .

ويضاف على هذا أن لابن دريد نفسه شرحاً على لامية العرب[٢] ومن غير المعقول أن يشرح ابن دريد قصيدة يعتقد بانتحالها ، وأنها ليست من شعر الجاهلية في شيء[٣] .

كما أن ابن طيفور ـ أحد علماء القرن الثالث الهجري ـ والذي لا يفصل ولادته عن وفاة خلف إلا ربع قرن[٤] قد اختار قصيدة لخلف الأحمر في كتابه "المنثور والمنظوم "[٥] واختيار ابن طيفور لامية العرب ونسبتها للشنفرى مما يوحي بأنه على معرفة تامة بشعر خلف إذ اختار له قصيدة ، ولو كان ابن طيفور على علم بانتحال خلف للامية لأشار إلى ذلك لقرب عهده بخلف أكثر من ابن دريد[٦].

(٣) إن الأصفهاني وصاحب لسان العرب على كثرة ما ذكرا من شعر الصعاليك لم يتعرضا للامية ومعنى ذلك أنها ليست للصعاليك ، وللرد على ذلك من خلال التالي:

(أ) أما عن الأصفهاني ، فإنه في أغانيه سيطرت عليه نزعتان ، إحداهما جعلها عنواناً للكتاب، وتحدث عنها في مقدمته، وهي الحديث عن أصوات الغناء،

---

(١) الأمالي ـ النوادر ، ٢٠٣/٣ .

(٢) تاريخ الأدب العربي بروكلمان ١٠٧/١ .

(٣) مجلة المنهل العدد ٥٥٠ ص ٥٣ صفر ١٤١٩هـ .

(٤) توفي خلف سنة ١٨٠هـ وولد ابن طيفور سنة ٢٠٤هـ .

(٥) انظر اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور ، ١٥٤/أ .

(٦) مجلة المنهل العدد ٥٥٠ ص٥٣ صفر ١٤١٩هـ .

وما يتغنى به من الشعر ، حيث جعل ذلك هدفاً ، وما سواه فتبع واستطراد، والأخرى ولوعه بغريب الأحاديث ، وظريف الأخبار والأحداث ولم تكن اللامية من هذا ولا ذاك ، فلم يجد ما يدعوه إلى الحديث عنها ، فضلاً عن أنه لم يلتزم قط حين يتحدث عن شاعر أن يورد كل شعره ، أو حتى أن يعدد قصائده ، فلم يكن عليه بأس ، حين تحدث عن الشنفرى أن يذكر بعض شعره دون بعضه الآخر ، فليس في ذلك دليل ولا ترجيح[١] .

(ب) أما عن اغفال لسان العرب الاستشهاد باللامية ، فليس من الضروري أن يستقصي لسان العرب كلام العرب كله ، وعلى فرض أن اللسان خلا من الاستشهاد باللامية ، فليس في ذلك دليل ولا ترجيح ، لأن صاحب اللسان لم يقل أنه قصر استشهاده على شعر الصعاليك ، حتى نحاسبه على خلو شواهده من أبيات اللامية ، وحتى لو قال ذلك ، فليس في إغفاله للامية دليل أيضاً ، لأننا حينئذٍ سنقول أيضاً : هل قال إنني ذكرت كل شعر الصعاليك ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لو فرضنا أن اللامية لخلف الأحمر ، فلمَ أغفلها ولم يستشهد بأبياتها ؟[٢] .

وهذا القول مردود باستشهاد صاحب اللسان بأبيات من اللامية في أربعة مواضع[٣] . والناظر في أمهات الكتب الأدبية واللغوية والتاريخية على حدٍ سواء يجد توثيق مؤلفيها فمنهم من شرحها ومنهم من استشهد بأبيات منها ، ومنهم

---

(١) شعر الصعاليك ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) لسان العرب ، مادة (حض) ١٣٢/٧ ، و (عرف) ٢٤١/٩ ، و (كها) ٢٣٤/١٥ ، و (ها) ٤٧٩/١٥.

من ضمنها اختياراته ، فممن شرحها الزمخشري ن والعكبرى ، وممن استشهد بأبيات منها أبو هلال العسكري[١] وابن فارس[٢] وأبو علي الفارسي وابن جني[٣]، وأبو عبيد البكري[٤] ، وأبو العلاء المعري[٥] ، والسيوطي[٦] ، وأبو الفرج البصري[٧] ، وقد ذكرها بتمامها ابن الشجري[٨] ٠ وذكر السيوطي جزءًا منها[٩] .

ومن غير المسلَّم به أن يقع هؤلاء جميعاً في شركٍ نصبه خلف الأحمر بوضعه اللامية ، ولن تجتمع شواهدهم وشروحها إلا إذا كانت للشنفرى لا منحولة عليه٠

(جـ) أما أن طول اللامية غير مألوف في شعر الصعاليك ، وأن أطول قصيدة وردت من شعر الصعاليك تبلغ خمسة وثلاثين بيتاً وهي تائية الشنفرى[١٠] وما عداها من شعر الصعاليك يعتبر في مجموعة شعر مقطوعات ٠

---

(١) الصناعتين ، ٥٦ ٠

(٢) مقاييس اللغة مادة " كيح " ٥/١٥ ٠

(٣) سر صناعة الإعراب ٤١٦/١ ٠ المنصف ص١٨٨ ، ص ٥٧٧ ، المحتسب : ٢١٨/١ ٠

(٤) معجم ما استعجم ١١٦/١ ٠

(٥) رسالة الغفران ، ٢٧٩ ٠

(٦) الأشباه والنظائر ، ٢١/٧ ٠

(٧) الحماسة البصرية ٣٥٢/٢ ٠

(٨) مختارات ابن الشجري ، ١٨ ٠

(٩) شرح شواهد المغني : ٨٩٩/٢ ٠

(١٠) انظر المفضليات ص١٠٨ وهي فيه ٣٦ بيتاً ، وفي بعض الكتب ٣٤ بيتاً بحذف البيت "٢١" والبيت "٣٣".

وهذا القول يتضمن الرد عليه ، ففيه اعتراف بأن الشنفرى صاحب أطول قصيدة وردت من شعر الصعاليك ، ومعنى ذلك أنه أطولهم نفساً في الشعر ، وأقدرهم على نتاج المطولات ، فكيف نستبعد أن ينتج قصيدة تبلغ ثمانية وستين بيتاً[1] مع اعترافنا بأنه أطولهم قصيداً ؟ والذي ينتج قصيدة تبلغ ستة وثلاثين بيتاً ، كيف لا يستطيع أن ينتج الثمانية والستين ، ونضيف إلى ذلك أن الثمانية والستين بيتاً لا تعتبر في عرف رواة العرب ونقادهم طويلة ، ولا يصفون مثلها بأنها من المطولات ، أما التي يصفونها بأنها طويلة فمثل قصيدة النابغة الجعدي التي تبلغ مائتي بيت وقصيدة ابن دريد التي تسمى المقصورة وتبلغ مائتين وتسعة وثلاثين بيتاً ، أو ما كان قريباً من ذلك ، أو على الأقل أطول من اللامية بكثير ، كالقصائد السبع أو العشر الجاهليات . أما الثمانية والستون بيتاً كلامية العرب ، فلا تعتبر في عرفهم من المطولات ، إلاّ بالاعتبار النسبي للقصار من القصائد ، وإن لم يكن هناك ما يمنع من وصفها بالطول .

على أن التسليم ليس على إطلاقه بأن شعر الصعاليك شعر مقطوعات، فقد وردت لهم قصائد كثيرة يمكن تسميتها بالقصائد الطويلة ، فمن ذلك عينية مالك بن حريم ، وتبلغ أربعين بيتاً[2] ورائية عروة بن الورد وتبلغ

---

(١) تبلغ اللامية ثمانية وستين بيتاً وفي رواية القالي تبلغ سبعة وستين بيتاً ، إلاّ أن صاحب لامية الأدب فضل الله الأنصاري قال ما نصه : " ولقد طار ذكر هذه اللامية التي تساوي (٤٨) بيتاً من البحر الطويل حتى أقبل على شرحها أعلام من الأئمة والعلماء والأدباء منهم الزمخشري .. " ص٧ ولا أدري أهو خطأ مطبعي أم غابت الحقيقة عن المؤلف .

(٢) لم أقف على ترجمته ولا قصيدته .

أربعين بيتاً[١] وعينية قيس بن منقذ وهي أربعة وأربعون بيتاً[٢] وكلهم صعلوك جاهلي ، وقصيدة عبدة بن الطبيب تبلغ واحداً وثمانين بيتاً[٣] مع أنه مخضرم قضى معظم حياته في الجاهلية ٠

فلامية العرب إذن ، لا هي بالطويلة طولاً غير عادي ، ولا هي الوحيدة التي تجاوزت حجم المقطوعات بين شعر الصعاليك ، ولا هي الوحيدة بين شعر صاحبها[٤] ٠

(د) أما قلة الاضطراب في ألفاظها وترتيب أبياتها مما يخالف شعر الصعاليك ، فإن الواقع غير ذلك ، فبالمقارنة بين روايات شراحها وناقليها نجد بينهم اختلافاً كثيراً إن لم يزد عن مستوى الاختلاف في الشعر الآخر للصعاليك فلن يقل عنه ، ويكفي للمثال أن نختار عالمين من أدق العلماء في الرواية هما أبو علي القالي ، والزمخشري ، ومع دقتهما المشهورة نجد اختلافاً بين روايتهما للامية في الأمالي وأعجب العجب في شرح لامية العرب ، سواء من حيث الألفاظ أو من حيث الأبيات ، ففي الألفاظ نجد بينهما اختلافاً في أكثر من ثمانية وعشرين موضعاً مع التجاوز عما يظن أنه من أخطاء المطابع[٥] ٠

---

(١) انظر ديوان عروة بن الورد ، ٦٢ ٠

(٢) انظر الأغاني ١٤/١٤٥ - ١٦١ ٠

(٣) المفضليات ص ١٣٤ - ١٤٨ ٠

(٤) شعر الصعاليك ١٦٨ - ١٦٩ ٠

(٥) ذيل الأمالي : ٣/٢٠٣ ٠ ومن هذه المواضع : " أهل " بدلاً من " قوم " و " الأهل " بدلاً من "الرهط" و"ذائع " بدلاً من " شائع " و " الحُسن " بدلاً من " المتون " ....

وأما عن الأبيات ، فإن القالي رواها سبعة وستين بيتاً ، بينما رواها الزمخشري ثمانية وستين بيتاً .

وهذا الاختلاف يدل على أن الزمخشري نقل عن رواية أخرى غير الأمالي ، لأن الزمخشري جاء بعد نحو قرنين من القالي ، فالقالي ولد سنة ٢٨٨هـ وتوفي سنة ٣٥٦هـ بينما ولد الزمخشري سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٣٨هـ .

فالقول إذن : بإن اللامية لم يصبها ما أصاب شعر الصعاليك من الاختلاف لا يتفق مع الواقع ، ولا يصلح دليلاً[1] .

(هـ) أما عن قلة أسماء المواضع والأشخاص فيها مما خالفت به المألوف في شعر الصعاليك ـ وهذا ما لاحظه كرنكو ـ وهو ملحظ يبعد عن النقد الموضوعي ، فليست أسماء الأماكن والأشخاص مِلحاً لابد أن يضاف إلى كل طعام ، وأن تحشى به كل قصيدة ، وإنما ينبغي أن نتساءل : هل كانت اللامية تقتضي ذكر الأماكن والأشخاص ، فخلت منها ؟ هل كانت تقبل استعراض أسماء الأماكن والأشخاص ؟ والواقع يجيب بلا ، فسياق اللامية وموضوعها ينحصر في تصوير نفسية إنسان ساخط هجر حياة المجتمعات ليحيا حياة يرسمها هو لنفسه كما يريد ، وقد رسمها في صورتين ، أو صورة وإطار حول هذه الصورة ، فإما الصورة فهي الصعلكة بما تتطلبه حياتها من أسلحة ، ومن صفات معينة في مزاولتها ، وأما الإطار فهو العقل ، أو الصحراء التي يزاول منها صعلكته ، بما تحويه الصحراء حوله من مناظر وطبيعة وحيوان،

(١) شعر الصعاليك ١٧٠ .

فهذه العناصر الثلاثة السخط ، وحياة الصعلوك ، والبيئة المحيطة به ، هي كل ما تشتمل عليه اللامية ، وقد وفت اللامية بأغراضها الثلاثة فأكمل ما يكون الوفاء وأدقه وأبلغه ، وبعد ذلك نسأل : ما الحاجة إلى أسماء الأشخاص والأماكن ؟ لدى شخص سخط على الناس فهجرهم معتمداً أن يعيش بين الوحوش ، كما فعل الشنفرى ٠ فهو إن كان في حاجة فإلى أسماء الوحوش التي يعيش بينها ، لا إلى أسماء الناس الذين هجرهم إلى غير رجعة ، وقد ذكر فعلاً من أسمائها كل ما يمكن أن يراه إنسان في الصحراء٠

وإذن فهذه النقطة لا تتفق مع النقد الموضوعي للقصيدة بل توحي بنوع قد تلمس الاتهام في شيء من تحامل النقد[1] ٠

كل ما سبق كان إثباتاً للامية الشنفرى من الناحية التاريخية ، أما من الناحية الفنية يكفينا دليلاً على نسبتها إلى الشنفرى اعتراف المشككين أنفسهم بما بلغته من مقدرتها على تصوير حياة الصعاليك ، ويكفي اتفاق العلماء في كل العصور وفي مقدمتهم القالي الذي روى كلمة ابن دريد على أن اللامية للشنفرى ، ويكفينا بالإضافة إلى شراحها الكثر الذين لا يبدون شكاً قط في نسبتها للشنفرى ، ويكفينا بالإضافة إليهم أن يجمع ثلاثة من صفوة العلماء والنقاد على أنها للشنفرى وهم القالي والزمخشري والنويري[2] ٠

وذهب بعض الباحثين إلى نسبة اللامية للشنفرى للأسباب التالية :

١- كثرة العلماء القدامى والمحدثين الذين نسبوها إليه ٠

٢- تصوير اللاميَّة لبيئة الصحراء العربيَّة القاحلة التي عاش فيها الشنفرى٠

---

(١) شعر الصعاليك ، ١٧١ ٠

(٢) المرجع نفسه ٠

٣- كون اللاميَّة جاهليّة العواطف والقالب تصوِّر نزعة صاحبها إلى هجر قومه ، وتفضيله الحياة مع الوحوش على الحياة معهم ٠

٤- عدم التصريع في البيت الأول منها ، ولعلَّ عادة التصريع لم تكن متّبعة في زمن الشنفرى ، فتكون القصيدة من أقدم الشعر الجاهلي ٠

٥- إنّ في بعض أبياتها جوازاً نعهده في الشعر الجاهليّ ، من إبدال " مفاعلن " الأولى أو الثالثة من البحر الطويل بـ " مفاعيلن " " وهو جواز قد لا نراه في الشعر الإسلامي لتحوّلهم عن طريقة الجاهلّيين في الإنشاد ، تلك الطريقة التي كانت تُشبع حركة العين في " مفاعلن " المذكورة فتُخفي عنهم نقص الوزن ٠

٦- إنَّ ما فيها من صدق العاطفة ، ودقّة التصوير ، وروعته يُبعدها عن النحل ٠ يقول الدكتور فؤاد أفرام البستاني : نحن لا نشكّ في اطلاع خلف الأحمر على شؤون الجاهلِّيين ودرسه أحوالهم وأشعارهم ، وطريقة معيشتهم درساً جعله كأنّه واحد منهم ؛ ولا نشك أيضاً في قلّة أمانته ، وكذبه على الشعراء ٠ غير أنّه يصعب علينا أن نصدق أن رجلاً رقيق الشعور ، لطيف التعابير ، يقول قصيدة مطلعها:

نَأَتْ دارُ سَلْمى فَشَطَّ المـزارُ　　　فعيناي ما تُطعمـان الكرى

يتوصَّل إلى نظم قصيدة كلاميَّة العرب خشونةً ، ودقَّةَ تصوير ، وتتبُّعاً للحقيقة الوضعيَّة[1] ٠ يقول نولدكه : " إن الشاعر الذي قال اللامية يجب أن يكون ملماً بالحياة العربية والجاهلية إلماماً تاماً ، كما أن خياله غزيرٌ جداً حتى أنه ليستحق أن يتبوأ أسمى مكان بين الشعراء الجاهليين ، وإذا لم تكن هذه اللامية لبطل الصحراء الشنفرى ، فإنها صنعت لتنسب إلى مثله "[2] ٠

---

(١) ديوان الشنفرى ، جمعه وحققه وشرحه د٠إميل بديع يعقوب ، ص١٨ ، ١٩ ٠

(٢) " الزمخشري " د. أحمد الحوفي ، ٢٦٥ ٠

إن المسلم به أنها جاهلية صحيحة وليست منحولة ، لأن أكثر القصيدة لا يمكن أن يكون موضوعاً متكلفاً منحولاً ، لما يظهره فيها النقد الفني الداخلي من أصالة ، وصدق فني ، وشخصية صادقة ٠ ومن النقاط التي لا ينبغي أن تمر دون ملاحظة موضوع تسمية اللامية بلامية العرب ، والواقع أن القدماء حتى نهاية القرن الرابع الهجري لم يكونوا يعرفون التسمية بلامية العرب ، وإنما كانت تسمى عندهم لامية الشنفرى ، فكيف بدأت هذه التسمية والواقع أيضاً أن الروايات لا تحدد لنا زمناً معيناً ، ولا مناسبة معينة بدأت فيها تسمية هذه القصيدة بلامية العرب ، ولكننا نعتقد أن هذه التسمية جاءت ضمناً في بداية القرن السادس الهجري ، حينما أنشأ الحسين بن علي الطغرائي الكاتب قصيدته اللامية سنة ٥٠٥هـ وسماها لامية العجم وأولها[١] :

أَصَالَةُ الْرَأْيِ صَانَتْنِي عَنْ الخِطَـلِ وَحِلْيَةُ الفَضْلُ زَانَتْنِي لدى العُطَلِ

وحين أصبح لدينا لاميتان مُيِّزت أحدها بأنها لامية العجم ، فلابد أن تميز الأخرى بأنها لامية العرب ، ومن هذا الوقت أصبحت لامية الشنفرى تعرف بلامية العرب ، وظهرت هذه التسمية فيما جاء بعد ذلك من شروح لها ، وأول شرح يعتقد أنه حمل هذه التسمية شرح الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ الذي سماه أعجب العجب في شرح لامية العرب أما قبل ظهور لامية العجم للطغرائي فلم يصف أحد لامية الشنفرى بأنها لامية العرب ، وإنما كان حديثهم عنها بأنها لامية الشنفرى[١] ٠

---

(١) الغيث المسجم في شرح لامية العجم ٦٣/١ ٠

(٢) الشنفرى الصعلوك حياته ولاميته ، ٩٠ ٠

ولعل احتدام الصراع والتنافس العنصري بين العرب والعجم كان السبب في تمييز اللاميتين ، " فما يكاد العرب يفخرون بشيء حتى ينبري العجم أو من يسمون حينذاك الموالي فيفاخرونهم بشيء مماثل ، ومن الواضح أن الشعر كان من أهم ما شغل به العرب وتنافسوا وحرصوا عليه في كل عصورهم القديمة ، وأنه لم يستطع شاغل آخر أن يشغلهم عنه ، بل كانوا يتحايلون في أحلك المشاغل وأهم المواقف ليكون الشعر عوناً لهم عليه ، ومؤانسة لهم فيه ، ولذلك كان من الطبيعي أن يكون الشعر من ميادين التنافس بين العرب والعجم ، فإذا كان في العرب شعراء ، فليكن في الموالي شعراء ، وإذا كان شعر العرب جيداً فليحاول شعراء الموالي أن يكون شعرهم منافساً لهذه الجودة إن لم يتفرقوا عليها ، وإذا كان في تاريخ العرب شعر أو أدب يعتز به فليبرز العجم ما في تاريخهم من أدب يعتز به، وهكذا فيما عرف بالحركة الشعوبية التي تمثل الصراع والتنافس بين الشعب العربي والعنصر غير العربي وخاصة الفارسي"[1] .

* * *

(١) شرح لامية العرب للشنفرى ، د.عبدالحليم حفني ، ٥٧ .

الفصل الأول

المبحث الثاني :

التعريف بالشنفرى (الشاعر)

الشنفرى

أ ـ اسمه :

لا نعثر في الكتب التي ترجمت للشنفرى على اتفاق بالنسبة لسياق الاسم، فمنهم من سماه الشنفرى وأكتفى بذلك كما فعل الزمخشري[١] حيث قال: إن اسمه الشنفرى ، وكذلك المبرد[٢]. وجاء في لسان العرب " والشنفرى اسم رجل[٣].

وما ذكره " ابن جني " يختلف عما قاله " الزمخشري " و " المبرِّد " فقد جاء في " المنصف "" الشنفرى لقب واسمه شمس شاعر جاهلي من بني الحارث ابن ربيعة وهو ابن أخت تأبط شراً وكان وزميل لهما ثالث هو عمرو بن براق أعدى العدائين لا تلحقهم الخيل وأجود شعره القصيدة المعروفة بلامية العرب لجودتها وعدتها ثمانية وستون بيتاً "[٤] .

وجاء في " القاموس المحيط " " الشنفرى الأزدي : شاعر عداء ومنه أعدى من الشنفرى .."[٥] .

وقال عنه " ابن منظور " الشنفرى اسم رجل وعدَّه من الإسلاميين[٦] أما محقق كتابه " لسان العرب " فقال : " والشنفرى ـ واسمه عمرو بن مالك شاعر

---

(١) أعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري ، ص١١ .

(٢) بلوغ الأرب في شرح لامية العرب ، جمع وتحقيق محمد القاضي وزميله ١٦ .

(٣) انظر مادة " شنف " .

(٤) المنصف : ٤٣١/١ .

(٥) القاموس المحيط : باب الراء فصل الشين .

(٦) انظر لسان العرب مادة شنفر .

جاهلي من فتاك العرب وعدائهم توفي سنة سبعين قبل الهجرة والقول بأنه من الإسلاميين خطأ "[١] .

أما صاحب الخزانة : فقال : " زعم بعضهم أن الشنفرى لقبه ـ ومعناه عظيم الشفة ـ وأن اسمه ثابت بن جابر ٠ وهذا غلط كما غلط العيني في زعمه أن اسمه عمرو بن براق بل هما صاحباه في التلصص ، وكان الثلاثة أعدى العدائين في العرب ، ولكن جرى المثل بالشنفرى[٢].

أما " البجاوي " محقق شرح المفضليات فقد ذكر أن اسمه " عامر بن عمرو الأزدي "[٣] .

وقالت عنه موسوعة الشعر العربي أنه ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفرى.[٤] ويتفق على هذه التسمية ما جاء في " المجلة العربية"[٥] .

لكن لم يختلف الرواة في نسبة الشنفرى إلى الأزد ولذلك تتحدث عنه أغلب الروايات بأنه الشنفرى الأزدي ، وإن كان لفظ الشنفرى لذاته أصبح من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى زيادة تعريف أو توضيح ، فهو علم فرد في التاريخ العربي قديمة وحديثة ، لم يشارك فيه شخص آخر ٠

أما عن اشتقاق " الشنفرى " فقال أبو العلاء : تكلّم بعض الناس في اشتقاق هذا الاسم فزعم قوم أنه يراد به الأسد ، وقيل : الجمل الكثير الشعر ، ويجب

---

(١) لسان العرب مادة " غرب " ٠

(٢) الخزانة : ٣٤٤/٣ ٠

(٣) انظر هامش شرح المفضليات للأستاذ علي البجاوي ٣٧٩/١ ٠

(٤) موسوعة الشعر العربي لمطاع صفدي وإيليا حاوي ص٥٣ ٠ طبعة بيروت ٠

(٥) انظر : المجلة العربية ، العدد الثالث ، ١٣٩٩هـ ٠

(٦) انظر : سكب الأدب على لامية العرب للشاوي : ١/أ ٠

أن يكون قولهم : في رأسه شنفارة إذا كان حاداً فإن كانت السنون في الشنفرى زائدة فيجوز أن يكون من قولهم : إذن شفارية إذا كانت كثيرة الشعر والوبر ٠ وقالوا : خبت شفاري إذا كان طويلاً ضخماً ، وقالوا شفر الرجل إذا أقل العطية، وشفر المال إذا قل ٠٠٠[١] ٠

ب ـ نسبه :

أما نسبه ، فالتسلسل القريب لآبائه ، كما تذكر أغلب الروايات أنه الشنفرى بن الأوس (بكسر الهمزة أو ضمها) بن الحجر (بكسر الحاء وسكون الجيم) بن الهنئ (بوزن كليب) بن الأزد ٠

وأما فروعه من قبيلة الأزد ، فهو أزد شنئوة التي استوطنت منطقة السراة فيما بين مكة والمدينة[٢] ٠

جـ ـ ميلاده :

لم تستطع الروايات تحديد بداية حياة الشنفرى وكذلك لم تستطع تحديد نهايتها ٠ ولكن المرجح بوضوح أنها كانت في الجيل السابق للإسلام مباشرة ؛ حيث إن آمنه أخت " تأبط شرًا " وهو صديق الشنفرى تزوجت من نوفل بن أسد القرشي وأسلم عدي بن نوفل في السنة الثامنة للهجرة[٣] ٠

ومن المحتمل أن ميلاد الشنفرى كان قريباً جداً من ظهور الإسلام إذ أن أبا خراش الهذلي[٤] كان صديقاً لشاعرنا الشنفرى ، وقد عمَّر أبو خراش وعاش حتى

---

(١) انظر شرح ديوان الحماسة : ٢٣/٢ ٠ والشنفري الأزدي ، أمير الشعراء الصعاليك ، المصطفى عيد ، ص٣٩، ٤٠ ٠

(٢) الشنفرى الصعلوك حياته ولاميته ، د٠عبدالحيم حفني ١٠ ٠

(٣) شرح لامية العرب للشنفرى ، شرح ودراسة الدكتور عبدالحليم حفني ، ٥٥ ٠

(٤) هو أبو خراش الهذلي خويلد بن مره مخضرم أدرك زمان عمر بن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا المسلمين ، ومات في زمان عمر ، الإصابة : ص٢٤١ ٠

خلافة عمر بن الخطاب الذي انتهت خلافته عام ٢٤هـ وربما قتل الشنفرى في العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة قبل الإسلام أي قبل الإسلام بحوالي أربعين سنة تقريباً ولا يمكن الجزم بذلك لأن ذلك من أصعب الأمور على دارس الأدب الجاهلي أن يحدد الزمن لكثير من الأحداث ، وخاصة تلك التي تبحث عن ميلاد شاعر أو عظيم من عظماء الجاهلية إلا ما ندر.(١)

د ـ نشأته :

نسوقها كما جاءت في الأغاني ، حدث الأصفهاني بقوله : إن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن الغوث ، أسرته بنو شبابه بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، فلم يزل فيهم حتى اسرت بنو سلامان بن مفرِّج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد رجلاً من فهم ، أحد بني شبابه فقدته بنو شبابه بالشنفرى قال : فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرِّج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجرة ، وكان السُّلامي اتخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه ، فقال لها الشنفرى : اغسلي رأسي يا أُخيَّةُ وهو لا يشك في أنها أخته ، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته ، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم ، فقال له الشنفرى : اصدقني ممن أنا ؟ قال : أنت من الأواس بن الحجر ، فقال : أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني ، ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً(٢) .

أَلاَ لَيت شِعْرِي والتَّلَهّفُ ضَلّـةٌ ... بِمَا ضَرَبَتْ كَفُّ الفتاة هَجِينَها ؟

---

(١) الشنفرى ، شاعر الصحراء الأبي ، ٢٤ .

(٢) الأغاني : ١٠٨/٢١ .

ولو علمت قُعسوسُ أنسابَ والدي ووالدها ظلّت تقاصرُ دونها
أنا ابن خيار الحُجْر بيتاً ومَنصباً وأمي ابنةُ الأحرار لو تعرفينها[1]

وقال تأبط شرًا في ذلك شعرًا يرثيه :

علَى الشّنفَرى ساري الغمام ورائحٌ غزيرُ الكُلَى وَصَيّبُ الماء باكرُ
عليك جزاءُ مثلُ يومِكَ بالجَبَا وقد أُرعِفتَ منك السّيوفُ البواتر[2]

هـ ـ مقتله :

يروى أن سبب أسره ومقتله أن الأزد قتلت الحارث بن السائب الفهمي، فأبوا أن يبوءوا بقتله ، فباء بقتله رجلٌ يُقال له حزام بن جابر قَبلَ ذلك فمات أخو الشنفرى ، فأنشأت أمه تبكيه ، فقال الشنفرى ، وكان أول ما قاله من الشعر :

ليس لوالدة هوْهَا ولا قولُها لابنها دَعْدَعْ
تُطيق وتُحدِث أحوالَه وغيرُكَ أملكُ بالمصرَعْ

فلما ترعرع الشنفرى جعل يُغِيرُ على الأزد مع فهم ، فيقتل من أدرك منهم، ثم قدم مِنًى وبها حزام بن جابر ، فقيل له هذا قاتل أبيك ، فشد عليه فقتله ، ثم سبق الناس على رجليه فقال :

قتلتُ حزاماً مُهْدِياً بمُلبّدٍ ببطن مِنًى وسط الحجيج المُصوّتِ

ثم إن رجلاً من الأزد أتي أُسيد بن جابر وهو أخو حزام المقتول فقال : تركت الشنفرى بسوق حباشة[1] فقال أسيد بن جابر : وا لله لئن كنت صادقا

(١) انظر : الأغاني : ١٨٠/٢١ والهجين : اللئيم ، أو العربى الذي أمه أَمه ، قعسوس : اسم الفتاة كما يبدو من السياق ، أي لو علمت حسبى وحسب أبيها لتقاصر عنقها أمامى .

(٢) انظر ديوان تأبط شراً ٧٨ ، جمع وتحقيق وشرح ، على ذو الفقار شاكر ، والحماسة الصغرى : لأبى تمام باب المراثى ص٣٠ .

(٣) حباشة : تقوم هذه السوق بتهامة في ديار بارق ، نحو (قنونا) على ست ليال من مكة إلى جهة اليمن فهى المتجر المتوسط المشترك بين الحجاز واليمن . واصل الحبش الجمع ، والحباشة الجماعة من الناس ليسوا من جنس واحد ، ولعلها سميت بذلك لكثرة ما يجتمع بها من مختلف القبائل والأجناس للتجارة ، وليست من موسم الحج . انظر أسواق العرب ، سعيد الأفغانى ٢٥٨ . ومجلة العرب ، عدد محرم ، وصفر ١٤٠٩هـ .

لا نرجع حتى تأكل من جني أليف أبيدة[١] فقعد له على الطريق هو وابنا حزام ، فأحسُّوه في جوف الليل وقد نزع نعلاً ولبس نعلاً ليخفي وطأة فلما سمع الغلامان وطأة قالا : هذه الضبع ، فقال : أُسيد ليست الضبع ، ولكنه الشنفرى ، ليضع كل واحد منكما نعله على مقتله ، حتى إذا رأى سوادهم نكص مليًّاً لينظر هل يتبعه أحد ، ثم رجع حتى دنا منهم ، فقال الغلامان : أَبْصَرَنا ، فقال : عمهما لا والله ما أبصركما ، ولكنه أطرد ، لكيما تتبعاه ، فليضع كل واحد منكما نعله على مقتله ، فرماهم الشنفرى فخسق[٢] في النعل ولم يتحرك المَرْميّ ، ثم رمى فانتظم ساقَيْ أُسيد ، فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم ، فوثبوا عليه ، فأخذوه فشدُّوه وثاقاً ، ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم ، فطرحوه وسطهم ، فتماروا بينهم في قتله ، فبعضهم يقول : أخوكم وابنكم ، فلما رأى ذلك أخذ بني حزام ضربه ضربة فقطع يده من الكوع ، وكانت بها شامة سوداء ، فقال الشنفرى حين قطعت يده :

لا تَبْعدي إمّا هلكتِ شامَهْ فَرُبَّ خَرْقٍ قطعتْ قَتَامَهْ
* ورُبَّ قِرْنٍ فَصَلَتْ عِظامَهْ *

وذرع خطو الشنفرى ليلة قتل فوجد أول نزوة نزاها إحدى وعشرين خطوة والثانية سبع عشرة خطوة[٣] . وقد كانت سرعة عدو الشنفرى وجرأته في السطو وأعمال الشقاوة غذاء لأدب حكايات ذات طابع مميز جداً[٤] . وبهذا ضرب المثل به لعدوه ، فقيل : أعدى من الشنفرى[٥] .

---

(١) أليف أبيدة : شجر أبيده وهو وادٍ ، انظر معجم البلدان ٨٥/١ ، ومعجم ما استعجم ١٠٢/١ .
(٢) خسق في النعل : أصاب السهم النعل ، وأخطأ الهدف .
(٣) الأغاني ١٨٦/٢١ .
(٤) انظر تاريخ الأدب العربي ، د.ريجيس بلاشير ترجمة د. إبراهيم الكيلاني ، ٣١٥ .
(٥) مجمع الأمثال للميداني ، ٣٩٤/٢ .

وبإجماع الروايات فهذه الحادثة لا تؤدي إلى الجزم بصحتها لكن نفوس الناس مولعة بالغريب والطريف محاولة إلباس الحوادث الغريبة ثوب الحقيقة ، وفي هذا يقول محقق كتاب الأغاني : لا شك أن حكاية المائة من - وكيف تمت - بادية الافتعال[1] . وهكذا أخبار الشنفرى كلها تقريباً تثير التعجب والاهتمام ، حتى أخذت طابعاً يشبه الأساطير ، وأصبحت شخصيته نفسها محاطة بهالة كتلك التي تحاط بها الشخصيات التي تنظر إليها الشعوب على أنها نماذج فذّة من البطولة والمقدرة الخارجة عن المألوف[2] .

ومن طريف ما تتفق عليه الروايات جميعاً بالنسبة للشنفرى خبران غريبان وغرابتهما هما مصدرا الطرافة ، أحدهما أنه حين مات لم يكن قتل إلا تسعة وتسعين من المائة الذين أقسم أن يقتلهم من بني سلامان . وبعد موته بزمن لم تحدده الروايات[1] مر رجلٌ من بني سلامان فاصطدمت رجله بجمجمة الشنفرى فعقرته فمات فاكتملت به المائة.والخبر الثاني: أن الوصية الوحيدة التي أفضى بها عن موته حين هم أعداؤه بقتله هي ألاَّ يدفنوه بل يتركوه جيفة في العراء[4]. قال:

لاَ تَقْبُروني إن قَبْرِي مُحَـرَّمٌ عَلَيْكم وَلَكِنْ أَبْشِري أُمَّ عَامِرِ[5]

---

(١) الأغاني ١٩٥/٢١ .

(٢) شرح لامية الشنفرى ، د.عبدالحليم حفنى ، ٤٦ .

(٣) إلاَّ الأغاني بقوله : " فلبثت عاماً أو عامين مصلوباً وعليه من نذره رجل قال : فجاء رجل منهم وكان غائباً ..." ١٩٥/٢١ .

(٤) الشنفرى الصعلوك حياته ولاميته ، د.عبدالحليم حفنى ، ١١ .

(٥) أخطأ الجاحظ في نسبة هذا البيت لتأبط شراً ، انظر الحيوان : ٤٥٠/٦ ، والمشهور أن هذا البيت للشنفرى الأزدي في قصة رواها أبو الفرج : ١٢٠/٢١ ، وابن قتيبة في مقدمة الشعر : ص٩ ، وانظر العقد الفريد : ٩٣/٣ والأزمنة والأمكنة ٢٩٣/١ ، والحماسة : ٢٤/٢ ، والمخصص : ٢٥٨/١٣ .

وهذان الخبران من الثوابت تاريخياً وأدبياً إلا أنه لا يلزم القطع والجزم بصحتها لكن بعض الباحثين يشير إلى إمكانية حدوثهم وذلك بقوله : " وليس في حدوثهم ما يصطدم بالعقل أو ما يدخل في باب المحال ، وأيسر ذلك المصادفة ، فليس هناك ما يمنع أن تتصادف عثرة رجل بعظام ميت ، يكون الميت هو الشنفرى ، وخاصة أنه أوصى ألاّ يدفنوه ، ولم تتحدث الروايات أنهم خالفوا وصيته ودفنوه ، ومن المحتمل القريب حينئذٍ أن يؤدي هذا الجرح مهما صغر إلى تسمم الجسم فيودي بصاحبه "[١] .

لكن لعله من نقل كثير من الناس عن حُسن الظن أحياناً أو عن جهل وتجاهل أحياناً .

وإن كان ذلك في حكم المتفق عليه بين الروايات ضمناً . إلاّ أن الشنفرى قد تجاوز في القتل حد المعقول والذي تعارف عليه أهل الجاهلية ، إذ وصل قتله إلى ما لا يعقل من النفوس البريئة ، " ونحن لا نعرف أن الأخذ بالثأر في الجاهلية كان غير مقيد بقيد معين ولكن الشنفرى بلغ حدًا فاق كل تصور هذا إذا أخذنا رواية الأغاني مأخذ الصدق والثقة وكذلك رواية المفضل الضبي[٢] ، ويعتقد أن الروايتين في ذلك أمر صحيح وبعيد عن الكذب وإن كان فيه شيء من المبالغة[٣] .

(١) شرح لامية العرب للشنفرى ، شرح ودراسة ، د.عبدالحليم حفني ، ٥٥ .

(٢) المفضليات ، ١٠٨ .

(٣) الشنفرى شاعر الصحراء الأبي ، د.محمود أبو ناجي ، ٢٧ .

و- شعره :

للشنفرى أشعار متفرقة في مجلدات الأغاني[١] ، والمفضليات[٢] والحماسة[٣] وكلها في وصف غاراته وبطشه لمناوئيه ٠ وقد دُسَّ عليه شعر كثير ، وقوَّلوه ما لم يقله وما لم تهتف به شياطين إلهامه[٤] ٠

ولا تظن أن حظ ديوان الشنفرى أفضل من اشعار أولئك الذين ضاعت دواوينهم منذ القديم ، إذ ليس بين أيدينا الآن من شعره إلا القليل وقد تفرق في بطون أمهات الكتب الأدبية ، وقد حاول عبدالعزيز الميمني جمع ديوانه فكان جزءًا صغيراً نشره في الطرائف الأدبية[٥] ٠

وللديوان نسخ خطية ثلاث ، الأولى في مكتبة خسرو باشا في تركية برقم ١٤٩ ، والثانية في دار الكتب المصرية في مجموعة أدب برقم ١٨٦٤ ، والثالثة في الدار نفسها برقم ٦٦٧٦ أدب وعنوانها " شعر الشنفرى " ، وهناك في كتب الأدب إشارات صريحة إلى هذا الديوان واهتمام أئمة اللغة به ، فقد روى السيوطي في المزهر أن الأصمعي قرأ ديوان الشنفرى على الشافعي بمكة[٦] ، كما روى الصولي من أخبار البحتري أن الديوان كان عند علي بن العباس ، وهو من رجال القرن الرابع ، وقد قرأه على أبي العباس ثعلب وكذلك كان عند العيني صاحب الشواهد الكبرى[٧] ٠

(١) انظر فهارس الأغاني ٠
(٢) المفضليات ، ١٠٨ ٠
(٣) الحماسة الصغرى ، لأبى تمام ص٣٨ ٠
(٤) لامية العرب ، نشيد الصحراء لشاعر الأزد (الشنفرى) ، ص٢٥ ٠
(٥) الطرائف الأدبية ، ٣٢ : ٤٢ ٠
(٦) المزهر ١/١٠٦ ٠
(٧) أعجب العجب في شرح لامية العرب للشنفرى ، ٧ ٠

نص لامية العرب للشنفرى

أقيموا بني أمّي ، صدور مطيكم … فإني إلى قوم سواكم ، لأميلُ
فقد حُمَّت الحاجاتُ والليلُ مقمرٌ … وشُدَّت لطيّاتٍ مطايا وأرحلُ
وفي الأرضِ منأىً للكريم عن الأذى … وفيها لمن خاف القِلَى مُتعزَّلُ

* * *

لعمرك ما بالأرض ضيقٌ على امرئٍ … سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ
ولي دونكم أهلون سِيدٌ عملَّسٌ … وأرقطُ زُهلولٌ وعرفاءُ جيألُ
هُم الأهلُ لا مستودعُ السرِّ ذائعٌ … لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخذلُ
وكلٌّ أبيٌّ باسلٌ غير أنَّني … إذا عرضت أولى الطرائد أبسلُ
وإنْ مُدَّت الأيدي إلى الزّاد لم أكنْ … بأعجلهم إذْ أجشعُ القوم أعجلُ
وما ذاكَ إلاّ بسطةٌ عن تفضلٍ … عليهم وكانَ الأفضلَ المُتفضِّلُ

* * *

وإنّي كفاني فقد من ليس جازياً … بحُسنى ولا في قربةٍ مُتعلَّلُ
ثلاثةُ أصحاب فؤادٌ مشيَّعٌ … وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عيطلُ
هُتوفٌ من المُلسِ المُتُون يزينُها … رصائعُ قد نيطت إليها ومحملُ
إذا زلّ عنها السهمُ حنَّت كأنّها … مُرزّأةٌ، ثكلى ترنُّ وتُعولُ
ولستُ بمهيافٍ يُعشّي سوامهُ … مُجدَّعةً سُقبانها وهي بُهَّلُ
ولا جُبّأ أكهى مُربٍ بعرسه … يُطالعها في شأنه كيف يفعلُ

* * *

ولا حرقٍ هيقٍ كأنَّ فؤادهُ … يظلُّ به المكّاءُ يعلو ويسفلُ
ولا خالفٍ داريّةٍ مُتغزِّلٍ … يروحُ ويغدو داهناً يتكحلُ
ولستُ بعلٍّ شرُّهُ دون خيره … ألفَّ إذا ما رُعتهُ اهتاجَ أعزلُ
ولستُ بمحيارِ الظَّلام إذا انتحت … هُدى الهوجلِ العسّيفِ يهماءُ هوجلُ
إذا الأمعزُ الصَّوّان لاقى مناسمي … تطاير منه قادحٌ ومفلَّلُ
أديمُ مطالَ الجوع حتّى أميتهُ … وأضربُ عنهُ الذّكر صفحاً فأذهلُ

* * *

وأستفُّ تُربَ الأرض كي لا يرى لهُ … عليَّ من الطَّولِ امرؤٌ مُتطوِّلُ

ولولا اجتنابُ الذَّأم لم يُلفَ مشربٌ … يُعاشُ به إلّا لديَّ ومأكلُ

ولكنَّ نفساً مُرَّةً لا تقيمُ بي … على الضَّيم إلا ريثما أتحوَّلُ

وأطوي على الخُمص الحوايا كما انطوت … خيوطةُ ماريّ تُغارُ وتُفتلُ

وأغدو على القوت الزَّهيد كما غدا … أزلُّ تهاداه التَّنائف أطحلُ

غدا طاوياً يُعارضُ الرِّيحَ هافياً … يخُوتُ بأذناب الشِّعابِ ويعسلُ

* * *

فلمّا لواه القوتُ من حيث أمَّهُ … دعا فأجابتهُ نظائرُ نُحَّلُ

مُهلهلةٌ شيبُ الوجوه كأنَّها … قداحٌ بكفَّي ياسرٍ تتقلقلُ

أو الخشرمُ المبعوثُ حثحثَ دبرهُ … محابيضُ أرداهنَّ سامٍ مُعسِّلُ

مُهرَّتةٌ، فوهٌ كأنَّ شدوقها … شُقوقُ العصيَّ كالحاتٌ وبُسَّلُ

فضجَّ وضجَّتْ، بالبراح كأنَّها … وإيَّاه نُوحٌ فوق علياء ثُكَّلُ

وأغضى وأغضتْ وائتسى وائتستْ به … مراميلُ عزَّاها وعزَّتهُ مُرملُ

* * *

شكا وشكتْ ثم ارعوى بعدُ وارعوتْ … وللصبرُ، إن لم ينفع الشكو أجملُ

وفاءَ وفاءتْ بادراتٍ وكُلُّها … على نكظٍ ممَّا يُكاتمُ مُجمِلُ

وتشربُ أسآري القطا الكُدرُ بعدما … سرتْ قرباً أحناؤها تتصلصلُ

هممتُ وهمَّتْ وابتدرنا وأسدلت … وشمَّر منِّي فارطٌ متمهِّلُ

فولَّيتُ عنها وهي تكبو لعقره … يُباشرهُ منها ذقونٌ وحوصلُ

كأنَّ وغاها حجرتيه وحوله … أضاميمُ من سفر القبائل نُزَّلُ

* * *

توافين من شتَّى إليه فضمَّها … كما ضمَّ أذوادَ الأصاريم منهلُ

فعبَّت غشاشاً ثمَّ مرَّتْ كأنَّها … مع الصبحِ ركبٌ من أحاظة مُجفلُ

وآلفُ وجه الأرض عند افتراشها … بأهدأ تنبيه سناسنُ قُحَّلُ

وأعدلُ منحوضاً كأنَّ فصوصهُ … كعابٌ دحاها لاعبٌ فهي مُثَّلُ

فإن تبتئس بالشَّنفرى أمُّ قسطل … لما اغتبطتْ بالشَّنفرى قبلُ أطولُ

طريدُ جناياتٍ تياسرن لحمه … عقيرتُه في أيِّها حُمَّ أوّلُ

* * *

تنامُ إذا ما نام يقظى عيونها ... حثاثاً إلى مكروهِهِ تتغلغلُ
وإلفُ همومٍ ما تزالُ تعودُهُ ... عياداً، كحُمّى الرِّبع أو هي أثقلُ
إذا وردت أصدرتها ثُمّ إنّها ... تثوبُ فتأتي من تُحيتُ ومن علُ
فإمّا تريني كابنة الرمل ضاحياً ... على رقّةٍ أحفى ولا أتنعّلُ
فإنّي لمولى الصّبر أجتابُ بزّه ... على مثل قلب السِّمع والحزم أنعلُ
وأعدم أحياناً وأغنى وإنّما ... ينالُ الغنى ذو البُعدة المُتبذِّلُ

* * *

فلا جزعٌ من خلّةٍ مُتكشِّفٌ ... ولا مرحٌ تحتَ الغنى أتخيّلُ
ولا تزدهي الأجهالُ حلمي ولا أُرى ... سؤولاً بأعقاب الأقاويل أنملُ
وليلةِ نحسٍ يصطلي القوس ربها ... وأقطعه اللّاتي بها يتنبّلُ
دعستُ على غطشٍ وبغش وصُحبتي ... سُعارٌ، وإرزيزٌ ووجرٌ وأفكلُ
فأيّمت نسواناً وأيتمتُ ولدةً ... وعُدت كما أبدأت والليلُ أليلُ
وأصبح عنّي بالغُميصاء جالساً ... فريقان: مسؤول وآخر يسألُ

* * *

فقالوا: لقد هرّتْ بليلٍ كلابُنا ... فقلنا: أذئبٌ عسّ؟ أم عسّ فُرعلُ
فلم تكُ إلّا نبأةٌ ثمّ هوّمتْ ... فقلنا قطاةٌ ريع أم ريع أجدلُ
فإن يكُ من جنٍّ لأبرح طارقاً ... وإن يكُ إنساً مالها الإنسُ تفعلُ
ويومٍ من الشّعرى يذوبُ لُعابُهُ ... أفاعيه في رمضائه تتململُ
نصبتُ لهُ وجهي ولاكنّ دونهُ ... ولا ستر إلا الأتحميُّ المُرعبلُ
وضافٍ إذا هبّت لهُ الريحُ طيّرتْ ... لبائد عن أعطافه ما ترجّلُ

* * *

بعيدٍ بمسّ الدّهن والفلي عهدُهُ ... له عبسٌ عافٍ من الغسل مُحولُ
وخرقٍ كظهر التُّرس قفرٍ قطعتهُ ... بعاملتين ظهرُهُ ليس يُعملُ
وألحقتُ أولاهُ بأُخراه مُوفياً ... على قنّةٍ أقعي مراراً وأمثلُ
تروُدُ الأراوي الصّحمُ حولي كأنّها ... عذاري عليهنّ المُلاءُ المُذيَّلُ
ويركُدنَ بالآصال حولي كأنّني ... من العصم أدفى ينتحي الكيح أعقلُ

* * *

المعنى اللغوى لأبيات لامية الشنفرى

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
١-	أميل	اسم تفضيل من مال ، يتمنى الشاعر أن يرتحل عن أهله .
٢-	حُمَّت	قدِّرت وتهيأت .
	طيَّات	جمع طية ، ما تكنوي عليه النفس من حاجات وميول .
٣-	متعزَّل	مكان التوحد والانعزال
٥-	سيدٌ	السِّيد : الذئب
	عملَّس	قوى على السير والجري
	أرقط زهلول	نمر أملس
	عرفاءُ جيأل	ضبع ذات عُرف طويل
٦-	جرَّ	ارتكب جريرة وإثما
٨-	أجشَعُ	من الجشع ، وهو المحب النهم للطعام .
١١-	فؤاد مشيَّعُ	قلب شجاع
	أبيض إصليت	سيف صقيل
	صفراء عيطل	قوس صفراء طويلة العنق متينة
١٢-	هتوف	ذات رنين يصدرُ عن وترها المشدود
	الملمس المتون	جوانبها ملساء ، والمتون : جمع مَتْن ، وهو الحد .
١٣-	مرزَّأة	أصيبت بمصيبة ـ يقول إن القوس إذا خرج منها السَّهم كانت كالأم الثكلى.

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
١٤-	مهْياف	سريع الظمأ وسط النهار.
	يُعَشّي سَوامه	يرعى إبله في العشاء .
	مجدَّعة	سيئة الغذاء .
	سَقبانها	جمع سقَب ، صغير الناقة .
	بُهَّل	جمع باهل ، وباهلة ، الناقة التي لا صَرَار على ضرعها لمنع أولادها من الرضاعة يريد أنه متعفف فلا يشرب حليب نياقه.
١٥-	الجبّأ	الجبان .
	أكهى	سيء الأخلاق .
	مُرَّبٍّ	مقيم في مكان .
	العِرْس	الزوجة : يقول لست جباناً قعيد منزله ، لاجئاً عند زوجته .
١٦-	خَرِق	مذهول من الذعر .
	هَيْق	الظليم ـ ذكر النعام .
	المكّاء	طائر يمكو أي يصفر كثيراً ، وهو كثير الخفوق بجناحيه ، يقول ، لست كالظليم الذي يصاب بالخوف والذعر عند حدوث أي حركة كأنه طائر خفوق الجناح يعلو ويسفل باستمرار .
١٧-	خالف	لا خير فيه ، لأنه يقعد خلف القوم فلا يقدم على الأعمال الكبيرة.
	دَرِايَّة	ملتجئ إلى داره .
١٨-	عَلٍّ	القرَّاد ذبابة الخيل ، يستعار للرجل الصغير الجسم .
	ألفَّ	عاجز لا يقوم لحرب ولا لضيف .
	اهتاج	تحيَّر . يقول : لست ضعيف الجسم والهمة يفر كالأحمق .

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
١٩-	محْيار	شديد الحيرة ٠
	انتحت	قصدّت واعترضت ٠
	الهَوْجل	الطويل المفرط في الطول ، الأحمق ٠
	العسِّيف	السائر في الطريق بغير دليل وعلى غير هدى ٠
	الهَيْماء	البرية التي يتيه فيها المرء ـ وهو جل : الثانية صفة للبرية ، يقول : لا يربكني الظلام حتى في الفلوات البعيدة التي يضل فيها الرجل الأحمق٠
٢٠-	الأمعز	المكان الصلب الكثير الحصى ٠
	الصَّوَّان	يكثر فيه حجر الصَّوَّان ٠
	المناسم	جمع مَنْسِم ، خف البعير ٠
	قادحٌ	الذي يقدح ناراً ٠
	مُفَلَّل	مكسر،يقول:لأنه يسير حافياً، فقد أصبح خف قدمه صلباً كحافر الحصان
٢١-	مِطَال	مصدر ماطله أي مدّه وسوَّفه ٠
	أذهل	أنْسى ـ يقول ، أشاغل الجوع حتى أنساه ٠
٢٢-	أستفُ	سفّ الدواء أخذه بشكل مسحوق ٠
	الطَّول	الفضل والمنة ٠
٢٣-	الذَّأْم	اللّوم والذم ٠ يقول : أنا قادر على جمع أصناف المآكل والمشارب ولست عاجزاً ٠
٢٤-	مُرَّةً	أبيَّة ٠

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
٢٥-	الخُمص	الجوع ٠
	الحوايا	جمع حَويَّة ما يحوي البطن كالمعي وغيره ٠
	خُيوطه ماري	الخيوطة : جمع خيط والتاء تدل على كثرة الجمع ، ماريّ : إزار الساقي من الصوف المخطط ٠
	تُغارَ	أغار الحبل : أحكم فتله ، يقول : أشد أمعائي على الجوع وأطويها كما يطوي الفاتل خيوطاً يفتلها ويحكم برمها ٠
٢٦-	أزّلُ	الأزل ، الخفيف لحم الوركين ، وهي صفة للذئب الخفيف ٠
	تهاداه	توصله من مفازة إلى أخرى ٠
	التنائف	جمع (تنوفة) : الأرض الفقراء ٠
	أطّحَلُ	لونه كلون الطحال ، بين الغبرة والبياض ، يقول : إني أقنع بالقوت القليل وأعدو في طلبه عدو الذئب الحرّ ٠
٢٧-	يُعارض الريح	يجري معها ٠
	هافياً	اسم فاعل من هفا بمعنى يعدو خفيفاً يميناً وشمالاً ٠
	يَخوتُ	ينقضَ ويخطف ٠
	أذناب الشعاب	أواخرها ، والشعاب الطرق الجبلية ٠
	يَعْسِل	يسرع ٠ يقول : إنني كالذئب أقوم في الصباح فأسابق الريح وأرمي بنفسي في الأودية مجداً في السّيْر ٠
٢٨-	لواه	دفعة وامتنع عليه ٠
	نُحَّل	ضعيفة هزيلة من شدة الجوع ٠ يقول : لما امتنع عليه القوت من حيث قصده صاح فأجابته ذئاب تشبه في نحول جسمها وشدة جوعها ٠

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
٢٩-	مهلهلة	خفيفة اللحم .
	شيب الوجوه	مبيضة .
	القِداح	جمع قدح ، وهو السَّهم قبل أن يراش .
	ياسر	لاعب . يقول : إن هذه الذئاب دقيقة الجسم ، مبيضة الوجوه تشبه سهام الضارب بالقداح في الميسر عندما يحركها بكفيه .
٣٠-	الخَشْرَم	رئيس النَّحل .
	المبعوث	المنبعث للسَّير .
	حَثْحَثَ دَبْره	حضَّ جماعته .
	مَحَابيضُ	جمع محبض : عود يكون مع مشتار العسل يثير به النحل .
	أرداهن	ثَّبتهن ومَكَّنَهُنَّ .
	سام	اسم فاعل من السمو ، المرتفع العالي .
	معسّل	طالب العسل ، يقول : إن هذه الذئاب تشبه قداح الميسر في ضمرها أو تشبه رئيس النحل يحض جماعته بعيدان مكَّنها له رجل مُعَسِّل ، رقى إلى موضع عال ، لأن شأن النحل أن يعسل في الموضع المتنع الصعب .
٣١-	مهرَّتهُ	مشقوقة الفم .
	فوه	جمع (أفوه) كبير الفم .
	كالحات	عابسات .
	بُسَّل	جمع باسل كريه المنظر غاضب ـ هذه الذئاب فاغرة أفواهها كأن أشداقها شقوق العصى ، كِلحات الوجوه قبيحة .

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
٣٢-	البَراح	أرض جرداء .
	نُوح	جمع نائحة ـ باكية ـ تعول الذئاب وتتجمع كما تجتمع المعولات على ظهور الرَّوابي حين يفقدن أبناءهن .
٣٣-	أغضى	سكت .
	أتَّسى	امتثل واقتدى .
	مَراميل	جمع مرملة فاقدة غذاءها ـ يريد أنه لما يئس من الطعام امتنع عن الصياح وتبعته الذئاب الأخرى وتعزت به عن فقد القوت .
٣٤-	ارعوى	سكت .
٣٥-	فاء	رجع .
	بادرات	مسرعات .
	نكظٍ	النطكظ : الجوع الشديد .
	مُجْمِلُ	صابر على مضض ـ لما يئست الذئاب تجلدت برغم الجوع الذي تعانيه .
٣٦-	أسآر	جمع سُؤر ، وهو بقية الشراب في قعر الإناء .
	قَرَبا	القربُ : طلب الماء ليلا ـ وليلة القرب ، هي التي ترد الطير الماء في صبيحتها.
	الأحناء	جمع حِنو ، الجانب .
	تصلصل	تصدر صوتاً ـ يريد أنه يسبق القطا في عدوه حتى إنها تشرب من فضلته .
٣٧-	أسْدَل	أرخى .
	فارط	الفارط الذي يتقدم القوم إلى الماء ـ يقول : تقدمت مشمِّراً لا أعرف الماء سابقاً القطا .

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
٣٨-	عَقَره	العقر : مكان الساقي من الحوض أو مؤخر الحوض ـ وردت الماء وابتعدت عن القطا ، وهي لا تزال تتساقط منهكة نحو العقر ـ تشرب بنهم حتى ابتلت ذقونها وانغمست حواصلها فيه • ويقصد أنه أشد تحملاً من القطا•
٣٩-	الوغى	الضوضاء •
	حجريته	مثنة حجرة ، الجانب •
	اضاميم	جمع إضْمامة ، وهي جماعة القوم ينضم بعضهم إلى بعض في السفر ـ كأن أصوات القطا أصوات جماعة مسافرين حطوا رحالهم بعد تعب ومشقة•
٤٠-	شتّى	طرق مختلفة •
	أذواد	جمع " ذود " وهو ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل •
	الأصاريم	جمع صَرْم ، جمع من الإبل ـ وردت جموع القطا من شتى الأماكن فجمعها مورد الماء كما تجتمع إبل أحياء العرب عند الحوض •
٤١-	عبَّت غِشاشاً	شربت على عجل •
	أُحاظة	جَدُّ قبيلة من حمير ـ إن هذه القطا شربت على عجل وطارت كأنها رهط من أحاظة يسافر في باكورة الصباح •
٤٢-	الأهدأ	شديد الثبات •
	السَناسِنُ	سَنْسَن ، مفارز رؤوس الأضلاع •
	تنبيه	ترفعه •
	قحَّل	جمع قاحل ، يابس ـ يقول : افترش الأرض شديد الثبات ، قوي العزيمة ، أنام على ظهر صلب ترفعه عن الأرض عظام شديدة ـ يريد أنه نحيل ولكن عظامه قوية شديدة •

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
٤٣-	أعْدِل	أتوسَّد .
	مَنحوضاً	قليل اللحم .
	الفصوص	فواصل العظام .
	دحاها	بسطها .
	مثّل	جمع ماثل منتصب أو قائم ـ إذا نمت على الأرض أتوسد ذراعاً قليلة اللحم كأن فواصل عظامها كعاب يلعب بها اللاعب ، فهي منتصبة حادة.
٤٤-	أم قسطل	الحرب ـ إن بكت الحرب لفراق الشنفرى فطالما اغتبطت وسرّت به من قبل.
٤٥-	عقيرته	نفسه .
	تياسر	اقتسم .
	حُمَّ	قدِّر ـ أصبح طريداً من كثرة ما ارتكب من جنايات ، ولا يدري بأية جناية منها تزهق روحه .
٤٧-	حمَّى الرّبع	ضرب من الحمَّى يعاود المريض مركة كل ثلاثة أيام ـ إن الهموم قد ألفته فأصبحت تزوره كحمى الرِّبع أو لعلها أصعب منها .
٤٩-	ابنة الرَّمل	الأفعى .
	الضَّاحي	البارز للحر والبرد .
	الرِّقة	سوء العيش ـ يشبه نفسه بالأفعى التي تنسلّ بجلدها عارية في الحر والبرد.

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
٥٠-	مَوْلى الصَّبر	وليّه .
	أجتاب	ألبس ، وأكتسى .
	السِّمع	ولد الذئب ـ أنا حليف الصبر ، ألبس ثوبه بقلب الذئب الشجاع، جاعلاً من الحزم نعلاً لي .
٥١-	ذو البُعْدة	صاحب الهمة .
	المتبدّل	من يجود بنفسه ـ لا ينال الغنى إلا منْ كان بعيد الهمة مجازفاً مخاطراً بنفسه .
٥٢-	متكشّف	مظهر فقره وحاجته للناس .
	أتخيل	المتخيل : المختال المرح النشيط . لا أكشف حاجتي للناس إن افتقرت، ولا أبطر إذا اغتنيت .
٥٣-	تزدهي	تستخف .
	أُنْمِل	من أنمل ، نمَّ واغتاب ـ لا يستخفني الجهل ، ولا أتتبع عورات الناس ولا أغتيابهم .
٥٤-	الأقطع	جمع قطع ، نصل قصير عريض السَّهم .
	يتنبَّل	تنبله ؛ اتخذه نبلا .
٥٥-	غَطْش	ظلمة .
	بَغْش	مطر خفيف .
	سُعار	حرٌّ يجده الإنسان في بطنه من شدة الجوع .
	إرزيز	برد .
	وَجْرُ	خوف .
	أَفْكَلُ	رعده ـ كم من ليلة شديدة البرد ، يصطلي بها المرء قوسه من شدة البرد ـ سربت في ظلمة الليل ومطره أعاني من الجوع والبرد والخوف والرعدة .

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
٥٦-	أيّمت نسوانا	تركتهن أيامي - يمثل شدة بطشه وفتكه وسرعته •
٥٧-	الغُمَيْصاء	مكان قرب مكة ، أوقع فيه خالد بن الوليد ببني جذيمة •
٥٨-	عسَّ	طاف ودار •
	فُرْعُل	ولد الضَّبع - يقول : بعد أن أغرت عن الغميصاء أصبح الناس يتساءلون: لقد سمعنا كلابنا تنبح فهل طاف بالحي ذئب أو ضبع؟
٥٩-	نبأةٌ	صوتٌ •
	هوَّمت	نامت •
	ريع	أفزع •
	أجدل	الأجدل ، الصَّقر - يقول : لم يصدر إلاَّ صوت ثم انقطع ، فقالوا لعله صوت قطاة أفزعت أو صوت صقر خيف وروِّع •
٦٠-		ولما رأوا ما فعلت بهم في الصباح قالوا : إن كان هذا من فعل الجن فقد أساء كثيراً ، وإن كان من فعل الإنس فإن أحداً من الإنس لا يقدر على فعل ذلك •
٦١-	الشِّعري	كوكب في الجوزاء يظهر في ليالي الحر •
	اللعاب	ما تراه أمام ناظريك أيام الحر ، وهو يشبه نسيج العنكبوت •
	الرَّمضاء	الأرض الحارة •
٦٢-	الكِنُّ	الستر •
	الأتحمي	ضرب من البرود •
	المُرعبَل	المتمزق - يقول : رب يوم من أيام الحر الشديدة التي تتملل فيه الأفاعي قابلته بوجهي من غير ستر يحميني إلا بردي المزق •

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
٦٣-	الضّافي	الشعر المسترسل ٠
	اللبائد	جمع لبيدة ـ ما تلبد من شعره ٠
	الأعطاف	الجوانب ٠
	ترجّل	رجّل الشعر ، سرّحه لا يستر وجهي إلا ثوبي البالي ، وشعر راسي الملبّد الذي لا تستطيع الريح أن تطيره لأنه ملبد لا يسرح ٠
٦٤-	الفَلْي	التفلية تنقية الرأس من القمل ٠
	غَبَس	وسخٌ ناشئ من قذر الإبل والعالق على أذنابها ٠
	مُحول	مرت عليه سنه ـ لبعد عهده بالفلا والدهن فقد اجتمعت فيه الأقذار كأنه العبس في أذناب الإبل ٠
٦٥-	خَرْق	أرض واسعة تتخرق فيها الرياح ٠
	عاملتان	يقصد بهما رجلاه ـ رب مفازة واسعة قطعتها برجلي بينما لا يقوى أحدٌ غيري على ذلك ٠
٦٦-	مُوفيا	مشرفاً ٠
	قنّة	القنّة أعلى الجبل ٠
	أقعى	أجلس كقعدة الكلب ٠
	أمثل	انتصب ـ قطعت هذه البراري حتى أشرفت على قمة الجبل أقعى جينا ، وحيناً أنتصب ٠
٦٧-	الأراوي	جمع أروية ، أنثى الوعل ٠
	الصُّحْم	جمع أصحم الذي في سواده صفرة ـ تجول حولي الوعول كالعذارى اللابسات ثياباً طويلة الذيل ، وقد اختلطتُ بها بعد أن أنست بي٠

رقم البيت	الكلمة	معناها اللغوي أو المراد وتفسير الأبيات المغلقة
٦٨-	يَرْكُدن	رَكَد : ثبت ،
	الآصال	جمع أصيل ـ الوقت من العصر إلى المغرب ،
	العصم	جمع أعصم الوعل الذي في ذراعيه بياض ،
	أدْفى	الأدفى ، الوعل الذي طال قرنه ،
	الكيح	عرض الجبل ،
	أعقل	ممتنع في الجبل العالي ـ بعد أن أنست الأراوي إلى أصبحت لا تنكرني فثبتت عند المساء حولي كأنني وعل منها طويل القرن ، عمد إلى عرض الجبل وامتنع فيه ،

الفصل الأول

المبحث الثالث

التعريف بالعكبري (الشارح)

أبو البقاء العكبري

- عصره :

عاش أبو البقاء العكبري في العصر العباسي الرابع ، الذي يبدأ بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٨هـ وينتهي بسقوط بغداد في ايدي المغول سنة ٦٥٦هـ ، فشهد كثيراً من الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي أصابت العالم الإسلامي، وعاصر ضعف الخلافة العباسية في بغداد كما شَهِد انحلال الدولة الإسلامية إلى دول متعددة .

وكان من حُسْنِ طالع أبي البقاء أن نَعِمَ بفسحة في الأجل شهد فيها حُكْمَ أربعة من الخلفاء العباسيين ، أولهم : المقتفي لأمر الله محمد بن أحمد المستظهر (٤٨٩ - ٥٥٥هـ) وفي زمنه كانت ولادة أبي البقاء وقد شهدت بغداد والعراق بعامته على يديه عودة الخلافة إلى بني العباس اسماً وفعلاً ، ثانيهم : المستند بالله يوسف بن محمد المقتفي لأمر الله (٥٥٥ - ٥٦٦هـ) وكان عادلاً محبوباً في الرعية ، أزال عنها المظالم ، وأسقط المكوس . ثالثهم : المستضيء بأمر الله الحسن بن يوسف (٥٦٦ - ٥٧٥هـ) الذي جمع إلى حُسْنِ السيرة إسقاط المكوس. رابعهم الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) الذي شهد عصره انتصارات صلاح الدين في أيامه على الصليبيين في الشام ، وفي عهده مات أبو البقاء[1] .

ومن المرجَّح أن تكون مدّة خلافة الناصر بعيدة الأثر في حياة العكبري فقد نال من الشهرة فيها ما لا غاية فوقه ، حتى غدا فقير النظير متوحداً لم يكن في

(١) تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي ٤٩٩ - ٥١٦ .

آخر عمره مثله ، وذلك ما جعل الرؤوساء يخطبون وُدَّه ، ويصلون أسبابه بهم[١]، وبالرغم من تفتت عضد الدولة الإسلامية ، إلاَّ أن تنافس أمرائها على اختلاف أصولهم من فارسي ، وتركي ، وعربي ، قد حملهم على مناصرة علمائهم[٢] .

يذكر ابن جبير في رحلته أن بغداد ، بالرغم من سوء حالها ، كان بها نحو ثلاثين مدرسة كلها في القسم الشرقي منها ، قال " وما منها مدرسة إلا وهي يقصر البديع عنها ، وأعظمها وأشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك"[٣].

وازدهرت الحضارة الإسلامية في عصر السلاجقة ، ويرجع ذلك إلى زيادة الثروات ، وكثرة الموارد ، وذيوع العمران ، وتشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء للعلوم والفنون والأدب ، مما أدى إلى رقي المجتمع بجميع فئاته التي انصهرت في المجتمع العربي واتخذت من لغته لساناً لها[٤] .

وهذا ما جعل الحياة العلمية مزدهرة في هذا العصر ، وظهر فيه كثير من العلماء الأفاضل ، ووضعت كثير من المصنفات المشهورة بل تجاوز الأمر إلى النقد والتحليل والتعقيب ، فابن مضاء[٥] يخرج بمنهج جديد يخلّص النحو من أثقاله ـ على حد زعمه ـ ويرد بذلك على النحاة في كتابه " الرد على النحاة " ويقول : " قصدي في هذا الكتاب أن أحذف ما يستغني النحوي عنه ، وأُنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه "[٦] .

---

(١) العكبري سيرته ومصنفاته ، الدكتور يحيى مير علم ، ١١ .

(٢) نشأة النحو ، الشيخ محمد الطنطاوي ، ١٩٤ .

(٣) رحلة ابن جبير ص٢٠٥ ، ولشهرة المدرسة النظامية ومن تخرج فيها من العلماء انظر فهرس وفيات الأعيان ٣٢٤/٨ .

(٤) العكبير سيرته ومصنفاته ص١٢،والحياة العلمية في العراق في العصرالسلجوقي ، د٠مريزن عسيري، ص١٦٧.

(٥) انظر : الأعلام ١٤٦/١ ، بغية الوعاة ٣٢٣/١ ، كشف الظنون ٤٩٤/١ ، ٤٩٥ ، معجم المؤلفين ٢٦٨/١ .

(٦) الردّ على النحاة ، دراسة وتحقيق د٠محمد إبراهيم البنا ص٥ .

وابن السيِّد البطليوسي[١] عُني بكتاب " الجمل " للزجاجي[٢] ، ثم كتب كتاباً ينقد فيه الزجاجي سماه " إصلاح الخلل الواقع في الجمل " وكتاب " الحلل في شرح أبيات الجمل " . وابن الطراوة[٣] ينقد الفارسي[٤] في كتابه " الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتب الإيضاح " .

قد حفل عصر العكبري بطائفة من مشاهير علماء اللغة والنحو ومنهم : ابن الخشاب (٥٦٧هـ) ، وابن الدهان (٥٦٩هـ) ، وأبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ)، والمطرزي (٦١٠هـ) ، وأبو البقاء العكبري[٥] .

ومن أشهر نحاة الأندلس في عهد ابي البقاء : السهيلي (٥٨١هـ) وابن مضاء القرطبي (٥٩٢هـ) وابن خروف (٦٠٩هـ)[٦] .

وبنظرة عجلى إلى أعلام اللغة والنحو الذين عاشوا في القرنين السادس والسابع تؤكد وفرة عددهم ، وغلبة عكوفهم على شرح كتب الأقدمين وتوفرهم على خدمتها وخصوصاً " الايضاح " والذي شُرح ستة وثلاثون شرحاً[٧] .

---

(١) انظر : الأعلام ١٥٣/٤ ، إنباه الرواة ١٤١/٢ ، بغية الوعاة ٥٥/٢ ، معجم المؤلفين ١٢١/٦ .

(٢) انظر : إنباه الرواة ١٤١/٢ ، بغية الوعاة ٧٧/٢ ، البلغة ١٣١ .

(٣) انظر : الأعلام ١٣٢/٣ ، بغية الوعاة ٦٠٢/١ ، البلغة ١٠٨ ، هدية العارفين ٣٩٨/٥ .

(٤) انظر البلغة ٨٠ ، تاريخ العلماء النحويين ٢٧ .

(٥) إعراب الحديث النبوي ، تحقيق د. حسن الشاعر ، ١٣ ؛ وقد أخطأ حيث ذكر أن عصر العكبري حفل بطائفة من مشاهير علماء اللغة والنحو ، ومنهم الزمخشري (٥٣٨هـ) وابن الشجري (٥٤٢هـ)، ووجه الخطأ أن المصادر تكاد تجمع على أن العكبري ولد في بغداد سنة (٥٣٨هـ) وهي السنة التي توفي فيها الزمخشري ، وبالنظر إلى وفاة ابن الشجري وولادة العكبري نجد أن العكبري كان عمره آنذاك أربع سنوات .

(٦) المدارس النحوية ، ص ٢٩٩ .

(٧) كتاب الإيضاح ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق ودراسة الدكتور كاظم بحر المرجان ص٣٢ .

اسمه ونسبه :

هو محبُّ الدين عبدا لله بن الحُسين بن عبدا لله بن الحسين ، وكنيته أبو البقاء[١] ، ولا نجد خلافاً بين المصادر في تحديد اسمه ونسبه إلا أن المنذري جعل اسم أبيه " الحسن " بدل " الحسين "[٢] ، وعلّق على هذا محقق التبيين بقوله : وربما كان ذاك تحريفاً من الناسخ فقط ، لأنني لم أجد من المصادر والمراجع التي رجعت إليها أحدًا تابعه في ذلك"[٣] ، ولم أجد أحداً ممن ترجم لأبي البقاء من المحدثين لاحظ ما ذكره محقق التبيين ، إلاَّ أني وجدت في فهرس الذيل على طبقات الحنابلة[٤]، ما وجده محقق التبيين ، وربما كان ذلك من أخطاء المطابع.

أما نسبه :

فقد قيل : العكبري الأصل ، والبغدادي ، والأزجيّ ، والحنبلي ، والقادري .

أولاً : العكبري :

نسبة إلى " عُكْبَرا " قال ياقوت : " عُكْبَرا : بضم أوله وإسكان ثانيه وفتح الباء الموحده ، وقد يمد ويقصر ، والظاهر أنه ليس بعربي ، اسم بليدة من نواحي

---

(١) انظر ترجمته ، الأعلام ٢/٢٠٨ ، إنباه الرواة ٢/١١٦ ، بغية الوعاة ٢/٣٩ ، البلغة ١٢٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/١٠٩ ، وفيات الأعيان ٣/١٠٠ ، نكت الهميان ١٤٩ .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٤/١٢٣ .

(٣) التبيين عن مذاهب النحويين والبصريين والكوفيين ، ١١ .

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة ٤/٤٧٤ .

دُجَيل ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ... ومنها شيخنا إمام عصره محبُّ الدين أبو البقاء عبدا لله بن الحسين النحوي العكبري" والنسبة إليها عُكبريّ ، وعكبراوي.[1]

وقد نسب إلى " عكبرا " كثير من العلماء منهم ، ابن بَرْهان العكبري[2] ، ومنهم " ابن بطه العكبري "[3] ومنهم الحسين بن محمد العاقولي العكبري وأحمد بن علي بن أيوب العكبري ، وغيرهم[4] .

ويدل على وفرة الأعلام المنسوبين إلى " عكبرا " كتب التراجم والطبقات المختلفة[5] .

ثانياً : البغدادي :

نسبة إلى بغداد ، والتي استوطن منها مع أسرته بعد انتقالها من عُكْبرا وتتفق هذه النسبة مع أغلب المصادر والمراجع التي ترجمت لأبي البقاء أن تذكر بغدادي المولد والدار[6] .

(١) معجم البلدان ١٤٢/٤ ، وانظر موقعها الجغرافي وأبرز معالمها في مراصد الاطلاع ٩٥٣/٢ .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ١٤٤/٢ .

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب ، ٣٥٠/٢ .

(٤) انظر : فهرس تاريخ العلماء النحويين للقاضي المفضل بن مسعر .

(٥) انظر فهارس الذيل على طبقات الحنابلة ، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، والمنهج الأحمد .

(٦) إنباه الرواة ١١٦/٢ ، بغية الوعاة ٣٨/٢ ، وفيات الأعيان ١٠٠/٣ .

ثالثًا: الأزجيّ:

والأزجيُّ ، بـالتحريك ، نسبة إلى بـاب الأزج ، وهـي محلَّـة كبـيرة ذات أسواق كثيرة ، ومُحَالّ كبيرة في شـرقي بغـداد[١] ، وهـذه النسـبة أهملتهـا بعـض المصادر والمراجع[٢] .

رابعًا: الحنبلي:

نسبة إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ويُعد أبو البقـاء مـن أشـهر علمـاء الحنابلة في زمنه[٣] ، ولعل هذه النسبة مما اتفقت فيـه أغلـب المصـادر المترجِّمـة لأبي البقاء ، ومـا كـان لينسـب للمذهـب الحنبلـي إلاً لمعرفتـه الواسـعة في الفقـه الحنبلي ، يدل على هذا آثاره في الفقه والمذهب[٤] .

خامساً: القادري:

لم يتحدث أحد عن هذه النسبة سـوى البغـدادي في " هديـة العـارفين "[٥] والبغدادي متأخر توفي سنة ١٣٣٩هـ ، وأغلب الذين ترجموه طلابه الذيـن أخـذوا عنه العلم ، وشهدوا له بالفضل ، وهم من أعلم الناس بـه أمثـال ابـن الدَّبيثـي ، وابن النجار ، وابن السـاعي ، ويـاقوت الحمـوي وغـيرهم ، لم يذكـروا لـه هـذه النسبة ، فالذي يظهر أنه وهمٌ من البغدادي[٦] .

---

(١) البلغة ١٢٢ ، معجم البلدان ١٦٩/١ .
(٢) نكت الهميان ١٤٩ ، وفيات الأعيان ١٠٠/٣ .
(٣) المنهج الأحمد ١٣٢/٤ .
(٤) إعراب الحديث ص٤٥ .
(٥) هدية العارفين ١٥٩/١ .
(٦) التبيين ١٣ .

وقد ينسب إلى العلوم التي برع فيها فيقال : النحوي[١] ، والفرضي[٢] ، اللغوي[٣] ، كما ينعت بالمفسر[٤] ، والفقيه[٥] ، والحاسب[٦] .

مولده ونشأته :

تُجمع المصادر باتفاق ـ بشهادة ابن رجب ـ على أن أبا البقاء ولد في بغداد سنة ٥٣٨هـ ، قال ابن رجب : ولد ببغداد سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة ، هكذا قال غير واحد[٧] . إلا أن تلميذه القطيعي ـ فيما حكي عنه ـ جعل ولادته سنة ٥٣٩هـ قال ابن رجب : " وقال القطيعي : سألته عن مولده فقال في حدود سنة تسعة وثلاثين "[٨] ، ونقله العليمي : " وقيل : تسع وثلاثين وخمسمئة "[٩] .

---

(١) البلغة ١٢٢ .

(٢) النكت ١٤٩ .

(٣) طبقات المفسرين ٢٢٥/١ .

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة ١٠٩/٢ .

(٥) الإنباه ١١٦/٢ .

(٦) وفيات الأعيان ١٠٠/٣ .

(٧) الذيل على طبقات الحنابلة ١٠٩/٢ .

(٨) الذيل على طبقات الحنابلة ١١٠/٢ .

(٩) المنهج الأحمد ١٣٢/٤ . ويعلق الدكتور يحيى علم على انفراد القطيعي ، بقوله : " وهذا لا يصح لأنه يخالف جلَّ من أرَّخ لولادته ، وينطوي على ذلك خطأ علمي رياضي ، ولا يبعد أن يكون مرده إلى سهو من ناقله ابن رجب أو وهمٌ عرض لصاحب الترجمة نفسه في أواخر حياته ". ويكمن الخطأ في تحويل مولده من التأريخ الهجري إلى الميلادي ، وهو ما وقع فيه صاحب معجم المؤلفين الذي جعله ٥٣٨ أو ٥٣٩ = ١١٤٣م وذلك أن بداية السنة الميلادية ١١٤٣/١/١ يصادف يوم ٥٣٧/٦/١٢هـ ، ونهاية تلك السنة يصادف يوم ٥٣٨/٦/٢٢هـ ، وأما أول يوم في السنة الهجرية ٥٣٩/١/١هـ فيصادف يوم ١١٤٤/٧/٣م ، وهنا عين الخطأ ، ويُستخلص مما تقدم أن الربع الأول من سنة ٥٣٨هـ هو المعنى بتحديد جل الأقدمية العكبري أوائل سنة ٥٣٨هـ ، وهذا يقابل الربع الثالث من سنة ١١٤٣م . وقد اعتمد الدكتور يحيى علم على نظام حاسوبي يتم فيه التحويل باليوم والشهر والسنة والتاريخ الهجري إلى الميلادي والعكس . العكبري سيرته ومصنفاته ٢٧ .

ولا تسعفنا المصادر إلا بنتف قليلة متناثرة عن حياته ، مع إغفال تام عن أسرته ، فلم تتحدث عن أبيه ، ولا عن تأثيره فيه ، ذكرت أنه تزوج ، وأن امرأته كانت تقرأ عليه ليلاً كتب الأدب وغيرها ، وذكرت أسماء ثلاثة من أولاده: زين الدين أبو محمد عبدالرحمن وقد سمع أكثر مصنفات والده[١] ، وفي كتاب المشوف المعلم للعكبري ، يصرحُ بقراءة ابنه عبدالرحمن حيث قال : قرأ عليَّ ولدي الشيخ الإمام العامل الكامل البارع زين الدين عبدالرحمن نفعه ا لله بما علمه ونفع به هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة جيدة مرضية قراءة فهم وعلم ودراية[٢] .

أما الآخران منهما : أبو عبدا لله محمد ، وأبو نصر بن عبدالعزيز فقد ذكر معاً في كتاب المشوف حيث قال : قرأه عليَّ ولدي أبقاه ا لله فسمع ولداي محمد وعبدالعزيز[٣] .

ويبدو أن أبا البقاء نشأ وعاش في محلة باب الأزج التي ينسب إليها والظاهر أنه عاش طيلة حياته في بغداد ، فلم يذكر أنه خرج منها . هكذا يستنبط محقق كتاب إعراب الحديث ويقول : " ولا بد أنه اتصل في بداية حياته بحلقات التدريس في بغداد ، ولعله التحق ببعض المدارس التي كانت مشتهرة في ذلك الحين في شرقي بغداد . حيث محله باب الأزج التي يُنسب إليها فقد قيل كان بها جماعة من العلماء والزهاد وربما غلب عليهم المذهب الحنبلي"[٤] .

---

(١) اللباب في علل البناء والإعراب ١٠/١ .

(٢) المشوف المعلم ٤٣/١ ، وترجمته في تاريخ الإسلام ، ١٨١ ، الطبعة ٦٤ .

(٣) المشوف المعلم ٤٣/١ .

(٤) إعراب الحديث ، ١٤ .

وبالرجوع إلى شيوخه وأماكن إقامتهم في محله باب الأزج تؤكد ما استنبطه محقق إعراب الحديث بأن أبا البقاء أطال المكوث في محله باب الأزج وأنه ما انفصل عن بغداد فكان شيخه في القراءات وهو ابن عساكر البطائحي (٤٨٩-٥٧٢هـ) وقف كتبه بمدرسة الحنابلة بباب الأزج[١] وشيخه في الفقه وهو أبو حكيم النهرواني كانت له مدرسة بباب الأزج[٢] ، وكان أبو البقاء العكبري معيداً للشيخ أبو الفرج الجوزي في المدرسة[٣] ٠

ويربط محقق كتاب " التبيين " بين تاريخ وفاة شيخ أبي البقاء في الفقه ، والنهرواني (٥٥٦هـ) وبيّن ولادة أبي البقاء ، أن أبا البقاء كان يحضر حلقَات العلماء في عصره وسنه دون الثامنة عشرة[٤] ٠

وهكذا نشأ أبو البقاء يطلب العلم في كل وجه ، يلازم أهله ويأخذ من النابهين من علماء عصره ٠ ويقرأ عليه تلاميذه ٠

أخلاقه ومنزلته :

شهد أهل العلم ممن ترجم لأبي البقاء أو عاصره أو أخذ عنه بأنه بلغ الغاية فضلاً ونبلاً وعلماً وديناً ، وتوافقت الترجمة جميعها بوصفه بصفات تدل على صلاحه وحسن خلقه قال تلميذه محبُّ الدين بن النجار : " كان ثقة صدوقاً فيما ينقله ويحكيه ، غزير الفضل ، كامل الأوصاف ، كثير المحفوظ ، متديناً

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٣٧/١ ٠

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٤٠٤/١ ٠

(٣) طبقات المفسرين ٢٢٥/١ ٠

(٤) التبيين ١٨ ٠

حسَنَ الأخلاق ، متواضعاً"(١) . وقال تلميذه ابن الدبيثي : " سمعت عليه ونعم الشيخ كان "(٢) . وقال الحافظ الذهبي " وكان ذا حظٍ من دينٍ وتعبُّدٍ وأوراد"(٣) وقال الصفدي : " كان رقيق القلب سريع الدمعة "(٤) . ويقول السيوطي : " له تردد إلى الرؤساء لتعليم الأدب "(٥) . ويقول الفيروز أبادي : " أديب ذو معرفة بعلوم القرآن والجبر والمقابلة وغوامض العربية "(٦) .

كل هذه الصفات والأخلاق ، جعلته أشهر علماء بغداد في عصره . "ولم يكن في آخر عمره في عصر مثله في فنونه وكان الغالب عليه النحو"(٧) .

وحقاً لقد أبرَّ ياقوت الحموي بشيخه أبي البقاء بهذه المقولة التي ما وجدت أحسن منها وصفاً حتى كأنك ترى أبا البقاء . قال : كان ديناً ورعاً ، صالحاً ، حسن الأخلاق قليل الكلام فيما لا يجدي نفعاً ، لم يخرج من رأسه كلمة ـ مثلما علمت ـ إلا في علم ، وما لا بد له منه في مصالح نفسه ، وكان ـ رحمه الله ـ رقيق القلب تفرد في عصره بعلم العربية والفرائض"(٨) . ولشهرة أبي البقاء وبَعْد صيته وتمسكه بمذهبه الحنبلي ما جعله مقصد العلماء ، يقول أبو البقاء عن

---

(١) البغية ٣٩/٢ ، المنهج الأحمد ١٣٢/٤ ، طبقات المفسرين ٢٢٥/١ ، النكت ١٥٠ .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ١١٠/٢ .

(٣) السير ٩٣/٢٢ .

(٤) النكت ، ١٥٠ .

(٥) البغية ، ٣٩/٢ .

(٦) البلغة ، ١٢٢ .

(٧) وفيات الأعيان ١٠٠/٣ .

(٨) مجلة المجتمع العلمي العراقي : ١٤٩/٦ (مقالة الدكتور / مصطفى جواد) .

نفسه: جاء إليّ جماعة من الشافعية وقالوا : انتقل إلى مذهبنا ونُعطيك تدريس النحو واللغة بالنظامية ، فقلت : لو اقمتموني وصببتم الذهب عليّ حتى واريتموني ، ما رجعت عن مذهبي[١] ، إلاّ أن أبا البقاء لم يسلم عن علو منزلته من طعن الأنداد وحسد الحساد فقد هجاه داود بن أحمد بن يحيى المهلبي[٢] فقال :

وأبو البقاء عن الكتاب مخيّراً　　　وتراه إن عدم الكتاب محيَّرا

ولعله يقصد أن أبا البقاء كان ضريراً يملي كتبه إملاءً ، وصادف قول الشاعر هوىً في نفس القفطي فطعن أبا البقاء بقوله ، وكان ـ رحمه ا لله ـ إذا أراد التصنيف أحضرت له مصنفات في ذلك الفن وقرئ عليه منها ، فإذا حصله في خاطره أملاه ، فكان يخلُّ بكثير من المحتاج إليه[٣] .

وقد أوضح محقق الإنباه عادة القفطي في حط مراتب العلماء وقال : " وهذه عادته في هضم العصريين وحط مراتبهم وإيهام أنه عارف بمنازل العلماء ، وتمييز طبقاتهم ، ولم يكن هناك ولا قريباً ، عفا ا لله عنه "[٤] . وقد اعتمد على هذا البيت ومقولة القفطي محقق كتاب : إعراب الحديث النبوي ، وأخذ على العكبري اضطرابه وتناقضه الذي وجده في مصنفاته حيث يقول : " فالرجل كان ضريراً ، فقد تغيب عنه بعض الأفكار ، وكان يملي كتبه إملاءً ، فقد يضعف الترابط أو يقع السهو منه أو من تلاميذه.... "[٥] .

(١) البغية ٣٩/٢ ، طبقات المفسرين ٢٢٥/١ ، المنهج الأحمد ١٣٢/٤ ، النكت ، ١٤٩ .

(٢) إنباه الرواة ١١٨/٢ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) الإنباه ١٩٦/٢ .

(٥) إعراب الحديث تحقيق الدكتور حسن الشاعر ، ٥٢ .

ولا نقول هنا إلاً ما قاله شيخنا محقق التبيين رداً على مقولة القفطي السابقة : " ولعل القفطي نسي أن أبا البقاء محتاجاً إلى طلبته للقراءة عليه لفقده بصره ، وعلى أية حالٍ فهذا هو رأي القفطي في الرجل[1] .

مذهبه الفقهي :

اتصل أبو البقاء في بداية حياته بحلقات التدريس في بغداد وعلى الأخص شرقي بغداد حيث محله باب الأزج التي ينسب إليها ، وقد تتلمذ على يد علمائها وكلهم إلا ما شاء الله على مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله[2] .

وقد أجمعت المصادر المترجمة لأبي البقاء على نسبته إلى المذهب الحنبلي ، فقد تفقه على أبي حكيم النهرواني ، والقاضي ابن أبي يعلى ، وبلغت مؤلفاته في الفقه سبعة مؤلفات[3] . وقد مرّ بنا مقولة أبي البقاء لجماعة من الشافعية ، التي أكد فيها ثباته على المذهب الحنبلي .

شيوخه :

ساعدت ظروف أبي البقاء الجسدية والتي شاء الله فقده لحبيبته أن يبدلهما سمعاً ملئ نورا وقلباً يهيج ذكاءً وعقلاً غير ذي خطل . وهو ما لم يتهيأ

---

(١) التبيين ، ٣٢ .

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ٤٦/١ .

(٣) إعراب الحديث ٣٢ ـ ٣٣ . ومؤلفاته في الفقه : مذاهب الفقهاء ، ولغة الفقه ، قال ابن رجب : أعلاه على ابن النجار الحافظ الذيل على طبقات الحنابلة ١١١/٢ ، والمرام في نهاية الأحكام في المذهب ، والكلام على دليل التلازم ، والتعليق في مسائل الخلاف في الفقه ، والمنقح من الخطل في علم الجدل ، وشرح الهداية لأبى الخطاب في الفقه . انظر : الذيل على طبقات الحنابلة (١١١/٢) ونكت الهيمان ص١٧٩ ، وشذرات الذهب ٦٨/٥ وبقية الوعاة ٣٩/٢ .

لغيره حيث لازم بغداد ولم يفارقها لطلب العلم ، بل زاحم علماءها بالرُكب وصار في مصافهم علماً وخلقاً وديناً وجعلته يحوز قصب السبق في كل ما يتناوله حتى تزعم الفتيا في تسعة علوم ، وفيما يأتي أبرز مشاهير العلماء الذي تتلمذ عليهم أبو البقاء :

أ ـ في النحو :

١- عبدا لله بن أحمد الخشّاب البغدادي اللغوي النحوي المحدِّث كان متضلعاً من العلوم وله فيها اليد الطولى ولد سنة ٤٩٢هـ وتوفي سنة ٥٦٧هـ[١] ، عرَّفه صاحب البلغة وقال : كان علامة عصره ، وفي درجة أبي علي الفارسي[٢] . وقد نقل عنه أبو البقاء مصرِّحاً بسماعه عنه في الإيضاح بقوله : " وسمعت شيخي أبا محمد بن الخشّاب رحمه ا لله "[٣] .

٢- أبو البركات يحيى بن نجاح اليوسفي ، المؤدب الأديب حنبلي المذهب ، حسن الاعتقاد ، روى عنه أبو البقاء بعض شعره وأخذ عنه اللغة والنحو والأدب ، قال الذهبي : " قرأ القراءات والنحو على ابن الخشّاب وأبي البركات بن نجاح "[٤]، توفي سنة ٥٦٩هـ[٥] .

---

(١) إنباه الرواة ٩٩/٢ ، وفيات الأعيان ١٠٠٢/٣ .

(٢) البلغة ١٢٠ .

(٣) شرح الإيضاح ، مخطوط ١٦٨/أ .

(٤) تاريخ الإسلام ، الذهبي ، ٢٧٠ .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٣١/١ .

ب ـ في اللغة والأدب :

علي بن عبدالرحيم بن الحسن السلمي ، المعروف بابن العصَّار شيخ فاضل له معرفة تامة باللغة ، قرأ على أبي منصور الجواليقي ، وعلى الشريف أبي السعادات بن الشجري قال الصفدي : وقرأ الأدب على عبدالرحيم بن العصَّار[١]، ولد سنة ٥٠٨هـ ، ومات سنة ٥٧٦هـ[٢] .

جـ ـ في القرآن :

علي بن عساكر بن المرجَّب بن العوَّام أبو الحسن المقرئ النحوي ، قدم بغداد ، وحفظ القرآن الكريم بالقراءات الكثيرة على أبي العز القلانسي الواسطي، قال الذهبي : " قرأ بالروايات على علي بن عساكر البطائحي "[٣] . وقف كتبه بمدرسة الحنابلة بباب الأزج[٤] . كان مولده سنة ٤٠٩هـ وتوفي سنة ٥٧٢هـ ودفن في باب حرب[٥] .

د ـ في الحديث :

١ـ الوزير عون الدين : أبو الظفر بن محمد بن هبيرة ، وزير المقتفي وابنه ، ولد سنة

---

(١) النكت ، ١٥٠ وقد أورده الصفدي باسم عبدالرحيم العصار والصواب علي بن عبدالرحيم العصار ، ولم يتبين ذلك محقق النكت .

(٢) إنباه الرواة ٢٩١/٢ ، بغية الوعاة ١٧٥/٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة ١١٠/٢ .

(٣) السير ٩٢/٢٢ .

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة ٣٣٧/١ .

(٥) إنباه الرواة ٢٩٩/٢ .

٤٩٩هـ بالسودان ، ودخل بغداد شاباً فطلب العلم وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وسمع الحديث توفي مسموماً سنة ٥٥٩هـ[١] .

٢- أبو الفتح محمد بن عبدالباقي بن أحمد المعروف بابن البطي ولد سنة ٤٧٧هـ اعتنى به والده من الصغر ، أجاز له أبو النصر الزبيبي ، قال السيوطي : "وسمع الحديث من أبي الفتح ابن البطي...."[٢] . توفي سنة ٥٦٤هـ[٣] .

٣- أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ثم الهمداني ولد بالري سنة ٤٨١هـ وسمع بها من عبدالرحمن بن أحمد الدوني ، توفي سنة ٥٦٦هـ[٤] ، قال الداودي : " وسمع الحديث من أبي الفتح بن البطي ، وأبي زرعة المقدسي"[٥] .

٤- أبو بكر عبدا لله بن النقور البغدادي البزَّار حدَّث عنه خلق كثير ، سمع العكبري منه الحديث في صباه[٦] ، قال صاحب طبقات المفسرين : " وسمع ابن البطي وأبا زرعة ، وأبا بكر بن النقور "[٧] توفي سنة ٥٦٥هـ .

---

(١) الإعلام ٢٢٢/٩ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٢٥١/١ ، وفيات الأعيان ، ٢٣٠/٦ .

(٢) بغية الوعاة ٣٩/٢ .

(٣) البداية والنهاية ٢٦٠/١٢ ، سير أعلام النبلاء ٤٨١/٢٠ ، شذرات الذهب ٢١٣/٤ .

(٤) شذرات الذهب ٢١٧/٤ ، مرآة الجنان ٣٧٨/٣ .

(٥) طبقات المفسرين ٢٥٥/١ .

(٦) السير ٢م/٤٩٨ - ٤٩٩ .

(٧) طبقات المفسرين ٢٢٥/١ ، والنكت ١٥٠ . ولم يترجم محقق التبيين ص٢٠ لابن النُّقُور ، وقال : لم أعثر على ترجمته ، التبيين ، ٢٠ وتوجد ترجمته بجلاء في السير ٤٩٨/٢٠ - ٤٩٩ .

هـ ـ في الفقـــه :

١ـ محمد بن أبي خازم الفرَّاء أبو يعلى الصغير ، عماد الدين بن القـاضي أبـي خـازم بن أبي يعلـى الكبـير المتوفـى سـنة ٥٦٠هــ ، قـال السـيوطي : " وتفقـه بالفقـه بالقاضي أبي يعلى الفرَّاء "(١) .

٢ـ عبدالرحمن بن علي أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي ولد سـنة ٥١٠هــ ، كـان من أبرز من أخذ عنهم أبو البقاء ، قال ابن رجب : " وكان معيداً للشيخ أبـي الفـرج الجـوزي في المدرسـة"(٢) . وقـد اسـتفاد مـن شـيخه في تـأليف مصنفـه إعـراب الحديث، توفي سنة ٥٩٧هـ .

تلاميـــذه :

تفاوتت الكتب الـتي تنـاولت تحقيـق مصنفـات أبـي البقـاء ، في التعريـف بتلاميذه فهناك من المحققين من ذكر تلاميذ أبي البقاء علــى سـبيل الحصرً كمـا فعل شيخنا ابن عثيمين والـذي أحـال علـى ترجمـة كـل تلميـذ بمـا لا يقـل عـن مصدرين فأتعب من جاء بعده ـ على سـبيل الحقيقـة لا المبالغـة ـ وسـلك مسـلكه الدكتور يحيى علم والذي أفرد العكبري ومصنفاته ، بكتاب مستقلٍ ، إلاَّ أنه أشار أن ما ذكره من تلميذ أبي البقاء ليس على سـبيل الاستغراق بـل مـا انتهـى إليـه عمله، وترجم لثمانية وعشرين تلميذاً(٣) .

(١) البداية والنهاية ٢٠٦/١٢ ، بغية الوعـاة ٣٩/٢ ، والذيـل علـى طبقـات الحنابلـة ٢٤٤/١ ـ ٢٤٥ ، ١١٠/٢ ، وطبقات المفسرين ٢٢٥/١ .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ١١٠/٢ ، وطبقات المفسرين ٢٢٥/١ ، وفيات الأعيان ١٤٠/٣ .

(٣) العكبري سيرته ومصنفاته ، ٥٩ .

الدكتور : محمد الحمود

وهناك من المصادر من أهملت ذكر تلاميذ أبي البقاء ، كما فعل محقق إعراب الحديث ، ومحقق شرح لامية العرب ، ومحقق إعراب لامية الشنفرى ، وكان الأجدر استنطاق عبارة ابن خلكان : " وانتفع به خلق كثير "[١] .

وهنا آثرت أن أنهج نهجاً مغايراً ، حيث أذكر أبرز تلاميذ أبي البقاء مع الترجمة الموجزة مع التصريح بتلقي المترجم له من أبي البقاء ، ومما يذكر ان تلاميذ أبي البقاء أكثر من أربعين تلميذاً ، ما بين حفظة ومحدثين ، ومؤرخين ونحاة[٢] ، وسوف أذكر الأعجل وفاة والأشهر ذكراً :

١- أبو القاسم عبدا لله بن عمر المقدسي :

فقيه حنبلي قرأ النحو على أبي البقاء ، قال ابن رجب : " ... وقرأ النحو على أبي البقاء " توفي سنة ٦٨٦هـ [٣] .

٢- شهاب الدين ياقوت بن عبدا لله الحموي :

مؤرخ لغوي أديب وصاحب معجمي البلدان ، والأدباء ، قال في ترجمة (عكبرا) : " ومنها شيخنا إمام عصره محب الدين أبو البقاء عبدا لله بن الحسين النحوي العكبري ، توفي سنة ٦٢٦هـ "[٤] .

٣- أبو عبدا لله موفق الدين حمد بن أحمد الحراني :

فقيه مفسّر ، قرأ الفقه على العكبري[٥] ، قال ابن رجب : " تفقه ببغداد على ابن المنى وأبي البقاء "[٦] .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/١٠٠ .

(٢) انظر مقدمة التبيين وحصرْ الدكتور ابن عثيمين ، لتلاميذ العكبري ٢١-٢٨ .

(٣) الإنباه ٤/٨٠ ، معجم البلدان ٤/١٤٢ .

(٤) الإنباه ٤/٨٠ ، معجم البلدان ٤/١٤٢ .

(٥) تاريخ الإسلام ١٦٨ .

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٠١ .

٤- **أبو الفرج ناصر الدين عبدالرحمن عبدالرحمن العُبادي ابن الحنبلي :**

فقيه مؤرخ[١] ، قال : " قرأت على أبي البقاء " الفصيح " لثعلب من حفظي توفي سنة ٦٣٤هـ "[٢] .

٥- **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصريفيني :**

فقيه محدث حافظ توفي سنة ٦٤١هـ[٣] ، قال ابن رجب : وجالس أبا البقاء النحوي[٤] .

٦- **أحمد بن علي المهلبي الحمصي :**

نحوي صاحب نظم الإيضاح والتكملة " توفي سنة ٦٤٤هـ[٥] ، قال الذهبي: " أخذ عن النحوي الكندي وأبي البقاء "[٦] .

٧- **أبو البركات عبدالسلام بن عبدا لله بن تيمية الحراني :**

فقيه مقرئ محدِّث مفسِّر أصولي نحوي توفي سنة ٦٥٢هـ[٧] ، قال الذهبي: "وأبو البقاء شيخه في النحو والفرائض"[٨] .

---

(١) تاريخ الإسلام (ط٦٤) ١٧٩ - ١٨١ .

(٢) شذرات الذهب ٦٨/٥ .

(٣) السير ٨٩/٢٣ .

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة ٢٢٨/٢ .

(٥) البلغة ، ٦٠ .

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة ٢٤٢/٢ .

(٧) السير ٢٩١/٢٣ .

(٨) السير ٢٩٣/٢٣ .

٨- علي بن عدلان بن حماد الموصلي النحوي المترجم :

عالم بالعربية والنحو والأدب والتعمية واستخراج المُعمَّى والألغاز ، توفي سنة ٦٦٦هـ ، قال السيوطي : " قال الذهبي ، أخذ النحو عن أبي البقاء وغيره "[١]

٩- عبدالصمد بن أحمد بن أبي الجيش :

مقرئ مُحدِّث نحوي واعظ ، من أوفر تلاميذ العكبري حظاً في القراءة عليه ، قال ابن رجب : " وأخذ العربية والأدب عن أبي البقاء العكبري ، ويروي عن نفسه ويقول : " قرأت عليه من حفظي كتاب " اللمع " و " التصريف الملوكي " و " الفصيح " لثعلب وأكثر كتاب " الإيضاح " لأبي علي الفارسي ، وسمعت عليه " المفضليات " توفي سنة ٦٧٦هـ "[٢] .

١٠- أبو زكريا جمال الدين يحيى بن أبي منصور المعروف بابن الجيشي :

فقيه محدِّث من أشهر طلبة أبي البقاء وأكثرهم إفادة منه . قال ابن رجب : ".... وأخذ الفقه بدمشق عن الشيخ موفق الدين ، وببغداد عن أبي البقاء العكبري ، وأخذ العربية عن أبي البقاء ، وقرأ عليه جميع كتابه " التبيان في إعراب القرآن " ، توفي سنة ٦٧٨هـ "[٣] .

---

(١) البغية ١٧٩/٢ .

(٢) الذيل ٢٩١/٢ .

(٣) الذيل ٢٩٦/١٢ .

شعــــره :

أوردت أغلب المصادر التي ترجمت لأبي البقاء شعراً يمدح فيــه الوزيـر بـن القصاب[١] ، أو ابن المهدي[٢] :

بك أضحى جيدُ الزمان مُحَلَّـــى	بعد أن كان من حُـلاه مُخلَّـــى
لا يجاريك في نجاربك[٣] خَلْـقٌ	أنت أعلى قدراً وأعلـى مَحَـــلاًّ
دمت تُحيي ما قد أمِيت من الــ	ـفضل وتنفي فقـراً وتطرد مَحْلا[٤]

قال ابن السـاعي : ذكـر شـيخنا أبـو البقـاء أنـه لم يعمـل قـط سـوى هـذه الأبيات[٥] .

وفاتـــــه :

أجمعت المصادر أن أبا البقاء توفي في ليلة الأحد الثامن من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة ببغداد[٦] ، وقد قـارب الثمـانين[٧] ، وصلـي عليـه مـن الغد بمدرسة ابن الجوزي بدرب دينار الكبير ، ودفن بمقـبرة الإمـام أحمـد ببـاب حرب[٨] رحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) انظر ترجمته في النجوم الزاهرة ١٣٩/٦ .

(٢) زعم صاحب طبقات المفسرين أن الأبيات في ابن القصاب ، وكذا صاحب المقصد الأرشد ٣١/٢ .

(٣) النجار : الأصل .

(٤) توجد الأبيات في الذيل علـى طبقـات الحنابلـة ١١٣/٤ ، وطبقـات المفسـرين ٢٢٦/١ ، النكـت ١٥٠ والقفطى ١١٨/٢ وغيرها .

(٥) الذيل ١١١/٤ .

(٦) مقال للدكتور مصطفى جواد في مجلة المجمع العلمى العراقى ١٤٩/٦ .

(٧) البداية والنهاية ٨٥/١٣ .

(٨) الذيـل علـى طبقـات الحنابلـة ١١٣/٢ ، إنبـاه الـرواة ١١٧/٢ ، بغيـة الوعـاة ٣٩/٢ ، وفيـات الأعيان١٠١/٣ .

نسبة الكتاب:

عنوان الكتاب " إعراب لامية الشنفرى " كما جاء في الورقة الأولى من نسخة دار الكتب رقم ٥١٠٣/أدب ويعرف بشرح لامية العرب للعكبري كما جاء في نسخة دار الكتب رقم ٤٠٧٩ ، ويعرف بعنوان " إعراب قصيدة الشنفرى "كما جاء في الورقة الأولى من نسخة مكتبة عارف حكمت رقم ٨١٠/٢٧ ، كذا في نسخة الإسكندرية وتوجد في مكتبة جامع الشيخ بالاسكندرية رقم ١٦٩ · ويعرف بعنوان: " شرح لامية العرب " كما جاء في الورقة الأولى من النسخة الألمانية[١] ، وتوجد في المكتبة الملكية ببرلين رقم ٧٤٦٩ ، وهي التي أشار إليها بروكلمان"[٢]، وكلها باتفاق على نسبته للإمام العكبري ، إلا أن العجيب أن مصادر ترجمة أبي البقاء ، على وفرتها وعنايتها باستقصاء آثاره مهما قل شأنها وحجمها لم تذكر هذا الكتاب ضمن مصنَّفاته ، وهذا أمر لم أهتدِ إلى تفسير له · ولا نعلم ما سبب هذا الإغفال على الرغم من عناية المصادر بتناول اللامية وذكر شراحها · ولم أجد من ذكر ذلك الشرح إلاّ بروكلمان[٣] ·

وضمناً فإن هذا الشرح والإعراب للامية يتفق مع ثروة أبي البقاء الطائلة من المؤلفات في مختلف صنوف العلم والمعرفة ، ويتفق مع أبي البقاء كونه ضريراً · فالإعراب لا يكلفه استعراض النصوص وإشغال عقله في تحليلها وإعراب مشكلاتها

(١) شرح لامية العرب ، تحقيق وتقديم الدكتور محمد خير الحلواني ص١٥ ·

(٢) بروكلمان ١٠٨/١ ·

(٣) بروكلمان ١٠٨/١ ·

بل الأمر يقوم في الإعراب خاصة على السماع ومن هنا كان أبو البقاء لا تمضي عليه ساعة إلا وواحد يقرأ عليه ٠ ويتفق مع ما غلب على اتجاه في التأليف في النحو ، ولعل انفراد بروكلمان ذكر هذا الشرح دون غيره من المصادر أنه وجد من المخطوطات ما يؤكد نسبة هذا الكتاب لأبي البقاء وهذا من المسلّمات اليقينية أن يجد اللاحق ما لا يجد السابق ، فهذا الشيخ محمد الطنطاوي يقول : فقد ألف بعد الأنباري أبو البقاء العكبري كتابه " التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين " ولم نعثر على هذا الكتاب"[١] ، وقد أثبتت مستقبلات الأيام هذا الكتاب ٠

ولا يمكن تحديد زمن الكتاب إلاّ أن تاريخ النسخ وهو سنة ٦٩٤هـ وهذا أقدم التواريخ وناسخها يحيى بن عبدالولي بن حولان[٢] ٠

ووجدت أقدم من هذا التاريخ ولكن قراءته صعبة ، إلا أنه يتضح منه : "خمسين وستمائة "[٣] ٠

مصنفاته :

تميزت شخصية أبي البقاء العلمية بموسوعيتها وإمامتها في علوم عصره، ووفرة آثاره التي استغرقت من حياته نحواً من ثمانية عقود شغلها بالتحصيل والتأليف والتصنيف حتى انتهت إليه الإمامة والفتوى في تسعة علوم ، ولم يكن في آخر عمره مثله في فنونه ٠

---

(١) نشأة النحو ، ص١٥٧ ٠

(٢) إعراب قصيدة الشنفرى مخطوط ، ٢/٥ ، مكتبة عارف حكمت ، وإعراب لامية الشنفرى ، تحقيق وتقديم محمد جمران ، ٥٣ ٠

(٣) مخطوط دار الكتب المصرية ٧/أ ٠

إذ بلغت آثاره قرابة ستين مؤلفاً بين كبير ومتوسط ، وصغير نص على ذلك ابن قاضي شهبه وقال " ... صاحب الإعراب المشهور وغيره من التصانيف المفيدة ، ومجموعها نحو ستين مصنفاً "(١) .

وتحسن الإشارة إلى تلك المصنفات المطبوعة منها والمخطوط :

أولاً : مصنفاته المطبوعة :

١- إعراب الحديث النبوي (٢) :

هذا الكتاب من مصنفات أبي البقاء النحوية ، وفيه حظ للغة غير يسير ، اعتمد فيه العكبري على الحديث النبوي ، واختار من كتب " جامع المسانيد " لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي " (٥٩٧هـ) .

(١) طبقات النحاة ٣٢٩ نقلاً عن كتاب العكبري سيرته ومصنفاته ، ص٣٥ ، إلاّ أن المصادر التي تناولت أبا البقاء تفاوتت في ذكر آثاره وهي من خلال البحث كالتالي " الوافي ٥٠ كتاباً " ، "النكت ٥٠ كتاباً" ص١٥٠ ، " طبقات المفسرين ٤٠ كتاباً " ٢٣٢/١ ، " الحنابلة ٣٥ كتاباً " ١١٠/٤ ، " المنهج الأحمد ٣٤ كتاباً " ١٣٢/٤ ، " بغية الوعاة ٢٦ كتاباً " ٣٩/٢ ، " الشذرات ٢١ كتاباً ٦٨/٥ " ، "وفيات الأعيان ١٢ كتاباً " ١٠٠/٣ ، " أعلام النبلاء " ١٣ كتاب " ٩٢/٢٢ ، " الإنباه ٨ كتب " ١١٧/٢ ، " البداية ٦ كتب " ٨٥/١٣ . " التكملة ٤ كتب " ٤٦١/٢ .

(٢) ظهرت قضية الاستشهاد بالحديث في الأندلس في القرن السابع ، ولم تكن مطروحة من قبل فأثارها ابن الضائع (٦٨٠هـ) الذي يعد أول من ردّ الاستشهاد به ، وقد كان يتتبع ابن خروف الذي أكثر من الاحتجاج به . انظر موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث د. خديجة الحديثي ص٣٧ ، خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري ، عبدالقادر رحيم الهيثي ص١٨٨ وأصول النحو، لسعيد الأفغاني ص٤٦ .

٢ـ إعراب الشواذ من القراءات :

ذكره الصفدي بهذا النص[١] وذكر ابن رجب[٢] ، والداودي[٣] ، والسيوطي[٤] ، والعليمي[٥] وابن العماد[٦] " إعراب الشواذ " ، وكذا تسمية الفيروزآبادي مع إضافة طفيفة هي " إعراب الشاذ من القرآن "[٧] ، وانفرد القفطي بتسميته " إعراب القرآن والقراءات "[٨] ، ولعله يقصد القراءات الشاذة لا جميع القراءات وتحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة من الكتاب رقمها (١١٩٩) تفسير[٩] .

وذكر الدكتور ابن عثيمين أن نسخة منه في مكتبة جامعة بيل بالولايات المتحدة وأخرى في بعض المكتبات البريطانية ، ولم يذكر أرقاماً[١٠] . وقد ظهر الكتاب محققاً على يدِّ الأستاذ محمد السيد عزوز سنة ١٤١٩هـ .

---

(١) النكت ١٥٠ .

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ١١١/٤ .

(٣) طبقات المفسرين ٢٢٥/١ .

(٤) بغية الوعاة ٣٩/٢ .

(٥) المنهج الأحمد ١٣٢/٤ .

(٦) الشذرات ٦٨/٥ .

(٧) البلغة ١٢٢ .

(٨) إنباه الرواة ١١٧/٢ .

(٩) العكبري سيرته ومصنفاته ٩٣ .

(١٠) التبيين ٣٩ .

٣- إعراب القرآن :

برع ابو البقاء في الإعراب ، فأكثر من التصنيف فيه ، وكان من آثاره التي وقفها على الإعراب وحده " إعراب الحديث " و " إعراب الحماسة " و "إعراب الشواذ من القراءات " و " إعراب القرآن " و " إعراب لامية العرب " وإعرابه للقرآن يعد أشهر مؤلفاته كلها ، فقد اشتهر المؤلّف بشهرة مؤلَّفه ، فعُرف بـ " صاحب الإعراب "[١] .

ولعل السبب في عنايته بالإعراب كونه ضريراً ، فالإعراب لا يكلّفه إلا استعراض النصوص ، وإشغال عقله في تحليلها وإعراب مشكلاتها بخلاف التصنيف في الفنون الأخرى ، التي كانت تتطلب منه إحضار المصنفات ذات الصلة وقراءتها غليه ، ليقوم بإملاء ما حصّله منها[٢] .

وكان أبو البقاء قد أدرك كثرة ما صنف في هذا العلم واختلاف أنواعها واختلاف أحجامها . قال : فلما وجدتها على ما وصفُت أحببتُ أن أُملي كتاباً بصغر حجمه ويكثر علمه ، أقتصر فيه على ذكر الإعراب ، ووجوه القراءات ، فأتيت به على ذلك "[٣] .

وقد عرف المتقدمون قيمة " إعراب القرآن " وأفادوا منه ، واعتنوا به مناقشة ونقلاً ، وفي مصنفات الأئمة يظهر أبو البقاء بجلاء كـ " البحر المحيط "

---

(١) انظر البداية والنهاية ٨٥/١٣ ، بغية الوعاة ٣٨/٢ ، طبقات المفسرين ٢٢٥/١ .

(٢) إعراب الحديث ، ٤١ .

(٣) إعراب القرآن ، تصحيح وتحقيق ، إبراهيم عطوة ٣/١ .

لأبي حيان[١] والمغني " لابن هشام[٢] ، والدرُّ المصون للسمين الحلبي[٣] .

ولم يكن المحدثون أقل اهتماماً من المتقدمين ، فقد كان " إعراب القرآن" أسبق مؤلفات أبي البقاء وأقدمها طباعة ، إذ مضى على طبعته الأولى ما يزيد على مئة وثلاثين سنة .[٤]

٤ـ التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين :

يأتي هذا الكتاب في الدرجة الثانية بعد كتاب الإنصاف لإبن الأنباري إلاَّ أن المصادر لم تذكر له في الخلاف سوى " مسائل الخلاف في النحو "[٥] ، وقد تناول فيه مسائل خلافية بين النحاة عموماً أو بين أصحاب المذهب الواحد ، أو بين النحاة واللغويين ، وعددها ثمان وعشرون مسألة[٦] ومسائل خلافية بين

(١) انظر البحر المحيط ١٨٢/١ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٣ ، وقد تردد ذكر أبي البقاء في البحر المحيط أكثر من ١٢٠ مرة ، انظر فهارس البحر المحيط .

(٢) ناقش ابن هشام أبو البقاء في أربعة وأربعين موضعاً ، انظر مسرد الأعلام ، ص٧١٩ .

(٣) انظر الدر المصون ٥/٢ ، ٧ ، ٨ ، ١٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، و١٣/٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٥/٤ ، ٦ ، ٨، ٩ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، و٢٠/٥ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٨ . وقد تردد ذكر أبي البقاء في الدر المصون أكثر من ثلاثمائة مرة . انظر فهارس الدر المصون .

(٤) صدرت في سنة ١٨٥٩م ، على هامش الجلالين ، وقد تتبع الدكتور يحيى مير علم طبعات هذا الكتاب " إعراب القرآن " منذ عام ١٨٥٩م إلى ١٩٧٠م . انظر العكبري سيرته ومصنفاته : ص٧٧ ، ٧٨ .

(٥) نكت الهميان ، ١٥٠ .

(٦) أرقامها : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٠ .

البصريين والكوفيين ، بلغت سبعاً وخمسين مسألة منها خمس وخمسون مسألة ذكرها ابن الأنباري والعكبري ، واثنتان انفرد بهما العكبري[١] ٠

٥ ـ شرح الإيضاح :

عكف الأقدمون وتوفروا على خدمة " الإيضاح " حتى بلغ عدد العلماء الذين نشطوا إلى خدمته خلال القرنين السادس والسابع ستة وثلاثين نحوياً[٢] ٠ وكتاب الإيضاح من أشهر مؤلفات الفارسي النحوية وأفضلها حيث ضمنه أغلب موضوعات النحو وعرضها في أربعة وسبعين باباً ٠

وقد أوردته كتب التراجم والطبقات والنحاة ، وأثبتته إلى أبي البقاء على اختلاف في التسمية ، فذكره الداودي[٣] ، والسيوطي[٤] ، والصفدي[٥] ، وابن العماد[٦] ، " شرح الإيضاح " ٠ وذكره : البغدادي[٧] ، الفيروز آبادي[٨] ، "المصباح في شرح الإيضاح " ٠

(١) هما " مسألة الإعراب أصل في الأسماء " و " مسألة نيابة غير المفعول به عن الفاعل مع وجود الظرف والجار والمجرور " ، انظر التبيين ١٥٣ ، ٢٦٨ ٠

(٢) العكبري سيرته ومصنفاته ٢٠ ٠

(٣) طبقات المفسرين ٢٢٦/١ ٠

(٤) بغية الوعاة ٣٩/٢ ٠

(٥) النكت ١٥٠ ٠

(٦) الشذرات ٦٨/٥ ٠

(٧) هدية العارفين ٤٥٩/٥ ٠

(٨) البلغة ١٢٢ ٠

وذكـر عنـد ابـن رجـب[١] ، وحـاجي خليفـة[٢] ، وابـن خلكـان[٣] ، والسيوطي[٤] ، والعليمي[٥] ، والقفطي[٦] " شرح الإيضاح " ٠ وقد وجدت نسخة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقمها (١٨٩) وهي من مصـورات مكتبـة الفاتح في تركيا رقمهـا (٤٩٠٩) وأخـرى رقـم (٩٠٧) نحـو وتوجـد في دار الكتـب المصرية رقمها (١٥) ورقم (٢٠٧) نحو و (١٠٦٤) نحو ٠

ووجدتهـا ضمـن مكتبـة جامعـة الإمـام بالريـاض ورقمهـا (٨٨٦١/ف) ، والكتاب حققه الدكتور يحيى مير علم سنة ١٤١٤هـ[٧] ٠

٦ـ شرح لامية العرب :

شَرَحَ أبو البقاء لامية العرب ، إلاّ أن مصادر ترجمته المعتمـدة علـى وفرتهـا وعنايتها باستقصاء آثاره لم تذكر ذلك الشرح ، ضمن مصنفاته ، ولا نعلم ما سبب ذلك الإغفال ، على الرغم من عناية المصادر بتناول اللاميـة وذكـر شراحها ، ولا أدَلّ علـى هـذه العنايـة إلا تعـاور الأقدمـين والمحدثـين علـى شرحها ، فكـثرت نسخها المخطوطة ، وتعاقب عليها المحققون ٠ ولم أجد من ذكر ذلـك الشـرح إلاّ بروكلمان[٨] ٠ وقد سبق ذكر أماكن وجود مخطوطات هذا الشرح[٩] ٠

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ١١١/٤ ٠
(٢) كشف الظنون ٢١٢/١ ٠
(٣) وفيات الأعيان ١٠٠/٣ ٠
(٤) بغية الوعاة ٣٩/٢ ٠
(٥) المنهج العليمى ١٣٢/٤ ٠
(٦) الإنباه ١٣٢/٤ ، الإنباه ١١٧/٢ ٠
(٧) العكبري سيرته ومصنفاته ٩٤ ٠
(٨) بروكلمان ١٠٨/١ ٠
(٩) انظر : ص٨١ ٠

٧ - اللُّباب في علل البناء والإعراب :

يُعَدّ هذا الكتاب من أشهر مؤلفات أبي البقاء ، وأبعدها أثراً فيمن جاء بعده من النحاة ، بعضهم نقل عنه السيوطي في عشرة مواضع(١) .

ومما يذكر أنه متقدم في التصنيف على كتاب " التبيين " حيث يحيل في " التبيين " على كتابه " اللباب"(٢) .

والكتاب على شهرته إلاَّ أن المصادر تعددت في مسمياته ما بين " اللباب في البناء والإعراب " و " اللباب " و " اللباب في علل النحو " و " اللباب في علل البناء والإعراب "(٣) .

وقد حقق الكتاب في جزأين ، بين الأستاذ غازي طليمات ، والدكتور : عبدالإله النبهان وكانت الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ .

٨ - مسائل الخلاف في النحو :

يشتمل الكتاب على خمس عشرة مسألة منها اثنتا عشرة مسألة ليس الخلاف فيها بين نحاة المدرستين ، وإنما هو بين النحاة عموماً أو بين نحاة المدرسة الواحدة . والمسائل الثلاث المتبقية الخلاف فيها بين نحاة المدرستين(٤).

---

(١) الأشباه والنظائر ، ٧٢/١ ، ٤١/٢ ، ٤٢ ، ٣٧٠ ، ٩/٣ ، ٢٠/١١ ، ٤٨ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ٣٣١ .

(٢) انظر التبيين ص ٢٦٤ .

(٣) النكت ١٥٠ والبلغة ١٢٢٢ والبغية ٣٩/٢ وطبقات المفسرين ٢٢٦/١ ، ذكر فيها " اللباب في علل البناء والإعراب " ، وطبقات الحنابلة ١١٠/٤ والمنهج لأحمد ١٣٢/٤ والشذرات ٦٨/٥ ذكر فيها "اللباب في البناء والإعراب " وفي الإنباه ١١٧/٢ ووفيات الأعيان ١٠٠/٣ " ذكر فيهما " اللباب في علل النحو " والبداية والنهاية ٨٥/١٣ ذكر فيها اللباب .

(٤) أرقامها ٤ ، ٦ ، ٨ .

ولم تذكر مصادر ترجمة أبي البقاء له في الخلاف النحوي سوى مسائل الخلاف في النحو[١] . وقد حققه الدكتور محمد خير الحلواني وكانت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ . وهو جزء من التبيين وهو يقع ضمن محفوظات دار الكتب رقم ٢٨ نحو[٢] .

٩ ـ المَشُوف المُعَلَم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم :

تميز أبو البقاء في مصنفاته وكان سبب ذلك اختياره لمادة التصنيف يتضح ذلك في أكثر مصنفاته وأكثر ما يكون ذلك في كتابه " المُشُوفُ المُعْلَم " حيث اختار كتابين من كتب لحن العامَّة وهما يأتيان في الصدارة في مجالهما ، " إصلاح المنطق " للسكيت ، و " الفصيح " لثعلب . ويذكر أن أبا البقاء تأثر في كتابه " المشوف المُعْلَم " بترتب ابن فارس في معجمه " المجمل " المرَّتَب على الألف باء[٣]، وقد حققه ، محمد ياسين السواس وطبعته جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ .

(١) انظر مثلاً ، النكت ، ١٥٠ .

(٢) التبيين ٧٣ .

(٣) المشوف المعلم : ٢٥/١ .

ثانياً : مصنفاته المخطوطة :

١) التلقين في النحو :

ذكره البغدادي(١) ، وحاجي(٢) خليفة ، والداودي(٣) ، والصفدي(٤) ، وهو من مصنفات أبي البقاء النحوية المتميزة ، فقد حظي بعناية من مؤلفه وبعض النحاة المتأخرين وتوجد نسخة منه في مكتبة أكاديمية ليدن برقم (١٧٧)(٥) .

ووجدت أخرى منه في جامعة أم القرى برقم (٣٧٠) ويقع في ٢١ ورقة مصورة من تركيا عن مكتبة أحمد الثالث .

وقد ذكرت بعض المصادر " التعليقين " بدلاً من " التلقين " وهو خطأ اعتمد عليه بعض المحدثين نسبة إلى السيوطي بقوله : " ويذكر السيوطي كتاباً لأبي البقاء يسميه التبيين وفي مكان آخر يشير إلى كتابين يسميهما التعليقين لأبي البقاء أيضاً(٦) ، ولعل هذا من خطأ النسَّاخ .

٢) شرح الخطب النباتية :

مصنف لأبي البقاء ذكرته التراجم مع اختلاف في التسمية ، فقد ذكره بهذه

---

(١) هدية العارفين ٤٥٩/٥ .

(٢) كشف الظنون ٤٨٢/٢ .

(٣) طبقات المفسرين ٢٢٦/١ .

(٤) النكت ، ١٥٠ .

(٥) العكبري سيرته ومصنفاته ٩٣ .

(٦) انظر مسائل الخلاف في النحو ١٧ . انظر الأشباه والنظائر ١٤٠/٢ .

التسمية ، ابن خلكان[١] والصفدي[٢] ، والفيروزآبادي[٣] ، واليماني[٤] ، وسماه البغدادي[٥] ، وابن رجب[٦] ، والداودي[٧] ، والسيوطي[٨] ، والعليمي[٩] ، وابن العماد[١٠] ، " شرح خطب ابن نباته " .

وقد أورد بروكلمان بعض نسخ تلك الشروح ، فذكر إحداها في ليدن برقم (١٢٣٨) عمومية ٥٥٧٣[١١] . وذكر الدكتور شاكر الفحّام نسخة أخرى في المكتبة الوطنية بباريس رقمها (١٢٩٠)[١٢] .

ووجدتها في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم ٦٠٧/أدب .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/١٠٠ .

(٢) النكت ١٥٠ .

(٣) البلغة ١٢٢ .

(٤) إشارة التعيين ١٦٣ .

(٥) هدية العارفين ٥/٤٥٩ .

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة ٤/١١٢ .

(٧) طبقات المفسرين ١/٢٣٢ .

(٨) بغية الوعاة ٢/٣٩ .

(٩) المنهج الأحمد ٤/١٣٢ .

(١٠) الشذرات ٥/٦٨ .

(١١) بروكلمان ٢/١٠٩ .

(١٢) مقال للدكتور شاكر الفحّام بعنوان " فهارس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس " كلية مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٦١ ، الجزء الثاني ص ٣٨٦ . وانظر العكبري سيرته ومصنفاته: ١١٢ .

٣) شرح الحماسة :

ذكره البغدادي[١] ، وابن رجب[٢] ، والداودي[٣] ، والسيوطي[٤] ، والصفدي[٥] ، والعليمي[٦] ، وابن العماد[٧] ، والفيروزآبادي[٨] ، واليماني[٩] ، وذكر بروكلمان ثلاث نسخ من الكتاب موزعة على ثلاث مكتبات تركية ، وهي:

كوبريلي برقم (١٣٠٧) ، وبني جامع برقم (٩٣٤) ، وخراج زاده برقم(١٥)[١٠] ، ووجدت نسخة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت رقم (٤١٧) أدب ٠ ويقع في ٢٠٩ ورقات ٠

٤) شرح ديوان المتنبي :

فاقت عناية العلماء والأدباء بشعر المتنبي عنايتهم بديوان أي شاعر آخر ، حتى زادت شروحه حدَّ الكثرة ومن تلك الشروح شرح أبي البقاء وما زال هذا

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ١١٢/٤ ٠
(٢) طبقات المفسرين ٢٢٦/١ ٠
(٣) بغية الوعاة ٣٩/٢ ٠
(٤) النكت ١٥٠ ٠
(٥) المنهج الأحمد ١٣٢/٤ ٠
(٦) الشذرات ٦٨/٥ ٠
(٧) البلغة ١٢٢ ٠
(٨) إشارة التعيين ١٦٣ ٠
(٩) هدية العارفين ٤٥٩/٥ ٠
(١٠) بروكلمان ٩٠/٢ ٠

الشرح مخطوطاً . أما الشرح المطبوع المنسوب إليه خطأً والمسمى " التبيان في شرح الديوان " فلا يعد من مصنفاته وذلك أن كتب التراجم لم تذكره بهذه التسمية ، وقد كشف الدكتور مصطفى جواد ستار الحقيقة ، ونفي نسبة الشرح إلى أبي البقاء مؤيداً ذلك بالأدلة القاطعة وكان له قصب السبق ـ على سبيل التحقيق لا المبالغة[١] ، ومما يذكر أن التبيان في شرح الديوان لتلميذه علي بن عدلان النحوي المترجم[٢] .

٥) شرح لاميَّة العجم :

تناول أبو البقاء لامية الطغرائي المشهورة ، بالشرح والإعراب على ما فعله في لامية الشنفرى ، ولم يذكر هذا الكتاب من القدامى سوى حاجي خليفة[٣] . والبغدادي[٤] ، وبروكلمان[٥] ، وقد وجدت نسخة من هذا الشرح في مكتبة الملك فهد الوطنية رقمها (٨٦/٤٥٧) ، وفي مكتبة عارف حكمت رقمها (٧٤٣) أدب .

---

(١) مجلة المجمع العلمي بدمشق المجلد ٢٢ ، الجزء ١ ، ٢ ، ٣٧ ، ١١٠ ، والقضايا الصرفية والنحوية في شرح ديوان المتنبي المسمى التبيان المنسوب إلى العكبري ، رسالة دكتوراة إعداد الطالب محمد يوسف عبدا لله الحسن ١٤٢٠هـ ، وقد نفى أحد الباحثين ما توصل إليه الدكتور مصطفى عبدالجواد، انظر : مجلة الدراسات اللغوية ، عدد ربيع الآخر ١٤٢٢هـ .

(٢) علي بن عدلان بن حماد الموصلي النحوي المترجم (٦٦٦هـ) .

(٣) كشف الظنون : ١٥٣٧/٢ .

(٤) هداية العارفين : ٤٥٩/١ .

(٥) بروكلمان : ٤٣٩/١ .

٦) شرح المقامات الحريرية :

ورد هذا الكتاب ضمن مؤلفات أبي البقاء بهذا الاسم ، فقد أورده البغدادي[١] ، وابن خلكان[٢] ، وابن العماد[٣] ، والصفدي[٤] ، والقفطي[٥] ، واليماني[٦] ، وذكره مختصراً حاجي خليفة[٧] ، والسيوطي[٨] ، والفيروزآبادي[٩] ، وهي شرح " المقامات الحريرية " ، وأضاف ابن رجب[١٠] ، والداودي[١١] ، والعليمي[١٢] " غوامض الألفاظ اللغوية للمقامات الحريرية".

وقد وجدت نسخ من هذا الكتاب في مكتبة جامعة الإمام ورقمها (٤٩٥٠) و(١٩٢٠) ، وفي مكتبة الملك فهد الوطنية رقمها (٨٦/٥٠١) ، وفي مكتبة عارف حكمت رقم (١٠٩/أدب) ، وفي مركز البحوث العلمي بجامعة أم القرى رقمها (٧٥٧)٠ وفي دار الكتب المصرية رقم (٦٩) ٠

(١) هدية العارفين ٤٥٩/١ ٠
(٢) وفيات الأعيان ١٠٠/٣ ٠
(٣) الشذرات ٦١٨/٥ ٠
(٤) النكت ١٥٠ ٠
(٥) الإنباه ١١٧/٢ ٠
(٦) إشارة التعيين ١٦٣ ٠
(٧) كشف الظنون ١٨٨٩/٢ ٠
(٨) بغية الوعاة ٣٩/٢ ٠
(٩) البلغة ١٢٢ ٠
(١٠) الذيل على طبقات الحنابلة ١١٢/٤ ٠
(١١) طبقات المفسرين ٢٢٦/٢ ٠
(١٢) المنهج الأحمد ١٣٢/٤ ٠

٧) إعراب الحماسة :

ذكرت المصادر التاريخية هذا المخطوط ضمن مصنفات أبي البقاء ، فقد ذكره بهذه التسمية ، حاجي خليفة ، والصفدي[١] ، وسماه القفطي " إعراب شعر الحماسة "[٢] ، وسماه ابن خلكان " إعراب شرح الحماسة"[٣] .

وقد وجدت نسخة من هذا الكتاب ضمن محفوظات معهد البحوث العلمية، وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى (١٠٤٤) نحو . ويقع في ١٦٦ ورقة.

(١) كشف الظنون ، ٦٩٢/١ ، النكت ١٥٠ .

(٢) الإنباه ١١٧/٢ .

(٣) وفيات الأعيان ١٠٠/٣ .

مذهبه النحوي

كان أبو البقاء نحوياً على مذهب البصريين ، شديد التمسك بأصولهم يعتمد آراء أئمتهم وخاصة سيبويه ، ويقتفي مذهب جمهورهم ، ناقداً لمذهب الكوفيين ومغلطاً آرائهم[1] ، يعرض لقراءات كوفية كثيرة ويصفها بالشذوذ والضعف ، كان يبطل حجج الكوفيين في معظم ما أورده في كتاب " مسائل الخلاف في النحو " وسوف أحاول تدليل نزعته البصرية على ما تيسر لي من مصنفاته المخطوطة والمطبوعة ، وذلك على النحو الآتي :ـ

أـ المخطوطة :

١ـ في مخطوط " شرح الايضاح " يكثر من ذكر " عندنا " في معرض حديثه في شرح أبواب " الإيضاح " ففي " باب الفعل المبني للمفعول به " يقرر ويختار مذهب البصريين : أنه لا يبنى من الأفعال ما لم يسم فاعله إلا الفعل المتعدي بنفسه أو بحرف الجرِّ " مع إجازة قوم لذلك بحجة قراءة حفص عن عاصم في قوله : ﴿وكذلك نُجيَّ المُؤْمِنِين ﴾[2] . وقراءة أبي جعفر ﴿ لِيُجْزِي قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[3] .

وقول جرير :

فَلَو وَلَدَتْ فَقَيرة جِروَ كَلْبٍ ... لَسُبت بِذَلِك الجِرو الْكِلابَا

(١) التبيين ٩٢ .

(٢) الأنبياء : ٨٨ ، وانظر شرح الإيضاح ، مخطوط ، ٥٨/أ ، والتبيان ١٣٦/٢ كيف وجه أبو البقاء قراءاتها واللباب ١٦٠/١ ، والحجة في القراءات السبع ص ١٥٢ .

(٣) الجاثية : آية : ١٤ .

علّق أبو البقاء على هذه الشواهد ثم قال : " وهذا عندنا بعيد"(١) . وتظهر بصريته في معرض تعقبه لمذهب الكوفيين المقرُّر اسميه " نعم وبئس " ففي " شرح الإيضاح " يدلل أبو البقاء على فعلية " نعم وبئس " بثلاثة أدلة وهذا مذهب البصريين ثم قال : وقال الكوفيون هما اسمان ..." .

ويردُّ على ذلك بقوله : " وهذا باطل لأنها لو كانت خبراً لـلزم منه تقديم الخبر على المبتدأ وذلك عندهم غير جائز " ، ثم يورد أبو البقاء مباشرة ما يختاره هو تبعاً لما اختاره البصريون ويقول : " وعندنا لو كان خبراً لوقع بلا اسم"(٢) .

وفي " الإيضاح أيضاً " يتناول أبو علي الفارسي باب " إن وأخواتها " ويشرح أبو البقاء ذلك مقسماً الباب إلى خمسة أقسام ، ففي القسم الثالث يتحدث أبو البقاء على الحروف من حيث الإفراد والتركيب ، حتى يصل به الحديث عن " لكن " فيقول : أما " لكن " فهي مفردة عندنا وقال بعض الكوفيين هي مركبة من " لا " و " كأن " وهذا بعيدٌ جداً ، وهذا إنكارٌ من أبي البقاء لمذهب الكوفيين، ولا يقف الأمر عند بطلان الرأي الكوفي بل يصل إلى تحليل الرأي وإتيان الضدِّ : يقول : وهذا بعيد جداً ، لما يلزم فيه من الحذف والخلط وإبطال معنى المفردين لأن " لا " للنفي و " كأن " للتشبيه و " لكن " للاستدراك ولا تقارب بين المعنيين(٣) .

---

(١) شرح الإيضاح مخطوط ٥٨/أ وانظر براعة أبي البقاء في شرحه لهذه المسألة في اللباب ١٥٩/١ .

(٢) شرح الايضاح مخطوط ٦٣/أ ، وهذه مسألة خلافية ، انظر تفاصيلها في الإنصاف ٩٧/١ وأسرار العربية ٩٦ . والتبيين ٢٧٤ .

(٣) شرح الايضاح مخطوط ٨١/أ وهذه مسألة خلافية انظر تفاصيلها في الإنصاف ٢٠٩/١ .

ويتناول " أبو علي " باب تمييز الأعداد والمقادير " ، ثم يشرح أبو البقاء ذلك حتى يصل إلى " تعريف العدد " فيقول : قال الشيخ رحمه الله : " إذا كان المميز مضافاً إليه وأردت تعريف العدد أدخلت أداة التعريف على المضاف إليه كقولك " ثلاثة الأثواب" و "مائة الدرهم ".. ثم يقول : ولو قلت الخمسة الأثواب فجمعت بينهما لم يجزْ عندنا إلاّ على زيادة الألف واللام في الاسم الأول(١) .

وهذا في رأي أبي البقاء المنع المطلق استناداً إلى مذهب البصريين الواضح في قوله " عندنا " ، ثم يذكر مذهب الكوفيين بقوله ... وأجازه الكوفيون وشبهوه " بالحسن الوجه "(٢) . والفرق واضح بين قوله " عندنا " وقوله " وأجازه الكوفيون".

ويتميز طَرق أبي البقاء للمسائل النحوية بحصر أقوال النحاة مع اختلاف عصورهم ومشاربهم ، وهذا لا يتمكن إلاّ لجمّاعة كأبي البقاء ، يتضح ذلك في تناول أبي البقاء لشرح " باب الأسماء المجرورة "(٣) ، وهو باب ضمن أبواب "الايضاح " ، فهو يورد قولاً للمبرد ثم ينتقل ويذكر رأياً للأخفش ، ولا يقف الأمر عند ذلك بل يتعداه إلى قوله : " وسمعت شيخي أبا محمد ابن الخشاب رحمه الله ..."(٤) .

---

(١) مثل هذا القول تناوله العكبري في مسألة " تعريف العدد المركب " انظر التبيين ، ٤٣٤ .

(٢) شرح الإيضاح مخطوط ١٤٣/أ وتعريف العدد المركب وتمييزه مسألة خلافية انظر تفاصيلها في الإنصاف ٣١٢/١ ووجه الشبه هو دخول الألف واللام في العدد كما هو في الصفة ، انظر بسط القول في هذه المسألة شرح اللمع لابن برهان ٢١٥/١ ، وعلل النحو لابن الوراق ٣٨٦ . وشرح الإيضاح " باب الصفة المشبهة مخطوط ٩٨/أ ، ١٠٠/أ .

(٣) شرح الايضاح مخطوط ١٦٦/أ .

(٤) نفسه مخطوط ١٦٨/أ .

وربما عدل أبو البقاء عن تصريحه بعبارة " عندنا " إلى عبارة " على رأينا " أو بعبارة " لنا " وتجد هذه العبارات وغيرها كثير مبثوثة في شرح الايضاح ومواضع من كتبه ٠

يقول في شرح " باب المصادر التي عملت عمل الفعل " : قال الشيخ رحمه الله : " أجمعوا على إعمال المصدر عمل فعله وإنما كان كذلك لأن المصدر إمَّا أن يكون أصلاً للفعل على رأينا ، وسيبين في موضعه أو فرعاً على رأي الكوفيين"(١).

وفي حديثه عن مسألة اشتقاق الاسم ، ولفظه يقول : " الاسم مشتق من السّمو عندنا ، وقال الكوفيون هو من الوسم ، فالمحذوف عندنا لامه ، وعندهم فاؤه ، ولنا فيه ثلاثة مسالك(٢) ، ومثله ما قاله في مسألة بناء الأمر وإعرابه ، قال : فعل الأمر مبني نحو : قُمْ واضرب ٠ وقال الكوفيون : هو معرب بالجزم"(٣) ٠

ب - المطبوعة :

وسوف أُدلل على بصريته بطريقة التمثيل لا الحصرْ على ما تيسر من مصنفاته المطبوعة ٠ وتلاحظ بصريته أكثر ما تكون في عرضه لمسائل الخلاف في جميع مصنفاته وجميع تخريجاته النحوية وتوجيهاته الإعرابية ، فهو في جميعها

---

(١) شرح الايضاح مخطوط ١٠٠/ب ٠

(٢) مسائل خلافية ص ٤٥ ، وهذه هي المسألة الأولى من مسائل الإنصاف ٦/١ ٠

(٣) نفسه ص١١٩ انظر بسط القول فيها الإنصاف ٥٢٤/٢ وأسرار العربية ٣١٧ ٠

يورد المذهب البصري دون نسبة إليه إلاَّ ما ندر وذلك لكونه هو الأصل عنده ٠ ثم يورد المذهب الكوفي بقوله ما قاله الكوفيون ، وأجازوه الكوفيون وغيرها كثير ، وهي أكثر من أن تحصر ومن ذلك ما يلي :-

في إعراب التسمية ينتهي به الحديث إلى أن الأصل في " اسم " سمو ، ثم يقول : وقال الكوفيون : أصله وسم لأنه من الوسم وهو العلامة"[١]. ٠

وفي إعراب قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ... ﴾[٢]. ٠ يقول : وأصل صيب : صيوب على فيعل ، فأبدلت الواو ياء وأدغمت الأولى فيها ، ومثله ميت ، وهين ، وقال الكوفيون : أصله صويب على: فعيل ، وهو خطأ لأنه لو كان كذلك لصحت الواو كما صحت في طويل وعويل[٣]. ٠ وفي إعراب كلمة " أول " في قوله تعالى : ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ٠٠٠ ﴾[٤]. ٠

ويذكر أصلها ولم يورد صراحة كلمة " البصريين " ثم يقول : وقال بعض الكوفيين : من وأل : يأل إذا نجا فأصلها أوأل ، ثم خففت الهمزة بأن أبدلت واواً - ثم أدغمت الأولى فيها وهذا ليس بقياس ٠٠٠ "[٥]. ٠

---

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢٢/١ ٠

(٢) سورة البقرة آية ١٩ ٠

(٣) إملاء ما منَّ الرحمن ٢٢/١ ، وهذه مسألة خلافية انظر الكتاب ٣٦٥/٤ ، والإنصاف ٧٩٥/٢ ٠ وسيأتي بيان ذلك في تناول مسألة (إبدال الواو ياء) ضمن مسائل الصرف في إعراب اللامية ٠

(٤) البقرة آية ٤١ ٠

(٥) إملاء ما منَّ به الرحمن ٣٤/١ ، انظر الكتاب ٣٣٣/٤ ، والتصريح ٣٧٧/٥ ٠

ويقول في مسألة الاختلاف في أصل الاشتقاق : " الفعل مشتق من المصدر ، وقال الكوفيون : المصدر مشتق من الفعل ..."[1].

وفي اللباب لو شئت أن تحصر آراء العكبري البصرية وتعقبه للكوفيين[2]. لأعياك الأمر لكثرتها وحسبنا أن نشير هنا إلى بعض منها على إيجاز:

يذكر أبو البقاء في اللباب في فصل " الميم الزائدة في (اللهم) وأصلها فيقول: والميم الزائدة في قولك (اللهم) عوض من (يا) . وقال الكوفيون : أصله " يا الله أمنّا بخير " وهو غلط لوجهين ..."[3].

وفي اللُّباب أيضاً يحكم بفساد رأي الكوفيين بجواز بناء " كان " من المجهول قال : فصل : لا يجوز أن تبنى (كان) لما لم يُسمَّ فاعله ، وقال الفرَّاء يجوز ، وهو فاسد[4]. ويذكر أبو البقاء سبب فساد ذلك بقوله : " لا يبنى نحو: " كان زيد قائماً " للمجهول ، فلا يُقال : كين قائم ؛ لأن اسم كان وخبرها متَّحدان والفاعل والمفعول في نحو : " ضرب زيدٌ عمراً " مختلفان ، ولذلك يقال : ضُرب عمرو "[5].

ولا يفهم مما تقدم من دلائل بصريته أنه كان منتصراً لآراء هذا المذهب مؤيداً لهم في كل ما ذهبوا إليه ، كلا بل كان يجتاز ما يراه صحيحاً مناسباً

(١) مسائل خلافية في النحو ٧٣ ، انظر في هذه المسألة الإنصاف ٢٣٥/١ .
(٢) انظر اللباب ٤٦/١ ، ١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٨٠، وغيرها . انظر فهرس اللباب .
(٣) اللباب ٣٣٨/١ وانظر في هذه المسألة الإنصاف ٣٤١/١ .
(٤) اللباب ١٧٠/١ .
(٥) اللباب ١٦٣/١ .

للمذهب البصري في ظل التوجيه النحوي السليم الذي لا يصطدم مع التقعيد السليم وإلاَّ عدل عنه واختار المذهب الكوفي وفيما يلي نسوق الأدلة التي أيدَّ فيها أبو البقاء مذهب الكوفيين وهي على قلة ومنثورة في بعض مصنفاته ٠

ففي اللباب ذهب مذهب الكوفيين في قولهم : " إن " لعل " و " عل " لغتان واللام الأولى في (لعل) أصل في مذهب الكوفيين ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة"[١]. ٠

ومن ذلك : " في قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة رضي ا لله عنها : "هذا أول طعام أكله أبوك من ثلاثة أيام "[٢].قال : أبو البقاء في إعراب هذا الحديث: ....دخول " من " لابتداء غاية الزمان جائز عند الكوفيين ، ومنعه أكثر البصريين، والأقوى عندي مذهب الكوفيين "[٣]. ٠

وفي شرح الايضاح يختار أبو البقاء مذهب الكوفيين في رفع الاسم بعد "لولا" إذا وقعت بعدها " أن " المفتوحة[٤]. ٠

ويعلق ابن الأنباري على هذه المسألة بقوله : والصحيح ما ذهب إليه الكوفيون[٥]. ٠

---

(١) اللباب ٢٠٦/١ والإنصاف ٢١٨/١ ٠ وعلق أبو البقاء على صحة مذهب الكوفيين بقوله : " واللام الأولى في " لعلّ" أصل ـ على مذهب الكوفيين ــ لأن الزيادة ــ وهذا مذهب البصريين ــ تصرّف والحروف بعيدة منه ، ولأن الحرف وضع اختصاراً والزيادة عليه تنافي ذلك ٠

(٢) الحديث في مسند أحمد ، كتاب المكثرين ٠

(٣) إعراب الحديث النبوي تحقيق د٠حسين الشاعر ١٣١ ٠

(٤) شرح الايضاح مخطوط ٨٨/أ ٠ وسيأتي بيان ذلك في مسألة " لولا " وحكم المرفوع بعدها ، وهي إحدى المسائل النحوية في إعراب اللامية ٠

(٥) الإنصاف ٧٥/١ ٠

كان ما سبق رصدٌ لآراء أبي البقاء النحوية والظاهر فيها بصيرته حسبما ورد في مصنفاته المختلفة ، ويجمل في ختام هذا المبحث أن نورد أقوال بعض الباحثين المحدثين والتي أكدوا فيها على بصرية أبي البقاء ولن تجتمع الأمة على ضلاله. يقول الدكتور : عبدالعال مكرم في حديثه عن كتاب " إملاء ما منَّ به الرحمن " : يتكرر في كتابه نقده للكوفيين وإشادته بالبصريين ، مما يدل على أنه بصري الطابع ، وبصري المذهب[١].

ويذهب محقق التبيين إلى أن مذهب أبي البقاء مذهب المتأخرين الذي يميلون إلى النزعة البصرية وذلك يتحقق بثلاثة أشياء :

أولاً : موقفه من مسائل الخلاف بين الفريقين .

ثانياً : الأصول التي اعتمدها .

ثالثاً : المصطلحات التي استعملها .

ويقول : " لا شك أن كتاب التبيين هو أصدق ما يُمثل نزعة أبي البقاء النحوية ويبين موقف أبي البقاء من مسائل الخلاف ، فقد عرض لها وأبدى رأيه واضحاً في كل مسألة ، وقد ارتضى لنفسه الميل إلى مذهب البصريين آخذاً بأقوالهم، مؤيداً لآرائهم واقفاً إلى جانبهم فهو يعد نفسه أحياناً من جملتهم ، ولعله يكفي دلالة على ميله إلى جانب المذهب البصري أنه لم يؤيد آراء الكوفيين في مسائل الخلاف في هذا الكتاب إلا في مسألة واحدة "[٢].

(١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٢٩١ .

(٢) التبيين : ٩٧ .

وتعقب شيوخ المدرسة الكوفية فرد على الفراء في تسعة مواضع ، كما ردَّ على الكسائي في موضعين ، ورد على ثعلب في موضعين ، ولم يكن علماء البصرة بمنجاة من انتقاد أبي البقاء فقد ردَّ على أكثرهم إلا سيبويه ، فإنه ذكره في ثمانية مسائل ، وأيد أقواله ، ولم يتجرأ على تخطئته ، ولا النيل منه وذكر الخليل في موضع واحد وردّ عليه ، وذكر يونس في موضع واحد وأيده فيه "[١].

ويقول الدكتور : مهدي مخزومي : " ومن الكتب غير الكوفية كتاب : إملاء ما منَّ به الرحمن " وكتاب " المسائل الخلافية " وأبو البقاء في هذين الكتابين نحوي على المذهب البصري ....ثم يقول : وعلى هذا فنحن نؤيد بعض الباحثين في إبطاله نسبة " كتاب التبيان في شرح الديوان " إلى العكبري ؛ لأن شارح الديوان كوفي في نحوه "[٢].

وأجاد محقق " اللباب " في تدليله على بصرية أبي البقاء وأجاد بُحسن عرضه ورصده لمسائل الخلاف التي وردت في " اللباب " وفيما يلي نعرض لرأيه: يقول : ذكرت كتب التراجم أن العكبري كان متعصباً لمذهب أحمد بن حنبل في الفقه ، ولم أجد فيها ما يشير إلى مذهبه في النحو ، غير أنَّ نفراً من الدارسين المحدثين أبوا إلاَّ أن يلحقوه بمذهب من مذاهب النحو ، فألحقه بعضهم بمدرسة بغداد ، وبعضهم بمدرسة الكوفة ، فقد ألحقه الدكتور شوقي ضيف بالبغداديين ، وحجَّته أن " صلته بالشيخين أبي علي الفارسي وابن جني تتضح في شرحه لإيضاح الأول ولمع الثاني إذا رجعنا إلى آرائه المنثورة في كتب النحو وجدناه يتبع الفارسي في كثير منها "[٣].

---

(١) التبيين ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) مدرسة الكوفة ٩٦ .

(٣) المدارس النحوية ، ٢٧٩ .

ونحن - على إقرارنا بأنَّ فيما ذكره الدكتور شوقي ضيف ما ينمّ عن ميل العكبري إلى ابن جني وشيخه - نرى أن ذلك لا يقوم حجَّة على بغدادية الشيخ . فقد انقض الفرَّاء — والكلام للدكتور شوقي ضيف — على كتاب سيبويه رأس البصريِّين يلتهمه التهاماً ، حتى قيل إن الفرَّاء مات " وتحت رأسه كتاب سيبويه" ومع ذلك لم ينسب الفرَّاء إلى مدرسة البصرة ، وإنما نسبت إليه مدرسة الكوفة بعد الكسائي[1]. .

ولعل أفضل الأدلة على إثبات بغدادية العكبري أو نفيها عنه إحصاء ما في كتاب واحد من كتبه المتخصصة بالنحو من آراء البغداديين والبصريين والاحتكام إلى الأرقام ، ولو استعرضنا مائة ورقة من كتاب اللباب لم نجد فيها إلا رأياً واحداً لابن جني وهو " أن الحركة تنشأ بعد الحرف . ذكره العكبري ورد عليه"[2]. .

والحقُّ أن العكبري لم يكن بغداديًّا وإنما كان يتكئ على آراء البغداديين في ترجيح آراء البصريين ، وكثيراً ما يضعهم مقابل البغداديين ، وكأنما ينزع نفسه منهم نزعاً ، فهو بغدادي وافق البصريين على طراز الفارسي والزجاجي ، وهذا الطراز عمَّ وساد منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، فقد ذكر سيبويه ثلاثاً وثلاثين مرة في "اللباب"[3].وقبس من كلامه شذرات ، وحاط آراءه بالإكبار، فأنى لنا أن ننزعه من منبته في مدرسة البصرة لنغرسه في مدرسة بغداد[4]. .

---

(١) المدارس النحوية ، ١٩٣ .

(٢) انظر ، اللباب : ٦١/١ ، وانظر رأي ابن جنى في سر الصناعة : ٣٦/١ .

(٣) في الجزء الأول من اللباب ، أما الجزء الثانى فقد ذكر العكبري سيبويه أكثر من عشرين مرة . انظر اللباب : ٥٣٨/٢ .

(٤) اللباب ١٨/١ .

وإذا كان إخراج أبي البقاء من المدرسة البصرية وغرسه في المدرسة البغدادية، لا يقوم عليه دليل قوي ، فالأضعف منه تصنيفه ضمن المدرسة الكوفية وهذا من المغالطات البينة وخلوها من الأدلة يجعلها غير موجبة للرِّد .

ولا نعلم ما مصدر إدعاء الأستاذ محمد الطنطاوي من أن أبا البقاء كوفي المذهب حين قال : " ... فقد ألَّف بعد الأنباري أبو البقاء العكبري كتابه "التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين " ولم نعثر على هذا الكتاب، إلاّ أن المعروف عن العكبري أنه كوفي النزعة ، كما يتضح جلياً من مؤلفاته[1]. . ويبدو أن الطنطاوي يقصد من ذلك كتاب " شرح الديوان " المنسوب إلى العكبري، خطأً . ويقول في موضع آخر : فكما عزز ابن الأنباري المذهب البصري عزز العكبري المذهب الكوفي[2]. .

وأعجب منه ما زعمه محقق شرح اللُّمع لابن برهان بلا دليل من تشبث أبي البقاء بآراء نحاة الكوفة حين قال : " .... وقد تجاهل أبو البقاء العكبري شرح اللُّمع ومؤلّفه ، ولعله أراد أن يوالي السير في درب يناقض درب ابن برهان العكبري ، وفي تشبث أبي البقاء بالمذهب الحنبلي وبآراء النحويين الكوفيين ما يشير إلى هذا "[3]. .

وافتقار هذا الزعم للدليل يجعله مجرد زعم لا يوجب للرّد . وستظهر للقارئ الحقيقة الواضحة التي لا لبس فيها إذا اعتمد على مصنفات أبي البقاء أنه بصري مخلص لسيبويه في النحو إخلاصه لابن حنبل في الفقه .

---

(١) نشأة النحو ١٥٧ .

(٢) نفسه ٢١٠ .

(٣) شرح اللمع ٦١/١ .

الفصل الثاني

أثر اللامية في الدرس اللغوي

وأهم شروحها

المبحث الأول :

عناية اللغويين والنحويين باللامية

أثر اللامية فى الدرس اللغوى

أ - عناية اللغويين والنحويين باللامية وأهم شروحها :

تتبوأ لامية العرب في تاريخ الشعر العربي منزلة تزاحم منزلة المعلقات فهي من حيث الشهرة وعناية العلماء بها ، ترتفع إلى ما ارتفعت إليه قصيدة كعب بن زهير " بانت سعاد " مع اختلاف بين القصيدتين من حيث الغرض ، ووفرة المادة اللغوية التي تميزت بها اللامية ، والتي أغرت العلماء بشرحها وإعرابها ، فنالت من الشرح والتفسير ما لم تنله أية قصيدة أخرى ، فقد استمرت حركة الشروح للامية من القرن الثالث الهجري على يد المبرد وثعلب إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري على يدِّ ابن التلاميذ(١) ، وطيلة هذه القرون قل أن نجد قرناً يخلو من شرحٍ لها ٠

ولعل السرَّ في هذه العناية الغريبة التي لقيتها اللامية هو ما تنطوي عليه من وصف الحياة العربية وصفاً يكاد يكون متلازماً مع الصورة الأصلية ، ثم إنها تشتمل على كثير من الألفاظ اللغوية الغريبة ، ثم هي تبين حياة الصعاليك بالذات(٢) ٠ وقد بالغ بعض الأدباء في أهمية اللامية كثيراً ، حتى إن بعضهم لفق حديثاً ينسبه إلى الرسول ﷺ ، فادَّعوا أنه قال : " علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق "(٣) ٠

(١) لم أقف على ترجمته ولا شرحه ، انظر لامية العرب ، دراسة تاريخية نقدية ص٤٤ ، رسالة ماجستير ، إعداد محمد الطويرقى ، جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ ٠

(٢) الشنفرى شاعر الصحراء الأبى ، ص١١٠ ٠

(٣) المعجم المفصل في اللغة والأدب ١٠٥٩/٢ ، وبحثت فلم أجده في كتب الأحاديث الصحيحة ، وكذا في كتب الأحاديث الموضوعة والضعيفة ٠ انظر : الموضوعات لابن الجوزي وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ٠

والإدعاء في ذلك أوهن من بيت العنكبوت ، وذلك باتفاق الأدباء أنفسهم عدم معرفتهم من أطلق عليها هذه التسمية ؟ ومتى أطلقها ؟

إلا أني وجدت لأحد شراحها قولاً ينسبه لعمر ـ رضي الله عنه ـ وهو : "علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق "(١) ونسبة ذلك إلى عمر رضي الله عنه محتملة لما له رضي الله عنه من إلماحات في نقد الشعر ، فقد روي عنه قوله : علموا أولادكم العوْمَ والرماية ومروهم فليشبوا على الخيل رثبا ، ورووهم ما يجمل به الشعر(٢) . وقد كتب إلى أبي موسى : مُرْ من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب(٣) . وقد بلغت شروح اللامية عشرين شرحاً وهي :

- شرح أبي العباس محمد بن يزيد المبرد وقد اختلف في نسبته للمبرد حيث تردد بروكلمان في قوله " لعله لثعلب "(٤) ، وجزم سزكين في نسبته لثعلب بقوله : وهو في الواقع لأحمد بن يحيى بن ثعلب "(٥) . والشرح المنسوب إلى المبرد ، طبع في مطبعة الجوائب ، سنة ١٣٠٠للهجرة ، على هامش شرح الزمخشري لا تصح نسبته إلى المبرد !

وهذه واحدة من جملة الاختلاطات السيئة التي رافقت الحركة العلمية التي نشطت في العصر الحديث لنشر التراث ، فهذا الشرح ليس من المبرد في شيء ، وإنما هو لعالم كوفي أرجح أن يكون لواحد من تلامذة ثعلب ، أحمد بن يحيى ، أو أنه لثعلب نفسه نقله عنه أحد تلامذته فاختلط كلامه بكلام شيخه ، على غرار ما نجد في " نوادر أبي زيد " وغيره من كتب التراث .

والدليل على ذلك أن الشارح يصرح بأنه قرأه على ثعلب ، يقول : " والذي قرأناه على أبي العباس أحمد بن يحيى : سُقْبانها "(٦) ويقول أيضاً : " وأُحاظَةٌ

---

(١) سكب الأدب على لامية العرب ـ لسليمان بن شاوي ، مخطوط لوحه ـ ١ ـ .

(٢) الكامل في اللغة والأدب : ١٥٥/١ .

(٣) العمدة : ٨٢/١ .

(٤) بروكلمان ١٠٧/١ .

(٥) تاريخ التراث العربي ، ٥٢/٢ .

(٦) انظر الشرح : ص ٢٦ .

فيما ذكر أحمد بن يحيى : قبيلة من الأزد"[١] ويروي عن ابن الأعرابي الكوفي ، يقول : " وأنشدت عن ابن الأعرابي ، لرجل أكل حنظلاً ...."[٢] .

وصاحب الشرح لغوي صرف ، لا يعرج على قضايا الإعراب البتة ، فلو كان المبرد هو صاحب هذا الشرح لما أغفل الإشارات النحوية الفنية في القصيدة التي تغري بالشرح أمثاله من عباقرة النحو العربي .

- وشرح ثعلب ، ذكره بروكلمان ضمن شروحها[٣] وهذا الشرح تجاهله سزكين .
- وشرح أبي بكر بن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ وشرحه لها محفوظ في برلين[٤] .
- وشرح الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ ، وهو من أشهر شروحها وأذيعها صيتاً ، وقد أجاد في تناولها شرحاً وإعراباً ، وطبع هذا الشرح متناً للشرح المنسوب للمبرد سنة ١٣٠٠هـ بمطبعة الجوائب بالقسطنطينية باسم " أعجب العجب في شرح لامية العرب "[٥] . وقد نشر هذا الشرح بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ و ١٣٢٨هـ[٦] .
- وشرح ابن الشجري ، وهذا الشرح لم يذكره أحدٌ من الذين ترجموا لابن الشجري قديماً وحديثاً . ـ أو من تحدثوا عن شروح اللامية ـ وقد ذكره البغدادي في حديثه عن اللامية ، لكنه ذكر أنه لم يره[٧] .

---

(١) انظر الشرح : ص ٥٣ .

(٢) نفسه : ص٤٧ .

(٣) بروكلمان ١/١٠٨ .

(٤) المصدر السابق ١/١٠٧ .

(٥) أعجب العجب في شرح لامية العرب .

(٦) لامية العرب دراسة تاريخية نقدية ص٤٦ ، رسالة ماجستير ، إعداد محمد الطويرقي ١٤٠٦/١٤٠٧هـ.

(٧) الخزانة : ٣/٣٤١ .

وقد وقفت على نقلٍ عنه في كتاب " الأكسير في علم التفسير " لنجم الدين الطوفي الحنبلي ـ المتوفى سنة ٧١٦هـ وقال : وابن الشجري من أعيان أهل الأدب، حكي عنه شرح لامية العرب[١] .

وجاء بعده شرح العكبري[٢] المتوفى ٦١٦هـ ، وقد حظي بالعناية ونشر محققاً ثلاث مرات شرح لامية العرب للعكبري تحقيق وتقديم الدكتور محمد الحلواني ونشر سنة ١٤٠٣هـ ، وشرح لامية العرب للعكبري تحقيق الأستاذ رجب الشحات ، وإعراب لامية الشنفرى للعكبري ، تحقيق وتقديم محمد جُمران، ونشر سنة ١٤٠٤هـ[٣] .

ونشطت حركة الشروح في القرن السابع أكثر مما سبقه من قرون وشرحها محمد بن كجك التركي[٤] ، وتوجد نسخ منها في دار الكتب المصرية رقمها ١٧٣٦، ١٨٦٤ ، ٥٤٢ [٥] وقد ألَّف شرحه سنة ٦٩٨ [٦] . وشرحها أيضاً المؤيد ابن عبداللطيف النخجواني وقد ألَّف شرحه سنة ٩٨٢هـ . ولعله الشرح الوحيد في القرن العاشر .

---

(١) الأكسير ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) يقع ضمن محفوظات مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة تحت الأرقام التالية ٨١٠/٢٧ ، ٨٠/٧١ ، ٨٠/١٦٦ ، ٨٠/٥١٤ .

(٣) لامية العرب دراسة تاريخية نقدية ، رسالة ماجستير ، إعداد محمد الطويرقي ١٤٠٦/١٤٠٧هـ .

(٤) بروكلمان ١٠٨/١ .

(٥) أبو البقاء العكبري وأثره في الدراسات النحوية ، رسالة ماجستير لمحمد فؤاد أحمد ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢م .

(٦) بروكلمان ١٠٨/١ .

وقد أورد سزكين شروح اللامية بعد القرن العاشر كما يلي[١] :

- " عنوان الأدب بشرح لامية العرب " لأبي الإخلاص جاد ا لله الفيومي .
- " تفريج الكرب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العـرب " لمحمـد بـن قاسم ابن زاكور وقد نشر بالقاهرة مع شرح الزمخشري[٢] .
- " نهاية الأرب في شرح لامية العرب " لعطاء ا لله بن أحمـد المصري ، وقـد نشـر بالقاهرة مع شرح ابن زاكور والزمخشري[٣] .
- " سكب الأدب على لامية العرب " لسليمان الشاوي الحميري .
- " خلاصة الأدب على لامية العرب " لعبد الرحمن بن محمد .
- شرح لمؤلف يسمى محمد العصامي الدمشقي .
- شرح لمؤلف يدعى المجوسي .
- شرح عبدالهادي التازي .
- شرح من تـأليف أبـي نصـر محمـد بـن يحيـى بـن كـرم النحـوي بالاشـتراك مـع الواسطي.
- " إحقاق الحق وتبرؤ العرب مما أحدثـه عـاكش اليمـني في لغتهـم ولاميـة العـرب "لمحمد الشنقيطي المتوفى سنة " ١٣٢٠هـ "[٤] .

---

(١) تاريخ التراث العربي ٥٤/٢ ـ ٥٥ .

(٢) يقع ضمن محفوظات مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى تحت رقم ٥٣٨/أدب ، وتقـع في ٣٥ ورقة ، ويقع ضمن محفوظات مكتبة جامعة الإمام رقم ٨٥٦٢/ف ورقم ٨٦١٨/ف .

(٣) يقع ضمن محفوظات مكتبـة جامعـة الإمـام رقـم ١٠٦٠/ ف وضمـن محفوظـات مكتبـة الحـرم المكـي الشريف تحت رقم ١٩/أدب .

(٤) تقع ضمن محفوظات مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم ١/٨٠/٢٦ أدب .

وهذه شروحها بالعربية ، أما بالفارسية فقد عدَّ لها سزكين شرحين : الأول : لقاموس كوشتي غلام حسين السيراجي ، والثاني للطف بن أحمد المغاني التبريزي[١] ٠

وحسبنا أن نرى اهتمام النحاة وأصحاب اللغة باللامية ، فقد أخذوا منها شواهدهم ، فهذا الأستاذ عبدالسلام هارون [٢] يحصي اثنى عشر بيتاً وجدها في كتب النحاة كالخزانة للبغدادي[٣] ، ومغني اللبيب لابن هشام[٤] ، وشرح الأشموني[٥] ، والمنصف[٦] لابن جني ، وهمع الهوامع للسيوطي[٧] ٠ هذا فضلاً عن اهتمام معجمات اللغة وكتبها بمفردات اللامية[٨] ٠

وتتأكد عناية اللغويين والنحويين باللامية في أوضح صورها عند اثنين من أشهر شراحها ومن أكثرهم رسوخاً وسبقاً في ميدان الدرس النحوي فالزمخشري إمام في المشرق إمام في التفسير ، والعكبري إمام في بغداد إمام في النحو ، والقراءة٠

---

(١) تاريخ التراث العربي ٥٥/٢ ٠

(٢) انظر معجم شواهد العربية ٢٧٩/١ - ٢٨٠ وانظر معجم شواهد النحو الشعرية للدكتور حنا حداد ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ٠

(٣) الخزانة ٣٤٣/٣ ٠

(٤) مغني اللبيب ٥٢٧ ٠

(٥) شرح الأشموني ٥٥/٢ ٠

(٦) المنصف ، ٥٥٧ ٠

(٧) همع الهوامع ٤٠٥/١ ، ٣٦٣/٢ ٠

(٨) انظر على سبيل المثال لسان العرب ، مادة (حض) ١٣٢/٧ ، و (عرف) ٢٤١/٩ ، و (كها) ٢٣٤/١٥ ، و (ها) ٤٧٩/١٥ ، وانظر مقاييس اللغة مادة (كيح) ١٥/٥ ٠

وتجاوز الاعتناء باللامية علماء العرب ، إلى المستشرقين ، فقاموا يدرسونها وينقلونها إلى لغاتهم ، وهي عندهم من النصوص العربية الأولى التي تدرَّس في معاهدهم ، لتعلم اللغة العربية وتذوق جمال الأدب العربي . كان أولهم الفستردي ساسي (S.de Sacy) الذي ترجمها بالفرنسية ، وترجمعها جورج يعقوب إلى الألمانية، وقرنها بترجمة " روكرت " التي ظهرت سنة ١٨٦٤م ، وترجمة روس (Reuss) التي ظهرت سنة ١٨٥٣م ، ثم ترجمها المستشرق ريدهوس (Redhouse) إلى الإنكليزية[١] وطبعها في المجلة الآسيوية سنة ١٨٨١م .

كما ترجمت إلى اليونانية والإيطالية ، وإلى لغات أخرى حية وقديمة ، وعني أيضاً بدراستها المستشرق نولدكه فحققها[٢] .

وبالجملة فقد عني بها كثيرٌ من المستشرقين فبعدما نشرها (دهـ ساسي) أكبَّ المستشرقون على دراستها وترجموها شعراً ونثراً إلى لغاتهم مثل (فرنل) و (فيل) و (كوزجارتن) و (رويس) و (ديكرت) و(همبرجشستال) و (الغارت) و (أداماميكفتشا) و (فرين) و (ب.بليا) . واتجه آخرون إلى اقتناء مخطوطاتها ، والموازنات بين بعضها وبعض مثل (بيترمان) و (شيرنجر)[٣] .

ولقد شُغل كثير من الباحثين المعاصرين بقضية نشأة الشنفرى ونسبه وأخبار صعلكته حتى استحال الحديث عن اللامية إلى حديث عن صاحب اللامية . وكان من نتيجة هذا صرف جهود الباحثين عن التوجه للامية بدرس لغتها والكشف عن قضايا التركيب النحوي ومسائل التصريف .

---

(١) تقع ضمن محفوظاتنا ، وهي مترجمة للغة الإنجليزية .

(٢) لامية العرب نشيد الصحراء ، ٢٧ .

(٣) الزمخشري ، الدكتور أحمد الحوفي ٢٦٥ .

وقد كانت طريقة الشراح القدامى ، امتداداً في دراسات المعاصرين فلم يجاوز أكثر الدارسين المعاصرين في دراساتهم للامية صنيع الشراح حتى لكأن ما قاموا به ترديد لما في تلك الشروح ، يتضح ذلك في دراسات محمد بديع شريف ، فقد أتى في دراسته للامية على أكثر من النصف عن حياة قائلها وأخباره ثم أعقبه بشرح المفردات الأبيات مقتفياً طريقة الشرَّاح[1] .

وقد حاول بعض المحدثين في دراسة اللامية أن تكون محاولة لتقريب اللامية من نفوس الشباب وأذواقهم : " ولقد رأيت أن مجرد شرح أبيات اللامية لفظاً ومعنى مع إلقاء الضوء على بعض النواحي البلاغية ليس مما يفي بالغرض ، فأتبعت الشرح بتعليق لا غنى عنه يلقي الضوء على صاحب اللامية ، صفاته وظروفه البيئية والنفسية ....."[2] .

وهذا تأكيد لما سبق من اعتناء الباحثين بدراسة اللامية وصاحبها أكثر من الاعتناء بجملة اللامية تركيباً وإفراداً نحواً وصرفاً .

---

(١) لامية العرب ، محمد بديع شريف ص ٢٥ ، ولا مية العربية دراسة تاريخية نقدية رسالة ماجستير لمحمد الطويرقي ، ٧٤ ، ٧٢ ، ٧٨ .

(٢) شرح لامية العرب ، شرح ودراسة د. عبدالحليم حفني ، ٦ .

المبحث الثاني

منهج العكبري في شرح اللامية موازناً

بالشرحين التاليين :

أ ـ أعجب العجب في شرح لامية العرب للزمخشري

ب ـ نهاية الإرب في شرح لامية العرب لابن عطاء المكي.

وتشمل الموازنات :

١) طريقة التأليف .

٢) المصادر .

٣) الشواهد .

٤) المسائل النحوية والصرفية التي يتميز بها كل شرح عن الآخر .

٥) الخصائص العامة لكل شرح .

منهج العكبرى

أما منهج العكبري في كتابه إعراب لامية الشنفرى ، فقد نهج نهجاً واضح المعالم ، فمن أبرز هذه المعالم الإيجاز · حتى إن القارئ يمكنه أن يزعم أن " إعراب لامية الشنفرى " ضرب من التخليص من شروحات اللامية المختلفة ، كما نهج أبو البقاء منهجاً يتفق مع عنوان الكتاب ، فقد عَمِدَ إلى بيان الملحوظات الإعرابية مع شيء من الاختصار ·

ولعلّ هذه هي أفضل الطرق للتعامل مع الإعراب فلا يتطلب الأمر استعراض النصوص ، أو تحليلها وربما كانت هذه الطريقة متناسقة مع فقد أبي البقاء لعينيه فالسماع يكفي لتوجيه الإعراب وفيما يأتي بيان ما سبق :

ففي البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ   فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأَمْيَلُ

يلج في أصل الملحوظة الإعرابية مباشرة ويقول : الكلام فيه على ثلاثة اشياء: على (الفاء) وعلى (سوى) وعلى (أميل) ثم يذكر الأحكام النحوية المتعلقة بذلك · ثم إنه يذكر المعنى اللغوي لمفردات الأبيات ويظهر هذا بجلاء في أول الشرح حيث يقول : قال الشنفرى الأزدي :

(الشنفرى العظيم الشفتين)[1] وانظر على سبيل المثال شرح البيت

(١) إعراب اللامية : ص٥٧ ·

الخامس[١] والحادي عشر[٢] ، والثاني عشر[٣] والرابع عشر[٤] والثامن عشر[٥] وغيرها كثير ، وينسحب هذا الحكم على بعض شرح أبيات القصيدة ولكن ذلك ليس على حساب ذكر القضايا النحوية أو إعراب أبيات القصيدة ، إلا أنه ربما عدل إلى الإعراب مباشرة دون الخوض في بيان المعنى اللغوي للأبيات على سبيل المثال البيت الأول[٦] والرابع[٧] والسادس[٨] والعاشر[٩] والسادس عشر [١٠] . ويكتفي العكبري بذكر إعراب البيت فقط بدون أن يسوق الأدلة على نقط الخلاف بآراء النحويين ، وهو محيط بهذا الخلاف ، ففي البيت الأول مثلاً يعرب (سوى) ويقول وهي ههنا صفة (لقوم) في موضع جر ، وأكثر ما تقع ظرفاً وقد تقع فاعلاً كقول الآخر :

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَا ... نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا

والعكبري مع إحاطته بهذا الخلاف بين البصريين والكوفيين في القول بين

(١) إعراب اللامية : ص٦١ .
(٢) المرجع نفسه : ص٤٢ .
(٣) المرجع نفسه : ص٧٣ .
(٤) المرجع نفسه : ص ٧٥ .
(٥) المرجع نفسه : ص ٨٠ .
(٦) المرجع نفسه : ص ٥٧ .
(٧) المرجع نفسه : ص ٦٠ .
(٨) المرجع نفسه : ص ٧٠ .
(٩) المرجع نفسه : ص ٧١ .
(١٠) المرجع نفسه : ص٧٨ .

ظرفية " سوى " واسميتها إلا أنه لم يتطرق إليه مع أنه عقد فصلاً في اللباب[١] عن " سوى " ، وكذا في التبيين [٢] ٠

وكذا في البيت الخامس عشر :

ولا جُبّا أكْهَى مُرب بِعِرسْـــه يُطَالِعُها في شَأْنِه كَيْفَ يَفْعَــلُ

يتناول العكبري إعراب البيت حتى يصل إلى إعـراب " بعرسـه " ويقـول : "والباء بعرسه بمعنى " في أي مقيم في بيت عرسه ويجوز أن تكون بمعنـى "علـى" أي مقيم على عرسه[٣] ٠

والعكبري يشير هنا إلى معنى الاستعلاء في الباء ، ولم يرد هذا المعنـى للبـاء عند أكثر النحويين ، ومع أنه تناول باب حروف الجر وعقد فصلاً " للبـاء " في كتاب اللباب[٤] إلا أنه هنا وفي إعراب هذا البيت لم يتطرق إلى ما ذكره في معاني " الباء " مما يؤكد أن العكبري يشرح ويعرب البيت دون الخوض في نقط الخـلاف مع إحاطته بذلك الخلاف ٠

وكذا " كيف " فقد قال عنها " وموضع " كيف " نصبٌ بـ (يفعل) والأقوى أن تكون حالاً ، وقيل " هو " ظرف " ٠

والقول بظرفية (كيف) وأسميتها مسألة خلافية بين النحويين ومع إحاطة العكبري بذلك إلاَّ أنه لم يتطرق إليه ، مع العلم أن العكبري قد خـصَّ " كيـف " بمسألة وحدها وساق خمسة أدلة على اسميتها[٥] ٠

---

(١) انظر اللباب في علل البناء والإعراب ٣٠٩/١ ٠

(٢) التبيين ٤١٩ ٠

(٣) إعراب اللامية : ص٧٦ ٠

(٤) اللباب ٣٦١/١ ٠

(٥) انظر مسائل الخلاف ص ٥٥ والتبيين ١٢٩ واللباب ٨٦/٢ ٠

وفي البيت الثاني والعشرين :

وأستفُّ تُرب الأرض كي لا يرى لــهُ علَيَّ من الطَّول امرؤٌ مُتطوِّلُ

يعرب العكبري : من الطول " ويقول : " من الطول " نعت لمفعول محذوف تقديره " شيئاً من الطول " هذا مذهب سيبويه ، وقال الأخفش : من زائدة " والطول مفعول " يرى " والعكبري هنا اكتفى بعرضه الآراء[١] ، مع أنه عقد مسألة في اللباب أسماها : لا يجوز زيادة " مِنْ " في الواجب[٢] ٠

ويميل العكبري في إعرابه للأبيات إلى التقسيم في ذكره للأوجه الإعرابية ، ففي البيت السادس :

هُمُ الأَهلُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذائعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَاني بِما جَرَّ يُخْذَلُ

يقول : في " ما " وجهان : أحدهما بمعنى الذي ، والعائد محذوف أي (بما جرَّه) ٠ والثاني : مصدرية ، أي بجريرته[٣] ٠

وفي البيت الثامن :

وإنْ مُدَّدت الأَيدي إلى الزَّادِ لَمْ أكُنْ بَأعْجَلِهِم إذْ أجْشَعُ القَوْمِ أعْجَلُ

يقول : ومن حُكْم (لم) أن تَرُدَّ الفعل المستقبل إلى الماضي ، والماضي هنا لا معنى له في جواب الشرط ، لأن الشرط لا معنى له إلاَّ في المستقبل ، فعلى هذا فيه ثلاثة أوْجُه :

الأول : أن (لم) إذا وليت حرف الشرط تقرر الفعل المستقبل على بابه ، ويَمْنَعُ الشرط رَدَّ المضارع إلى الماضي ، فكذلك جواب الشرط لتعلقه بالشرط ٠

---

(١) إعراب اللامية : ص٨٦ ٠
(٢) اللباب ١/٣٥٥ ٠
(٣) إعراب اللامية : ص٦٨ ٠

الثـاني : أن (لم) ههنـا بمعنـى (لا) ولا تقـع في جـواب الشـرط ، ولا تفسـير معهنى الاستقبال .

الثالث : أن الشرط والجـواب هنـا لحكايـة الحـال ، ولا يـراد بـه الاسـتقبال في المعنى ، فلذلك وقعت (لم) في جواب الشرط[1] .

وفي البيت الثاني والعشرين :

وأستفُّ تُرب الأرض كي لا يرى لـه عليَّ من الطَّولِ امرؤٌ مُتطوِّلُ

يقول : لام (كي) فيهـا وجهـان : أحدهمـا : حـرف جـر بمعنـى الـلام فينتصب الفعل بعدها (بأنْ) مضمرةً أي لئلا .

والثاني : أن تكون بمعنى (أن) تنتصب الفعل بنفسها ، والتقدير (لكيلا) .

وفي البيت الحادي والأربعين :

فعبَّت غِشاشاً ثمَّ مرَّتْ كأنَّهـا مع الصُّبح ركبٌ من أُحاظة مُجفـل

يقول (غشاشاً) فيه وجهان : أحدهما : أنه مفعول عبت .

والثاني : هو حال ، أي عبَّت عَجِلةً[2] . كما يميل العكبري في شرحه إلى طريقة التجويز والترجيح تلمس ذلك في أغلب إعراب أبيات القصيدة .

ففي البيت الثاني :

فقد حُمَّت الحاجات والليل مقمرٌ وشُدَّت لطيّاتٍ مطايا وأرحـلُ

يقول : والليل مقمر : يجوز أن تكون الجملة حالاً وأن تكـون مسـتأنفة لا موضـع لها[3] .

---

(١) إعراب اللامية : ص٦٩ .

(٢) المرجع نفسه : ص١١١ .

(٣) المرجع نفسه : ص٥٩ .

وفي البيت السابع :

وكلٌّ أبيٌّ باسلٌ غير أنَّنـــــي إذا عرضت أولى الطرائد أبسـلُ

يقول : " أبيٌّ " خبر " كل " وأفرد لفظ الخبر حملاً على لفظ " كل " ويجـوز أن يأتي جمعاً حملاً على معناها[1] ، ومن الإفراد قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّهُـمْ آتِيـه يَـوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً ﴾ [2] ، ومن الجمع قوله تعالى ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾[3] .

وفي البيت العاشر :

وإنّي كَفَاني فَقْدَ مَنْ ليس جَازِياً بِحُسْنَى ولا في قُرْبَةٍ مُتَعَلَّـلُ

يقول : " ومتعلل " يجوز أن يكون معطوفاً على اسم " ليـس " ويجـوز أن تكـون الجملة المعطوفة " ولا في قربة متعلل " مستأنفة[4] .

وفي البيت الخامس عشر :

ولا جُبّأء أكهى مربٍّ بعرســه يُطالعها في شأنه كيف يفعـلُ

يقول : وموضع " كيف " نصب بـ (يفعل) والأقوى أن تكون حالاً ، وقيـل هـو ظرف [5] .

---

(١) إعراب اللامية : ص٦٦ .

(٢) مريم : ٩٥ .

(٣) النمل : ٨٧ .

(٤) إعراب اللامية : ص٧٢ .

(٥) المرجع نفسه : ص٧٨ .

ويستأنس العكبري بآراء النحويين في إعراب أبيات القصيدة فنجده يدلل على الإعراب بقوله : وهي أصل عند سيبويه[١] ، أو " وهذا على قول الأخفش[٢] ، وربما عدل إلى أن يقول : وقال بعضهم • أو قيل ، أو إلى هذا ذهب أكثر الناس[٣] • أو عند الجمهور[٤] ، أو في المسألة كلام طويل[٥] •

(١) إعراب اللامية : ص ٦٢ •
(٢) المرجع نفسه : ص٦٢ •
(٣) المرجع نفسه : ص٦٦ •
(٤) المرجع نفسه : ص٨٨ •
(٥) المرجع نفسه : ص٨٩ •

مصادر العكبرى فى إعراب أبيات اللامية

استدل العكبري في إعرابه لأبيات اللامية بجملة من أقوال النحاة كسيبويه[١] ، والأخفش[٢] ، وابن كيسان[٣] وأبي علي الفارسي[٤] ، وقد يعمد العكبري في استدلاله بذكر عبارة : " وقال بعضهم " ، وقال : " أكثر الناس " ، و " قيل " ، وهذه المصادر الأعلامية التي ساقها العكبري هي مما يستأنس بها في تقرير الآراء النحوية وفيما يأتي مواضع ورود تلك الأعلام وفيما وردت :

ففي مسألة ياء " سيِّد " أصل أم بدل من واو والواردة في البيت الخامس :

ولي ، دونكم أهلون سيدٌ عملَّسٌ وأرقطُ زُهلولٌ وعرفاءُ جيألُ

يستدل العكبري بقول سيبويه بأن " الياء " أصل ٠ وقد تناول سيبويه هذه المسألة تحت باب " ما تقلب الواو فيه ياء "[٥] ٠

وفي مسألة زيادة " من " في الواجب الواردة في البيت الثاني والعشرين:

وأستفُّ تُرب الأرض كي لا يرى لهُ عليَّ من الطَّول امرؤٌ مُتطوِّلُ

يستدل العكبري بمذهب سيبويه بعدم جواز زيادة " من " في الواجب وما وقع من هذا القبيل بأن " من " وما بعدها نعت لمحذوف مقدر ، وهذه المسألة تناولها سيبويه ونفى زيادة " عن " و " على " و " من " في الاثبات وأماٍ من الواقعة في النفي فأنها تكون عرضة للحذف[٦] ٠

---

(١) إعراب اللامية : ٦٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١٣٥ ٠
(٢) المرجع نفسه : ٦٢ ، ٨٧ ، ١١٠ ، ١٣٢ ٠
(٣) المرجع نفسه : ٨٩ ٠
(٤) المرجع نفسه : ص ١٠٤ ٠
(٥) الكتاب ٣٦٥/٤ ٠
(٦) المرجع نفسه ٣٨/١ ٠

وقد عزز العكبري مذهب جواز زيادة " من " في الواجب في أربعة مواضع في كتابه إعراب الحديث النبوي "(١) .

واستدل العكبري بمذهب الأخفش في مسألة " رافع الاسم الواقع بعد الظرف أو الجار والمجرور " والواردة في البيت الخامس :

ولي ، دونكم أهلون سيدٌ عملَّسٌ وأرقــطُ زُهلولٌ وعرفاءُ جيــألُ

ففي إعراب البيت يقول العكبري : " وعلى قول الأخفش (أهلون) رفع بالجار وهو فاعل " ، وهذا مذهب الكوفيين أن الظرف يرفع الاسم إذا تقدم عليه، وأختاره المبرد وهو من البصريين ، وذهب البصريون إلى أن الظرف لا يرفع الاسم إلا إذا تقدم عليه وإنما يرتفع بالابتداء(٢) .

علّق العكبري على مذهب الأخفش بقوله : وللأخفش في عمل الظرف قول ينفرد به(٣) .

وقد استدل العكبري على مذهب الأخفش في " زيادة من في الواجب " الواردة في البيت الثاني والعشرين :

وأستفُّ تُرب الأرض كي لا يرى لهُ عليَّ من الطَّولِ امرؤٌ مُتطــوِّلُ

وفي البيت الأربعين :

توافين من شتَّى إليه فضمَّهــــا كما ضمَّ أذوادَ الأصاريم منهــلُ

ففي إعراب البيت الثاني والعشرين قال العكبري: وقال الأخفش: "من زائدة"(٤) .

---

(١) إعراب الحديث ٤٢ ، ٥٠ ، ١٢٧ ، ٤١٧ .

(٢) الإنصاف ١/٥١ .

(٣) إعراب لامية الشنفرى ص ١٣٢ .

(٤) لم يذكر محقق اللامية أماكن ورود أقوال النحاة في مؤلفاتهم مما أعياني طلابها ، ومن ذلك هذه المسألة ـ انظر معاني القرآن للأخفش ١/٢٧٢ .

وقد ذكر العكبري مذهب الأخفش في مقابل مذهب سيبويه ، إلا أنه تكلف في إعراب قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا أتَيْنَاها إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيم عَلِيمٌ﴾[١] ، مما يدل على تجويزه زيادة " من "[٢] ، إلاَّ أنه أنكر زيادتها في قوله تعالى : ﴿ لَهُ فيها مِنْ كلِ الثَمَرَات ﴾[٣] ، واضطرب مذهبه في اللباب حيث منع زيادة " من " في الواجب[٤] .

وفي مسألة " القول في العامل في الاسم المرفوع بعد لولا " الواردة في البيت الثالث والعشرين :

ولولا اجتنابُ الذَّأْمِ لم يُلفَ مشربٌ يعُاش به إلاَّ لديَّ ومأكلُ

أعرب العكبري الاسم الواقع بعد لولا مبتدأ خبره محذوف عند الجمهور ثم أورد ما نصَّه : " وقال بعضهم : هو فاعل أي الاسم الواقع بعد لولا ، وجعلها تعمل على الفعل[٥] .

والعكبري لم يرجح رأياً في هذه المسألة بينما نجده في التبيين يقرر المذهب البصري بقوله : " الاسم الواقع بعد " لولا " التي يمتنع بها الشيء لوجود غيره يرتفع بالابتداء "[٦] .

وقيل : يرتفع بفعلٍ محذوف ، أي لولا وُجد زيدٌ .

(١) الأنعام : ٨٣ .

(٢) انظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢٤١/١ ، ٢٧٧/١ ، ١٥٥/٢ .

(٣) انظر إملاء ما منَّ به الرحمن ١١٤/١ ، والآية من سورة " البقرة " ٢٦٦

(٤) اللباب ٣٥٥/١ .

(٥) نسب الزمخشري هذا القول في (أعجب العجب ص٣٥) لابن كيسان ، ونقله أبو حيان في الارتشاف: ٥٧٦/٢ .

(٦) التبيين ، ٢٣٩ .

ولم ينسب العكبري هذا القول لأي من النحاة ، بينما نسبه للكوفيين في اللباب والتبيين[١] .

وفي مسألة " واو " رب بين البصريين والكوفيين ، الواردة في البيت الرابع والخمسين :

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلي القَوْسَ رَبُّها وَأقْطَعَهُ اللاّتي بها يَتَنَبَّلُ

عمد العكبري إلى تناول الأوجه الإعرابية دون نسبة إلى صاحبها ، فقد قال: " وليلة نحس " مجرورة " بـرب " مضمرةً وقيل : " جره بالواو " وهذه مسألة خلافية بين البصريين القائلين إن واو (رب) لا تعمل ، وإنما العمل لرب مقدرة ، وبين الكوفيين القائلين بعمل واو (رب) بالخفض في الاسم الذي يليها"[٢] .

واستأنس العكبري برأي لأبي علي الفارسي الذي أجاد فيه العكبري بحسن قياسه وذلك في مسألة " وقوع " إن الشرطية قبل " لم " وأيهما الجازم والواردة في البيت الرابع والثلاثين :

شَكَاَ وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وارْعَـوَتْ وَلَلصَّبْر ، إنْ لَمْ يَنفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ

قال العكبري : وجزم (ينفع) بـ " لم " لا بـ " إن " ؛ لأن (لم) قد ثبت أنها عاملة قبل دخول (إن) بلا خلافٍ ولا يجوز التفريق بينها وبين محمولها فهي ألزم له و " إن " قد جاز إلغاؤها عن العمل ، ألا ترى إلى قوله

---

(١) اللباب ١/١٣٢ ، والتبيين ٢٣٩ .

(٢) انظر الإنصاف ١/٣٧٦ .

تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِين فَرَوْحٌ ﴾[١] أن الفاء جواب (أمَّا) لا جواب (إن كان) هكذا قال أبو علي[٢] .

ويظهر استئناس العكبري برأي أبي علي الفارسي في إعراب البيت السابق انتقل معه في إعراب قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِين فَرَوْحٌ....﴾ حيث يقول : " فأما إن كان " جواب أما (فروح) وأما " إن " فاستغنى بجواب "أما" عن جوابها لأن " إن " قد حذف جوابها والتقدير " فله روح "[٣] .

هذه هي مصادر العكبري في إعراب أبيات اللامية والتي اعتمد فيها على إمام الصناعة سيبويه ثم أبرِّ تلاميذه به الأخفش مع عرض لمذهب البصريين والكوفيين عرضاً غير مباشر وجدناه في إشاراته مثل قيل أو ذهب بعضهم " ويظهر بجلاء ميل العكبري للمذهب البصري في أغلب إعراب الأبيات مع إعتاده الكامل بتوجيهاته الإعرابية التي ذهب إليها .

(١) الواقعة : ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) إعراب اللامية ، ١٠٤ .

(٣) انظر : التبيان ٢/٢٥٥ .

شواهد العكبري :

يدرك الناظر في إعرابه لأبيات اللامية إمامة العكبري في القراءة كما هي في النحو ، فهو يكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم حيث أورد أكثر من ثلاثة وعشرين شاهداً وذلك بمعدل شاهد على كل بيتين ونصف تجد ذلك بدءاً من البيت الأول وانتهاءً حتى البيت التاسع والخمسين ٠

ويسوق العكبري الشاهد القرآني تدليلاً على إعرابه لأبيات اللامية ، ويجيد في ذلك وضع الشاهد القرآني في موضعه في أصل المسألة ففي البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأمْيَلُ

يقول في إعرابه : أما "إلى" " فتتعلق " بأميل " لما قبلها من معنى الفعل ، ولم يمنع من ذلك لام التوكيد ، لأنها مؤكدة لمعنى الفعل ٠ وقد قال تعالى : ﴿وَإنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاس بِلِقَاء رَبِّهِم لَكَافِرُونَ﴾[1] ٠

وربما ساق العكبري الشاهدين على المسألة ومن ذلك إعراب " كل " في البيت السابع :

وكلٌّ أبيٌّ باسلٌ غير أنَّني إذا عرضت أولى الطرائد أبسلُ

فيقول : " وكل " يريد كل واحدٍ من هؤلاء المذكورين أو كلهم ، فحذف المضاف إليه وهو " يريده " وبقي حكم الإضافة ، وهو تعريف (كل) ولذلك تقول مررت بكلٍّ قائماً ، وبكل قاعداً ، فتنصب عنه الحال ٠ ومنه قوله تعالى :

(١) الروم ، آية ٨ ، وتلحظ في كتاب العكبري " التبيان " اتفاق إعراب البيت مع إعراب الآية انظر التبيان ٢/١٨٤ ٠

﴿ وَلِكلٍّ دَرَجَاتٌ ﴾[(١)] و قوله ﴿ وَكُلاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ ‥﴾ كلاً نقص عليك "[(٢)] ٠
ولا يكتفي العكبري بإعراب البيت بل يحاول توليد المسائل واستظهار الأدلة وهذا يسير على إمام في القراءة كالعكبري ، ففي البيت السابع :

وَكُلٌّ أَبِيٌّ باسلٌ غَيْرَ أنَّـي   إذَا عَرَضَتْ أُوْلَى الطَّرَائِدِ أبْسَـلُ

نلحظ فيه : ثلاث مسائل ، الأولى حذف المضاف إليه وبقاء حكم الإضافة، والثانية مسألة " كل " وامتناع تعريفها بالألف واللام ، والثالثة : إفراد خبرها أو جمعه ٠

وقد دلل العكبري على المسألة الأولى بدليلين من القرآن الكريم ، وعلى الثانية بمذهب أكثر الناس أن " كلاً " لا تدخل عليه الألف واللام ٠ وإلى هنا نستطيع أن نقول بإنتهاء إعراب البيت ، إلاَّ أن العكبري ولَّد المسألة الثالثة بقوله: وهو مرفوع بالابتداء " كل " و " أي " خبره ، وإلى هنا أيضاً نستطيع أن نقول بإنتهاء إعراب البيت ، إلاَّ أن العكبري فضَّل أن يتحدث عن أحوال خبر "كل" فقال : " أبي " خبر " كل " وأفراد لفظ الخبر حملاً على لفظ " كل " ويجوز أن تأتي جمعاً حملاً على معناها ، ولا يكتفي العكبري بهذا بل يسوق الأدلة على ذلك فيقول : من الإفراد قوله تعالى : ﴿ وَكلُّهمْ آتِيه يَوَمَ القِيَامَةِ فَرداً﴾[(٣)] ٠ ومن الجمع قوله تعالى : ﴿ وكلٌّ آتوهُ دَاخِرِين ﴾[(٤)] ٠

---

(١) الأنعام ١٣٢ ٠ والأحقاف ١٩ ٠

(٢) هود ، ١٢٠ ٠

(٣) سورة مريم آية ٩٥ ٠

(٤) سورة النمل آية ٨٧ ٠

ويتوافق هذا الإعراب في البيت مع ما ذكره العكبري في كتاب إملاء ما منَّ به الرحمن ، في قوله : ﴿ إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾(١) ، حيث قال : " إلا آتي " خبر كل ، ووحدَّ آتي حملاً على لفظ كل وقد جمع في موضع آخر حملاً على معناها ومن الإفراد ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾(٢) .

ولا نجد العكبري في شواهده في إعراب الأبيات يستشهد بالأحاديث النبوية، مع إدراك العكبري لقضية الاستشهاد بالحديث والتي ظهرت في القرن السابع ، ومع استشهاده بعدد وافر في كتابه اللباب ، فضلاً عن تأليف كتاب "إعراب الحديث النبوي " وهذا أمر لم أهتدِ إليه بعد . علماً أن صلاحية الاستشهاد بالحديث على مسألة ما لا يمنع إذا كان وفق المعايير المعتبرة في الاستشهاد بالحديث والتي ناقشها أئمة النحو وغيرهم ، من مثل الأحاديث التي لا ينبغي الاختلاف بالاحتجاج بها في اللغة والقواعد(٣) .

ولا يمنع من تكرار الاستدلال بالحديث على مسألة واحدة بين المؤلفات ، فمثلاً في مسألة كسر همزة " إن " بعد ثم في صدر الاستئناف تناولها العكبري في إعراب البيت الثامن والأربعين :

إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُها ثُمَّ إِنَّهَا تَثُوبُ فَتَأْتي مِنْ تُحَيْتُ وِمِنْ عَلُ

وقال : وإن بعد ثم مكسورة لأنها صدر جملة مستأنفة ومثل عليها بقوله

---

(١) سورة مريم : ٩٣ .

(٢) سورة مريم: ٩٥ ، وانظر إملاء ما منّ به الرحمن ١١٨/٢ وانظر اللباب ٤٠١/١ وشرح المفصل ٥٤/١ .

(٣) أصول النحو ، ص ٥٥ .

تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾(١) . إلاَّ أن العكبري لم يستشهد على ذلك بالحديث ، مع وجود المسألة في كتابي اللباب ، وإعراب الحديث ، حيث أورد فيهما مسألة كسر همزة إن إذا كان ما بعدها مستأنفاً ، ودلل العكبري على ذلك بحديث ابن عمر رضي الله عنهما : " كانت تلبية رسول الله ﷺ : لبيك الله ثم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك "(٢).

كما نجد العكبري لا يستدل بالآثار في إعراب أبيات اللامية ، ففي البيت السابع والعشرين :

غَدَا طَاوِياً يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِياً   يَخُوتُ بأذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعْسِلُ

يقول : الباء في " بأذناب " بمعنى " في " وينتهي من إعراب البيت بذلك، بينما نجده يستدل على ذلك في اللباب بقول أبي بكر رضي الله عنه : " لا خير بخيرٍ بعده النارُ ولا شر بشر بعده الجنةُ "(٣) ، ويقول والباء في قوله " بخير بمعنى في " (٤) .

كما استشهد العكبري في إعراب أبيات اللامية ، بالشعر وذلك بسبعة أبيات وهي ممن يستشهد بشعرهم كامرئ القيس ، والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى، وهذه الأبيات المستشهد بها قليلة إذا قيست بمجموع المسائل النحوية

(١) المؤمنون : ١٥ .

(٢) اللباب ١/٢٢٣ ، وإعراب الحديث ٢٣٠ . والحديث في صحيح البخاري ، كتاب الحج ، ومسند ابن ماجة المجلد الثاني ص٢٩١ .

(٣) من خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في أول خلافته ، وقبله : اعلموا أنكم مدينون ، وإن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته ، أما أنه لا خير بخير بعده النار ، ولا شر بشر بعده الجنة . انظر تاريخ الطبري : ٣/٢٢٥ . وسيأتي بيان ذلك ضمن مسألة زيادة الباء .

(٤) اللباب ١/٢٤٦ .

وإذا قيست بعدد أبيات اللامية ، وقد تكررت ثلاث أبيات منها ما بين كتابي اللباب[١] ، ومسائل خلافية في النحو[٢] ، استشهد بها العكبري على المسائل النحوية الواردة في تلك الكتب ٠

وقد أفاض العكبري في شرح أبيات اللامية ، واعتمد في ذلك على المواد اللغوية والتي زادت على مائة وسبعين مادة اقتصر في معظمها على المعنى اللغوي للمادة مما يذكرنا بطبيعة المعاجم اللغوية ، حيث نجده يذكر الأماكن والمواضع وأسماء الأشياء ، مما يخيل للقارئ أنه أمام معجم لغوي زاخر بالمفردات الغريبة ولعل هذا يعود إلى احتواء اللامية على الغريب من الألفاظ والتراكيب وقد أحسن العكبري التعامل مع تلك الغرابة والتي يؤكد الدكتور محمد حلواني أن العكبري اعتمد في شرح المفردات الغريبة على الشرح المنسوب لأحد تلاميذ ثعلب[٣] ٠

ولا نجد العكبري مع هذه الوفرة في المواد اللغوية يستدل بلغات العرب ضمن شرح وإعرابه لأبيات اللامية ، وذلك ما نجده عند غيره من الشرَّاح كالزمخشري مثلاً ، أما المسائل النحوية والصرفية التي تناولها العكبري فهي تزيد على ثلاثين مسألة نحوية وصرفية كان نصيب المسائل الصرفية منها مسألتين٠

(١) اللباب : ١/٤٤ ، ١/٤١١ ٠

(٢) مسائل خلافية في النحو : ص١٢١ ٠

(٣) شرح لامية العرب : ١٣ ٠

المسائل النحوية والصرفية فى شرح العكبرى

لم يكن اهتمام النحاة وأصحاب اللغة باللامية إلاَّ دليلاً على ما وجدوا فيها من مسائل نحوية أو صرفية ، وحسبنا على هذا ما أحصاه الأستاذ عبدالسلام هارون شواهدَ وجدها في كتب النحاة بلغت اثني عشر بيتاً [(١)] ، وكان لأبي البقاء المجال في تناول هذه المسائل فقد بلغت المسائل النحوية أكثر من ثلاثين مسألة ، تناولها النحاة بالدراسة والتحليل ، فما يذهب إليه أبو البقاء من آراء وجدته في كتب النحاة مبثوثة ولو أردنا على هذا الدليل لطال الكلام وفات الغرض من هذه الدراسة ولكن على سبيل المثال :

في البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأمْيَلُ

يقول : الكلام فيه على ثلاثة أشياء : على (الفاء) وعلى (سوى) وعلى (أميل) ٠

ففي مسألة (فاء السببية) يقول : فأما (الفاء) فإن فيها تنبيهاً على أن ما قبلها علة لما بعدها ٠ ونجد أن ما قاله أبو البقاء ، قاله المبرد في المقتضب[(٢)] ، وابن السراج في " الأصول "[(٣)] وابن الأنباري في " الإنصاف"[(٤)] وغيرهم ٠

---

(١) انظر معجم شواهد العربية لعبد السلام هارون ٢٧٩/١ ـ ٢٨٠ ٠

(٢) المقتضب : ٣٣/٢ ٠

(٣) الأصول : ١٨٢/٢ ٠

(٤) الإنصاف : ٥٧٧/٢ ٠

وفي مسألة "سوى" بين الاسمية والظرفية ، فقد ذكرها سيبويه في "الكتاب"[١] والمبرد في "المقتضب"[٢] وابن السراج في " الأصول "[٣] والفارسي في " الحجة "[٤] وابن الأنباري في " الإنصاف "[٥] و " أسرار العربية "[٦] وغيرهم٠

وسار أبو البقاء في إعرابه لأبيات اللامية على طريقة رائعة تجمع بين الشرح اللغوي لأبيات اللامية ثم الإعراب وهي طريقة وإن كانت مشتركة بين أغلب الشرّاح ، إلا أن أبا البقاء أكثر وضوحاً حيث يذكر أولاً المعنى اللغوي عقب البيت مباشرة ثم يذكر الإعراب وهذا في جميع أبيات اللامية ما لم يكن المعنى اللغوي واضحاً فينتقل مباشرة للإعراب ولإبي البقاء تجربة في مسائل الخلاف إن كانت تأليفاً أو تناولاً ، ولم تخل أبيات اللامية من مسائل خلافية أجاد أبو البقاء في تحليلها ولكن على إيجاز ، وأبو البقاء مع عنايته بمسائل الخلاف ، إلا أنه يمر على المسائل التي وردت في اللامية مروراً سريعاً ، فهو يكتفي بذكر إعراب البيت فقط بدون أن يسوق الأدلة على نقط الخلاف بآراء النحويين إذ لا نجد أبا البقاء يطيل الوقوف عندها ، بينما نجدها بنصها في فصول مستقلة ومباحث في كتبه الأخرى كاللباب ، والتبيين ، ومسائل خلافية ، والتبيان في إعراب القرآن٠ وسوف نمثل على إيجاز ففي البيت الأول :

(١) الكتاب : ٤٠٧/١ ٠

(٢) المقتضب : ٣٤٩/٤ ٠

(٣) الأصول : ٢٨٧/١ ٠

(٤) الحجة : ١٨٧/١ ٠

(٥) الإنصاف : ٢٩٤/١ ٠

(٦) أسرار العربية : ٣٣٣ ٠

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأمْيَلُ

فـ " سوى " مسألة خلافية بين الاسمية والظرفية(١) ، نجـد أبـا البقـاء في إعرابها في البيت يقول : سوى هنا صفة (القوم) في موضع جر وأكثر تقع ظرفاً، وقد تقع فاعلاً .

وقد بسط أبو البقاء القول في هذه المسألة في : التبيين(٢) وعقد لهـا فصـلاً في اللباب(٣) ، وذكرها في شرح اللمع(٤) .

وفي مسألة " رافع الاسم بعد الظرف " والتي وردت في البيت الخامس :

وَلِي دُونَكمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

يقول أبو البقاء : وعلى قول الأخفش (أهلون) رفع بالجـار وهـو فـاعل(٥) وهذا أكثر ما قاله أبو البقاء نقلاً عن الأخفش ، إلاَّ أنه في اللباب يعقد فصلاً لهذه المسألة(٦) ، والأمثلة على ذلك كثير وهذا ما يؤكـده أن أبـا البقـاء يشـرح ويعـرب البيت دون الخوض في نقاط الخلاف مع احاطته بذلك الخلاف .

وأعجب كيف يحيط أبو البقاء بالمسائل النحويـة والصرفيـة الـتي وردت في أبيات اللامية والتي نجدها بنصوصها في كتبه الأخرى ، وليتنا نعلم أيهما الأسبق في التأليف اللامية ، أم التبيان ؟ لأننا نجد توافقاً تاماً في التوجيهات الإعرابيـة، ففي مسألة " لم وأحكامها " والتي وردت في البيت الرابع والثلاثين :

---

(١) الإنصاف ٢٩٥/١ .
(٢) التبيين ، ٤١٩ .
(٣) اللباب ٣٠٩/١ .
(٤) اللمع ، ٩٨ .
(٥) إعراب اللامية .
(٦) اللباب ١٤٣/١ .

شكا وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت　　　وللصبر ، إن لم ينفع الشكو أجملُ

قال أبو البقاء : وجزم تنفع بـ"لم" لا بـ " إن " ؛ لأن (لم) قد ثبت أنها عاملة قبل دخول " إن " بلا خلاف ، ولا يجوز التفريق بينها وبين معمولها ، فهي ألزم له ، و " إن " قد جاز إلغاؤها عن العمل[١] ، ويقيس أبو البقاء على هذه المسألة قوله تعالى ﴿ **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم**﴾[٢] فالفاء جواب " أمَّا " لا جواب " إن كان " وهذا رأي أبي علي الفارسي[٣] . ويظهر استئناس أبي البقاء برأي أبي علي الفارسي ينتقل معه في إعراب قوله تعالى : ﴿ **فأما إن كان من المقربين فروح ...**﴾ حيث يقول : جواب أما (فروح) وأما " إن " فاستغنى بجواب " أما " عن جوابها لأن " أن " قد حذف جوابها والتقدير "فله روح"[٤] .

وفي مسألة : كل وإفراد خبرها أو جمعه " الواردة في البيت السابع :

وكلٌّ أبيٌّ باسلٌ غير أنَّني　　　إذا عرضت أولى الطرائد أبسلُ

يقول أبو البقاء و " أبي " خبره ، وأفرد لفظ الخبر حملاً على لفظ (كل) ويجوز أن تأتي جمعاً حملاً على معناها ، ومن الإفراد قوله تعالى : ﴿**وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** ﴾[٥] ومن الجمع قوله ﴿ **وكل أتوه داخرين** ﴾[٦] ، ويتوافق

(١) انظر إعراب اللامية ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) الواقعة ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) كتاب الشعر : ٦٤/١ .

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢٥٥/٢ .

(٥) مريم ، ٩٥ .

(٦) النمل ٨٧ .

إعراب البيت في اللامية ، مع إعراب قوله تعالى : ﴿إنَّ كُلُّ مَنْ في السَّموَاتِ والأَرْضِ إلا آتي الرحمن عبدا﴾[١] . حيث قال : " إلا آتي " خبر " كل " ، ووحَّد " آتي " حملاً على لفظ " كل " وقد جمع في موضع آخر حملاً على معناها ومن الإفراد قوله ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾[٢] . وتجد ما سبق بنصه في اللباب[٣] تحت مسألة " كلا ، وكلتا " .

كما نجد توافقاً بين إعراب اللامية ، واللباب والتبيين ومسائل الخلاف ، ففي مسألة القول " بظرفية كيف " والواردة في البيت الخامس عشر :

ولا جُبّأ إلهي مُربٍ بعرسه   يُطالعها في شأنه كيف يفعلُ

فيذهب أبو البقاء إلى اسمية " كيف " بقوله : " وموضع (كيف) نصبُ بـ (يفعل) والأقوى أن تكون حالاً ، وقيل : هو ظرفٌ "[٤] . وأبو البقاء يقرر اسمية " كيف " على أن تكون حالاً على الرأي الأقوى ، لكن هذا التوافق بين مؤلفات أبي البقاء أدى إلى اضطربه، ففي إعراب اللامية أن "كيف" حال ومعنى هذا أنها اسم كغيره من الأسماء معرب يتغير محله حسب موقعه. وفي اللباب : يقرر فصلاً لـ " كيف " ويقول : و " كيف " مبنية مثل " ابن " وهي اسم[٥] . وفي التبيين يقرر مسألة اسمها " اسمية كيف " يقول : " كيف اسم بلا خلاف " ودلل على

---

(١) مريم ، ٩٧ . والحمل على المعنى يقول عنه ابن جني : اعلم أن هذا الشرح غورٌ من العربية بعيد ، ومذهب نازح فسيح ، وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً ، الخصائص ٤١١/٢ .

(٢) سورة مريم : ٢٩٥، وانظر التبيان في إعراب القرآن ١١٨/٢ .

(٣) اللباب ٤٠١/١ .

(٤) إعراب اللامية : ص٧٨ .

(٥) اللباب ٨٦/٢ .

كونها اسماً بخمسة أمور[١] ٠ ويذكر المسألة بنصها في كتاب " مسائل خلافية في النحو " تحت اسم مسألة " أدلة اسمية كيف " وإن كانت ليست من المسائل الخلافية ، وإنما كما قال : " وإنما ذكرناها ها هنا لخفاء الدليل على كونها اسماً[٢] ٠

والسمة البارزة في المسائل النحوية والصرفية الواردة في اللامية ، الإيجاز حيث يعرض أبو البقاء لآراء النحاة عرضاً ، لذا فهو يكثر من التجويز في تقرير أصل المسألة ويكثر من قوله ، وقيل ، وذهب قوم ، والأقوى كذا ، ويتبين مذهب أبي البقاء النحوي في إشارات خفيفة توحي ببصريته ، كاختياره أن " سوى " ظرف ، وهذا رأي البصريين ، والميل بقوة في " كيف " أن تكون حالاً ، كما اختاره الأخفش والسيرافي[٣] ٠ كما يذكر آراء سيبويه فعند قول الشنفرى :

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كي لا يُرَى لهُ   عليَّ مِنْ الطَّوْلِ أمْرؤٌ مُتَطَوِّلُ

يقول : " كي " فيها وجهان : أحدهما : حرف جر وتكون بمعنى اللام[٤] ومعلوم أن هذا مذهب سيبويه ٠

وكذا حول زيادة " مِنْ " يؤيد مذهب سيبويه ويقول : (من الطول) نعت المفعول محذوف تقديره (شيئاً من الطول) وهذا مذهب سيبويه[٥] ٠ ويستعمل تعبير سيبويه عندما تحدث عن " لولا " فيقول : " لولا " يمتنع بها الشيء لوجود غيره ٠٠ ثم يشرح معناها ويذكر آراء النحاة فيها[٦] ٠

---

(١) التبيين ١٢٩ ٠

(٢) مسائل خلافية ، ٥٥ ٠

(٣) المغنى : ص٢١٠ ٠

(٤) إعراب اللامية : ٨٦ ٠

(٥) إعراب اللامية : ٨٧ ٠

(٦) إعراب اللامية : ٨٨ ، ٨٩ ٠

كما يحرص على ذكر ما لأبي علي الفارسي من آراء حين يكون في المسألة آراء فعند حديثه عن " إن " الشرطية قبل " لم " وأيهما الجازم يقول : و "إن " قد جاز إلغاؤها عن العمل ٠ ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ فَأَما إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَبِين فَرَوحٌ ﴾[١] إن الفاء جواب " أما " لا جواب (إن كان) هكذا قال أبو علي[٢]٠

وقد ذكر رأي الأخفش في ارتفاع ما بعد الظرف وقال : وللأخفش في عمل الظرف قول ينفرد به[٣] ٠

ولا يفهم أن بصرية أبي البقاء تجعله مؤيداً للبصريين في كل ما ذهبوا إليه بل ربما يختار رأياً للكوفيين كما ورد في البيت الخامس :

وَلِي دُونَكمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْألُ

حيث ينقل العكبري قولاً للأخفش في رافع الاسم الواقع بعد الظرف أو الجار والمجرور وهو من الآراء التي أخذ فيها برأي الكوفيين[٤] ٠

ويصعب كشف ميل أبي البقاء إزاء بعض المسائل الواردة في اللامية فهو يعرب البيت ويذكر ما قيل فيه من أقوال دون ترجيح ، فعلى سبيل المثال مسألة: " كي " بمعنى " اللام " أو " أنْ " الواردة في البيت الثاني والعشرين:

وَأَسْتَفُّ تُرَبَ الْأَرْضِ كي لا يُرَى لهُ عليَّ مِنْ الطَّوْلِ أمْرؤٌ مُتطَوِّلُ

يقول : لام " كي " فيها وجهان : أحدهما حرف جر بمعنى اللام فينصب

---

(١) الواقعة ، ٨٨ ، ٨٩ ٠

(٢) إعراب اللامية : ص١٠٤ ٠

(٣) إعراب اللامية : ص١٣٢ وقد نسب أبو حيان إلى أبي علي عكس هذا ٠ انظر : البحر المحيط ٢٠٦، والارتشاف ٢/٦٩ ، وحاشية التحقيق على كتاب الشعر ١/٦٤ واعتراض الشرط على الشرط ٠

(٤) إعراب اللامية : ص٦٢ ٠

الفعل بعدها بـ " أن " مضمرة أي لئلا[١] ، وهذا مذهب البصريين[٢] .

والثاني : أن تكون بمعنى " أن " فتنصب الفعل بنفسها من غير تقدير " أَنْ " وهذا مذهب الكوفيين[٣] ، وفي مسألة واو " رب " والواردة في البيت الرابع والخمسين :

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلي القَوْسَ رَبُّها　　　وَأَقْطَعَهُ اللاّتي بها يَتَنَبَّلُ

يقول : (وليلة نحسٍ) مجرورة (بُربَّ) مضمرة ، وقيل جره بالواو ففي هذا القول من العكبري رأيان ، فقد ذهب الكوفيون إلى أن واو رب تجر بنفسها ، وذهب البصريون ، إلى أن الواو لا تعمل وإنما العمل لـ " رب " المقدرة[٤] .

وقد بلغت المسائل النحوية والصرفية في إعراب العكبري للامية ، إحدى وثلاثين مسألة وكان نصيب المسائل الصرفية مسألتين :-

١ـ مسألة ياء " سيِّد " أصل أو مبدلة من واو والتي وردت في البيت الخامس :

ولي دونكم أهلون سيدٌ عملَّسٌ　　　وأرقطُ زُهلولٌ وعرفاءُ جيالُ

٢ـ ومسألة " إبدال الهمزة من الواو " والواردة في البيت السادس والخمسين :

فأيَّمت نسواناً وأيتمتُ ولدةً　　　وعُدت كما أبدأت والليلُ أليلُ

(١) إعراب اللامية : ص٨٦ .

(٢) اللامات للزجاجي : ص٥٣ ، وائتلاف النصرة : ١٥١ .

(٣) الكتاب : ٦/٣ ، واللامات : ص٥٣ ، وائتلاف النصرة ١٥١ .

(٤) الإنصاف ٣٧٦/١ .

الخصائص العامة لشرح العكبرى :

حظي شرح العكبري بعناية المحققين وهي عناية لم يحظ بها غيره ، فقد نشر محققاً ثلاث مرات شرح لامية العرب للعكبري ، تحقيق الدكتور محمد خير الحلواني سنة ١٤٠٣هـ وهي الطبعة الأولى ، وشرح لامية العرب للعكبري تحقيق الأستاذ رجب إبراهيم الشحات ، وإعراب لامية الشنفرى تحقيق وتقديم محمد أديب عبدالواحد جمران ١٤٠٤هـ ، وهو الطبعة الأولى وهذا الشرح الأخير هو مناط البحث .

وفيما يلي الخصائص العامة لشرح العكبري :

١) يتميز شرح ابي البقاء بالإيجاز ويتضح ذلك بدءاً بالدخول في الشرح مباشرة ، فلا توجد مقدمة للشرح بل يبدأ بقوله : " قال الشنفرى الأزدي : والشنفرى العظيم الشفتين " وربما كان للشرح مقدمة لكنها سقطت أثناء النسخ ، وهذا أمر محتمل، فقد وجدت في مخطوطات شرح اللامية والتي ينسب في شرحها لأبي البقاء أن الناسخ يترك بياضاً يُقدر بنصف صفحة ، ولعله من أجل المقدمة التي كان من المنتظر أن يمليها عليه المؤلف أو اقتباس يكتبها وربما كانت المقدمة مكتوبة في نسخة أخرى[١] .

٢) اقتباس أبي البقاء من شرح الزمخشري فكثيراً ما نجد توافقاً بين الشرحين مع شيء من الاختصار في شرح أبي البقاء ، الذي لا يسهب في الكلام على الظواهر النحوية ، ولا يدخل في تفاصيل الخلاف النحوي[٢] .

---

(١) انظر إعراب قصيدة الشنفرى مخطوط ، مكتبة عارف حكمت ، رقم ٨١٠/٢٧ ومخطوط دار الكتب المصرية ، رقم ٤٠٧٩ .

(٢) انظر مثلاً إعراب البيت الأول ، والثاني ، والرابع .

٣) اتفاق منهج أبي البقاء مع عنوان الشرح ، فهو يكتفي بالإعراب أولاً ويظهر ذلك من أول أبيات اللامية ٠

٤) اتباع الشرح اللغوي للبيت مباشرة ، وتوضيح الغامض من الألفاظ ، وربما حذف الشرح اللغوي ، ودخل في الإعراب مباشرة ٠

٥) استئناس أبي البقاء في إعرابه للامية بآراء النحويين المشهورين ، فنجده يدلل على الإعراب ويقول هي أصل عند سيبويه ، وهذا على قول الأخفش ، وربما عدل عن ذلك بقوله ، وقال بعضهم أو قيل ، أو ذهب أكثر الناس ، أو عند الجمهور أو في المسألة كلام طويل ٠

٦) لا يميل أبو البقاء في إعرابه للامية إلى ذكر شيء من لغات العرب ، كالزمخشري الذي يلجأ في شرحه للأبيات إلى اللغات ، مثل اللغات في " سوى " وفي " لعمر" و " عند " ، بل هو يورد البيت المراد شرحه ويذكر أبرز ما فيه وربما أهمل شرحه٠

٧) على الرغم من اعتماد أبي البقاء على آراء النحويين ، إلاّ أنه ربما عمد إلى تناول الأوجه الإعرابية دون نسبة إلى أصحابها ، فهو يكتفي بعرض الآراء ٠

٨) أثناء تتبع آراء النحويين التي اعتمدها أبو البقاء ، يتبين إحاطة أبي البقاء بمذاهب النحويين في المسألة المطروحة في البيت ، فما قاله أبو البقاء نجده مبثوثا في مظانه المعرفية ، وربما وُجد في مصنفاته ، كالتبيين ، واللباب ، وشرح اللمع، التبيان ، ومسائل خلافية في النحو ، وشرح الإيضاح٠

٩) ميل أبي البقاء إلى المواد اللغوية والتي زادت على مئة وسبعين مادة اقتصر في معظمها على المعنى اللغوي للمادة ، مما يذكرنا بطبيعة المعاجم اللغوية ، حيث نجده يذكر الأماكن والمواضع ، وأسماء الأشياء ، مما يخيل للقارئ أنه أمام معجم

لغوي زاخر بالمفردات الغريبة ، ولعل هذا يعود إلى احتواء اللامية على الغريب من الألفاظ والتراكيب ، وقد أحسن أبو البقاء التعامل مع تلك الغرابة ، مما يدل على اعتماد أبي البقاء في شرح المفردات الغريبة على الشرح المنسوب لأحد تلاميذ ثعلب ، كما يزعم الدكتور محمد حلواني[١] .

١٠) حرص أبي البقاء على إعراب ما يشكل من ألفاظ في أبيات اللامية ، فنادراً ما يعرب البيت كاملاً ، وربما أعرب كلمة من الصدر ، ثم انتقل إلى العجز وربما أعرب العجز كاملاً وأهمل الصدر .

١١) لا يشرح أبو البقاء جميع ألفاظ البيت ، وربما اقتصر على الغامض فقط ولكن درجة الغموض تتفاوت فقد يترك بعض الألفاظ وهي بحاجة إلى شرح ، وذلك كما وقع في البيت الخامس والثلاثين :

وفاء وفاءت بادراتٍ وكلُّها على نكظٍ ممَّا يُكاتمُ مُجْمِلُ

حيث شرح كلمة " النكظ " وهي شدة الجوع ، وترك باقي ألفاظ البيت وهي فاءَ بمعنى رجع ، والبادرات : المسرعات ، يكاتم : يكتم ما عنده ، والمجمل الذي يعامل صاحبه بالجميل .

١٢) استشهد أبو البقاء بواحدة وعشرين آية ، أوردها في مواردها ، وذلك بعضها كشاهد نحوي ، أو لبيان معنىً لغوي ، وربما كان أقل الشرَّاح استشهاداً ولعل السبب يعود إلى اكتفاء أبي البقاء بالإعراب دون الخوض فيما وراءه في شرح الألفاظ ، أو تدليل على بيان الغامض من الكلمات ، لذا فإن العشرين الآية التي استدل بها كانت شواهد نحوية ساقها أبو البقاء في إعراب أبيات اللامية ، وآية

---

(١) شرح لامية العرب ، ١٣ .

واحدة فقط أتى بها لبيان المعنى اللغوي وذلك في البيت الحادي والعشرين :

أُديم مطال الجوع حتّى أُميتـهُ وأضربُ عنهُ الذّكر صفحاً فاذهـلُ

قال : ويقال : ضربت عن الشيء وأضربت ، وبالأَوْلى جاء القرآن في قوله تعالى ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُم الذِّكْرَ صَفْحَاً ﴾[١] ، ولا يكتفي أبو البقاء ، بمجيء الشاهد المجلوب لبيان المعنى ، بل ربما يشرح ذلك حيث وروده حيث قال بعد هذه الآية مباشرة : والتقدير " أفنطرد عنكم الذكر " ٠

١٣) تضلع أبي البقاء في نحو القرآن يقول في حديثه عن " إما " وزيادة " ما " على "إن" الشرطية : وإن الشرطية زيدت عليها (ما) للتوكيد و (ترين) مجزوم بها وأكثر ما يكون هذا الفعل مؤكداً بالنون ، ولم يقع في القرآن إلا كذلك[٢] ٠

١٤) لم يستشهد ابو البقاء بأحاديث في إعراب أبيات اللامية ، وهذا أمر لم أهتد لتفسيره ، علماً أن أبا البقاء ، إذا سلمنا بما قاله الدكتور ابن عثيمين أن "العكبري لا يحتج بالحديث النبوي الشريف "[٣] ، فإنما هو من خلال التبيين ، كما هو الحال في التبيان ، وإذا كان لا يشترط في التأليف في الحديث ـ كما فعل أبو البقاء في تأليف إعراب الحديث ـ الاحتجاج به ، فلماذا يستشهد بالحديث ؟ في اللباب ، وشرح اللمع والمشوف المعلم الذي استشهد فيه بأربعين حديثًا[٤] ، ويهمل ذلك في اللامية كذا التبيان ، والتبيين ، إلاّ أننا وبالنظر إلى ظهور قضية

---

(١) الزخرف : ٥ ٠

(٢) انظر : أبو البقاء العكبري وأثره في الدراسات النحوية ص ٢٥١ ، رسالة ماجستير سنة ١٩٧٢م لمحمد فؤاد ، كلية دار العلوم ، القاهرة ٠

(٣) التبيين ، ٩٥ ٠

(٤) انظر فهرس المُشْوف المُعْلم ٢/٨٨٣ ٠

الاستشهاد بالحديث والتي لم تكن معروفة ولا مطروحة إلاَّ في القرن السابع ، وبالنظر إلى حياة ابن الضائع الذي توفي سنة ٦٨٠هـ (والذي ردَّ الاستشهاد بالحديث) وحياة أبي البقاء والذي توفي سنة ٦١٦هـ يمكن القول بأن القضية أُثيرت بعد وفاة أبي البقاء ، أو أن بعض مؤلفات أبي البقاء سبقت قضية الاستشهاد بالحديث فأحتج به ، وبعضها أدرك قضية الاستشهاد بالحديث فلم يحتج به .

١٥) استشهد أبو البقاء بالشعر وإن كان لم يكثر وإنما اقتصر على المشهورين منهم وممن يستشهد بشعرهم ، كامرئ القيس ، والنابغة الذبياني ، وزهير ، والأعشى.

هذه أبرز الخصائص العامَّة في شرح العكبري ، وهي حتماً تختلف عن غيره من الشرَّاح .

ولعل هذه الخصائص في شرح العكبري سمة بارزة يدركها الناظر في مصنفات العكبري إذ وجدت تشابهاً بيناً في الخصائص العامة في شرح العكبري وبين منهج العكبري في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي .[1]

---

(١) انظر منهج العكبري في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي ، رسالة دكتوراه ، ليحيى علم ١/٢٣١-٢٥٢.

٣ـ منهج الزمخشري في شرح
(أعجب العجب في شرح لامية العرب)

٣ـ شرح الزمخشرى <<أعجب العجب فى شرح لامية العرب >>

أ ـ التعريف بالزمخشرى :

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري الحنفي ، العلامة اللغوي النحوي المفسِّر المعتزلي أستاذ الدنيا وفخر خوارزم ، ولد في السابع عشر من الشهر رجب سنة سبع وستين وأربعمئة ٠ كان ـ رحمه ا لله ـ ممن يُضرب به المثل في علم الأدب والنحو واللغة لقي الأفاضل والأكابر وصنف التصانيف في التفسير وغريب الحديث والنحو ، وغيرها ، سافر إلى مكة ، وجاور بها زماناً ، فصار يُقال له " جار ا لله " لذلك ، وكان هذا الاسم علماً عليه ٠ وحصل بينه وبين أمير مكة أبي الحسن علي بن عيسى بن دهاس من المحبةِ والمصادقة ما لا مزيد عليه ، وصنف باسمه تفسير " الكشاف " وقد كان قد اعتزل في أول أمره على يد شيخه أبي مضر ، ولم يقف الزمخشري عند حدِّ الاعتناق بل كان داعية متجاهراً به ، وصرح به ، نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له ، واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الأذن : قل له : أبو القاسم المعتزلي بالباب ٠

عاد رحمه ا لله تعالى في أواخر أيامه إلى مذهب السنة ٠ توفي ببلده سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة[1] ٠

---

(١) انظر ترجمته : أنباه الرواة ٣/٢٦٥ ، البلغة ٢٢٠ ، وفيات الأعيان ١٦٨ ٠

ب ـ نسبة الكتاب :

مع شهرة الزمخشري ومصنفاته الكثيرة ، وشهرة اللامية التي حظيت بعناية المتقدمين والمحدثين بل تجاوزت إلى المستشرقين ، ومع عناية المؤرخين في رصد مؤلفات العلماء ، وربما التذييل على ما فات رصده ، وكل هذه الأمور مجتمعة يخيل للقارئ ومن خلالها أن تذكر المصادر التاريخية اللامية ضمن مصنفات الزمخشرين ، ولكننا وبالرجوع إلى أكثر وأقدم وأشهر تلك المصادر التي تدور حول تأريخ العلماء وتأريخ الفنون لا نجد هذا الكتاب " أعجب العجب في شرح لامية العرب " ضمن مصنفات الزمخشري ، ولا أدري ما سبب إغفال هذا المصنف رغم شهرته وشهرة شارحها ، علماً أننا لو نظرنا في ترجمة الزمخشري في إشارة التعيين ، وانباه الرواة ، ومعجم المؤلفين ـ مثلاً ـ ثم نظرنا في إحالة هذه الكتب لترجمة الزمخشري ثم تتبعنا تلك الكتب المترجمة له ومصنفاته فإننا لا نجد أثراً لذكر أعجب العجب ضمن مصنفاته ويكفي أن ننظر فيما دونه صاحب مفتاح السعادة من مصنفات حيث ذكر ستة وعشرين مصنفاً وأهمل ذكر أعجب العجب[1] ٠ ولم أجد من ذكره سوى حاجي خليفة في كشف الظنون[2] ، والبغدادي في هدية العارفين[3] ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء[4] ٠

---

(١) مفتاح السعادة ٩٨/٢ ، ٩٩

(٢) كشف الظنون ١٣٥٩/٢ ٠

(٣) هدية العارفين ٤٠٢/٦ ٠

(٤) معجم الأدباء ١٢٦/١٩ ٠

لكننا نستأنس بعبارة متكررة نجدها في أغلب تراجم الزمخشري وتذكر عادة بعد ذكر مصنفات وهي عبارة " وغير ذلك " ولو حاولنا استنطاق هذه العبارة كما وجدت لكان المراد منها أن أعجب العجب من تلك المصنفات التي لم تذكر.

وبالجملة فإن هذا المصنف للزمخشري ، ولما عُرف عنه من الإكثار من التصنيف والتأليف والشروحات ، ولأن هذا الشرح مُلئ بالنحو حتى لكأن النحو مقصودٌ قصداً ، ولا تليق هذه الكثرة من المسائل النحوية إلاَّ بالزمخشري صاحب المفصل والكشاف ، ثم إن فيما ذكره الزمخشري من المقدمة يؤكد على نسبة الشرح له " .. وتاهت في ميادينه قانصة السوانح جعلتها على شرح قصيدة الشنفرى الموسومة بلامية العرب " ولقوله : وخطابي لمن نشأ في علم الإعراب ، وحقق في ميادين أفكاره بالعجب منه والإطراب وسرد علمي المعاني والبيان ، وعرف التحقيق فيها من التبيان وطالع أساس البلاغة.[1]

ويفهم من هذا أن الزمخشري ألَّف شرح اللامية بعد أساس البلاغة وهما له لا جدال . ثم إذا نظرنا إلى من شرح اللامية من النحاة فلن نجد أشهر من الزمخشري تناولاً وشرحاً .

جـ - منهج الزمخشرى :

نهج الزمخشري في شرحه اللامية نهجاً علَّه كان سبباً في السير عليه لكل من جاء بعده حيث توافقت كل الشروحات مع طريقة الزمخشري التي يسوق

(١) أعجب العجب . ص٢٨ ، ٢٩ .

فيها البيت ثم يشرحه شرحاً تاماً لغة ونحواً ، وما كانت لتكن هذه الشهرة لشرح الزمخشري إلاَّ لتفصيلٍ أجاد فيه الزمخشري واستن بذلك سنة تجدها في تعويل كل من جاء بعده على شرحه . يقول الدكتور أحمد الحوفي : " ونلاحظ أن الزمخشري ملأ شرحه بالنحو ،حتى لكأن النحو مقصودٌ قصدا ، وأنه اقتصر من اللغة على شرح المفردات الصعبة ، ولم يعرض لشيء من علوم البلاغة "(١) .

ويقول الدكتور محمد الحلواني : " وأهم ما يلاحظ في عمل الزمخشري هو أنه يتخذ من ظواهر اللامية منطلقاً إلى تقريرات نظرية ، ومناقشات لمسائل خلافية ، وإلى بسط العلل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، حتى إنه في بعض الأحيان يشغل صفحات كثيرة بهذه التقريرات ، على غرار ما فعل في شرح مسألة "الحسن الوجه " بنصب الوجه وجره "(٢) .

وفي شرحه يتضح غلبة الإعراب عليه والمعاني والبيان وقد أكد هذا في مقدمة شرحه حين قال : " وخطابي لمن نشأ في علم الإعراب ، وحقق في ميادين أفكاره بالعجب منه والإطراب ، وسرد علمي المعاني والبيان ، وعرف التحقيق فيها من التبيان ، وطالع أساس البلاغة "(٣) .

إن الزمخشري في شرحه للامية نال العجب فهو يفيض علماً بالنحو ويفيض علماً باللغة ، والتي تذكرنا بطريقة المعاجم اللغوية ، وإن كان الغرور قد أصابه في مقدمة الشرح حين قال : " هذه نكتة قذفتها خواطر خاطري ، وفائدة جرتها

---

(١) الزمخشري ، للدكتور أحمد الحوفي ، ٢٦٤ .

(٢) شرح لامية العرب ، ١٢ .

(٣) أعجب العجب ، ٢٩ .

نواظر ناظري ٠٠٠ وسبك لم ينسج على منواله ٠٠٠"[١] ، إلاَّ أنه كان كما قال سبك لم ينسج على منواله ، فمن خلال النظر في مناهج الشرَّاح يتبين أنها ضرب من التلخيص بمقارنتها بشرح الزمخشري ، ويكفي أن نسوق دليلاً واحداً وما لا يدرك جله لا يترك كله ٠

إننا أثناء تتبع المسائل النحوية والصرفية في شرح الزمخشري يتبين لنا غزارة الرجل النحوية وتوليه للمسائل التي تدل على سبق قدمه في هذا المجال حيث وجدنا أنه تناول حتى البيت الثاني والعشرين ، خمساً وعشرين مسألة نحوية بينما العكبري تناول سبع عشرة مسألة نحوية وصرفية ، وابن عطاء أربع عشرة مسألة ، بل أبعاد من ذلك ، فقد تناول جانباً من القضايا الصوتية التي نجدها بنصوص مستقلة في كتابه المفصل[٢] وهي ظاهرة تفرد بها الزمخشري على جميع الشرَّاح ٠

ويغلب على منهج الزمخشري أنه يبدأ بشرح الكلمات الغريبة ، ثم يعرب الكلمات التي يراها بحاجة إلى إعراب ، ولكنه في بعض الأحيان يخالف هذه الطريقة ، فتراه يبدأ بالإعراب ، ثم يعود إلى الشرح اللغوي ثم يعود أيضاً للإعراب[٣] ٠

لقد أفاض الزمخشري في شرحه هذا مما اكتسبه من علوم ومعارف في أصناف شتى من المعرفة ، فنجده في شرحه يكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم ،

---

(١) أعجب العجب ، ٢٨ ٠

(٢) المفصل ، ٤٦٤ ٠

(٣) انظر أعجب العجب ، ص٣١ ، ٣٥ ٠

وبعض الأثر ، وأشعار العرب مما يُخيل لنا أننا نعيش مع مجموعة مصنفين ، فتراه يبدأ باللغة ثم ينتقل إلى النحو ، ويعرج على التفسير وربما حال حتى على الإملاء ، كما يخيل لنا أننا أثناء تجوال النظر في أبيات اللامية أن الزمخشري ساهم وبشكل كبير في وضع أساسات التأليف في حروف المعاني . فهو لا يسلم بالإعراب الجُملي وإنما يروق له التفصيل والبحث في أبعاد المعاني للألفاظ المفردة ولو ضربنا على هذا الادلة لطال الكلام وضاق المقام ولكن انظر البيت الأول ـ وما قال عن " الفاء السببية . وفي البيت الثاني عن بناء " ما لم يسم فاعله " وفي البيت السادس وحديثه عن " لا " النافية للجنس ، وفي البيت الثاني عشر حديثه عن معاني " من " وفي البيت الحادي والعشرين حديثه عن " حتى " وغيرها . ويجعل الزمخشري المعنى هو آلة التوجيه النحوي كما في البيت الخامس :

وَلِيْ دُوَنكُمْ أَهْلُون سِيْدٌ عَمَلَّسٌ وأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

حيث يقول : " وإنما جمع أهلون جمع سلامة هنا لأنه نزَّلها منزلة أهله في الانقطاع والاستئناس بها "[١] .

وكما في البيت السابع :

وَكُلٌّ أَبِيٌّ باسلٌ غَيْرَ أنَّـي إِذَا عَرَضَتْ أُوْلَى الطَّرَائِدِ أبْسَلُ

حيث يقول : " وأما قوله : وكل فالمراد به كل واحد من هؤلاء الذين ذكرت على الانفراد والاجتماع ، وهي مفردة اللفظ مجموعة في المعنى ، ولهذا يرجع تارة إلى لفظها وتارة إلى معنا "[٢] .

(١) الشرح ، ٤٠ .

(٢) الشرح ، ٤٣ .

د ـ مصادر الزمخشري في <<أعجب العجب >>:

لم يصرح الزمخشري في كتابه هذا بالمصادر التي استفاد منها ، فالكتاب وصل إلينا بمقدمة واضحة جلية تفيد بأن هذا الشرح خاطرة من خواطره ، وتفيد سبب تأليفه وهو ، ليتحف بها الخزانة السعيدية ، والحضرة العزية ...[١] .

وبالنظر في بعض مؤلفات الزمخشري الأخرى ، وأخص بالذكر المفصل ، والكشاف نجده يبدأها بحمد ا لله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول ا لله ﷺ ، ثم يطيل الإطناب والسجع في الدوافع إلى تأليف الكتاب ويختمها دون أن يذكر المراجع التي استمد منها مادة كتابه ، وهي طريقة أكثر العلماء .

لكننا لا نعدم أن نجد الزمخشري يصرح في شرحه هذا بآراء بعض العلماء في النحو واللغة والتفسير وأحياناً يشير بقوله : وإنما جاء هذا عند المحققين ، أو الآخرين ، أو ذهب أكثر الناس أو بقوله ، قاله : جماعة من النحاة . وهو يحيط أقوال العلماء بإكبار وإجلال ما رأيته في شرحه هذا يتجرأ على تخطئة أحد ولا النيل منه .

ذكر الخليل مرتين[٢] ، في مسألتين لغويتين الأولى في قول الشاعر :

أَقَامتْ على رَبِيعها جَارَتَا صفاً   كُمِيِّتاً الأعالي جُؤْنَتا مُصْطَلاهُما

وموضع الشاهد ، أنه وصف " جارتا صفا " بقوله : " كميتا الأعالي " ثم وصفه بقوله : " جونتا مصطلاهما " ثم استدل بقول الخليل : وقال : الخليل

(١) أعجب العجب ، ٢٨ .

(٢) المرجع نفسه : ٨٠ ، ٩٠ .

مصغّر " كميت " لأنه لم يكمل له حمرة ولا سواد واستدل بقول الخليل أيضاً على شرح البيت السادس والثلاثين :

وَتَشْرَبُ أسْآري القَطَا الكُدْرُ بَعْضُها سَرَتْ قَرَباً أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَلُ

قال الخليل: القارب طالب الماء ليلاً ، ولا يقال ذلك لطالب الماء نهاراً [١].

وذكر سيبويه مرتين[٢] في مسألة " حسن الوجه " قال الزمخشري حول قول الشاعر :

أَقَامتْ على رَبيعها جَارَتَا صفاً كُمِيِّتاً الأعالي جُؤْنَتا مُصْطَلاهُما

قال سيبويه : " هو مثل حسنه وجهها ، لأن جونتا مصطلاهما ، قد تكرر فيه الضمير في المثالين ، وحسنه فيه ضمير ؛ وفي وجهها أيضاً "[٣] .

وذكر سيبويه في قوله " مررت بالحسن الوجه " قال سيبويه : " ليس في العربية مضاف دخلت الألف واللام عليه إلاّ المضاف إلى المعرفة في هذا الباب...."[٤] .

كما نجد الزمخشري يصرح بالأخفش[٥] ، والكسائي[٦] ، والفراء[٧] ،

---

(١) أعجب العجب : ص ٩٠ .

(٢) الشرح ، ٨٠ ، ٨٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ٨٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ٨٢ .

(٥) المرجع نفسه : ص٤١ .

(٦) المرجع نفسه : ص١١٣ .

(٧) المرجع نفسه : ٧٨ ، ٧٩ .

وابن كيسان[١] ، والفارسي[٢] ، والأصمعي[٣] ، والجوهري[٤] ، وغيرهم ، وربما تميز الزمخشري بأنه يعول على الأصول في مصادر شرحه ، ففي الجانب اللغوي استعان بقول الخليل ثم أعقبه بالأصمعي فالجوهري ، وفي الجانب النحوي استعان بسيبويه ، كذا الأخفش ، وفي جانب التوجيه النحوي في ضوء القرآن الكريم ، استعان بقول للفرّاء[٥] ٠ حتى في جانب التفسير استعان بقول لابن عباس[٦] ، والرجل يجيد استخدام آلة التأليف ففي جانب النحو ألفَّ كتاب "المفصل" ووضع له مقدمة تدور حول مكانة علم النحو ، وخاصة الإعراب ٠ وفي البلاغة ألَّف كتاب " أساس البلاغة " وجمع ألفاظ اللغة العربية معجمياً واهتم منها بالاستعمال المجازي لتلك الألفاظ وما دار على ألسنة أهل الفصاحة والبلاغة٠ وفي التفسير استطاع أن يقدم موسوعة لغوية أدبية بلاغية تكشف عن إعجاز الكتاب العزيز ، لذلك أطلق عليه " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"[٧] ٠

---

(١) الشرح ، ٦٧ ٠
(٢) المرجع نفسه : ٧٩ ، ٨٢ ٠
(٣) المرجع نفسه : ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ٠
(٤) المرجع نفسه : ٨٢ ٠
(٥) المرجع نفسه : ٧٨ ٠
(٦) الشرح : ص ١٣ ٠
(٧) النحو العربي ، الدكتور محمود سليمان ياقوت ، ٢٨٢ ٠

هـ ـ شواهد الزمخشري :

استشهد الزمخشري بالآيات القرآنية بقراءاتها السبعة فيما نرى بما يزيد على أربعين آية ، كما استشهد بالحديث النبوي في موضعين ، وهو لم يكثر ، وهذا ما لاحظه الدكتور الحوفي في حديثه عن الزمخشري وأعجب العجب حين قال: " وهو في شرحه يستشهد بالآيات القرآنية ، وبأبيات شعرية "[١] .

واستشهد بأثرين لعمر بن الخطاب وكذا ابن عباس كما استشهد بأشعار العرب الذين يحتج بشعرهم بما يزيد على ثمانين بيتاً ، ولم يغفل الزمخشري الاستشهاد بلغات العرب ، ويخيل إليك وأنت تقرأ الشرح أنك أمام كتاب في معاني الحروف ، لكثرة حديث الزمخشري عن أدوات النحو ومعانيها ، ولم يكثر استشهاد الزمخشري في جميع هذه الشواهد على قاعدة نحوية أو حرفية وإنما كان يسوق الشاهد أحياناً لبيان المعنى الغامض في البيت ، فمهمته ليست كالعكبري الذي يعرب أبيات اللامية وإنما مهمته شرح اللامية وتناول المسائل الواردة في أبياتها وربما كانت المزية الواضحة في شرح الزمخشري ، كثرة شواهده الشعرية والتي فاقت أبيات اللامية .

كما يلاحظ في شواهده الشعرية عدم نسبة قائلها إلا في النادر القليل وربما استشهد بشطر البيت أو بمثل .

---

(١) الزمخشري ، ٢٦٤ .

و- المسائل النحوية والصرفية فى شرح الزمخشرى :

مُلِيء شرح الزمخشري علماً في النحو وأبوابه ، وحق له اسم أعجب العجب، فنجده في مسائله يفوق كل الشرَّاح للامية ، حتى ليخيل إلينا أن الزمخشري لو لم يوجز في تناوله للمسائل النحوية في اللامية لفاق شرح الزمخشري لها وذاع أكثر من ذيوع اللامية كما فاق شرح " المفصل " لابن يعيش المفصل ذاته، ولا ندعي أن الزمخشري أخل بشيء في شرحه ذلك للامية لكن بلاغة الإيجاز أحياناً تتعب المتأخرين ، كما قال الخليل : " من الأبواب ما لو شئنا أن نشرحه حتى يستوي فيه القوي والضعيف لفعلنا ، لكن يجب أن يكون للعالم مزية بعدنا "(١) .

وإن كان قد خلف بعد الزمخشري خلف تعاقبوا على شرح اللامية إلاَّ أن الزمخشري مع إيجازه ذلك لم يترك مزية لمن جاء بعده فقد أحاط بمسالك اللامية حصراً للمسائل ، ورصداً للشواهد ، وذكراً للمصادر .

وبالنظر في عدد أبيات اللامية والتي تبلغ ثمانية وستين بيتاً وإلى المسائل النحوية والصرفية الواردة في شرح الزمخشري حتى البيت الثاني والعشرين ، نجد إفاضة واسعة من المسائل النحوية حيث بلغت خمساً وعشرين مسألة ، أجاد الزمخشري تناولها وتزداد الإفاضة إذا كانت الشروح الأخرى لم تذكرها . ويزداد الفتح من الله إذا جاء من بعد الزمخشري ولم يذكرها ، كمسألة " فعل الأمر بين البناء والإعراب " الواردة في البيت الأول فما ذكرها سوى الزمخشري ، ومسألة

---

(١) المدارس النحوية : ١٥٠ .

" حذف حرف النداء " الواردة في البيت الأول ، ومسألة " دخـول لام التوكيـد في خبر لكن " الواردة في البيت الأول ، ومسألة اللام الداخلة على المبتـدأ ، الـواردة في البيت الرابـع ، ومسـألة " مـا المشـبهة بليـس والـواردة في البيـت الثـامن " ، ومسألة " ما الزائدة " الواردة في البيت الثامن عشـر وغيرهـا كثـير ممـا تميـز بهـا الزمخشري ، وحقاً ما قاله الدكتور شوقي ضيف عن عموم مؤلفات الزمخشـري : " وقد ينفرد بآراء خاصة به لم يسبقه أحد من النحاة إليها "[(١)] .

يقول الدكتور أحمد الحوفي : " ونلاحظ أنّ الزمخشري ملأ شرحه بالنحو ، حتى لكأن النحـو مقصـودٌ قصـداً ، وأنـه اقتصـر مـن اللغـة علـى شـرح المفـردات الصعبة"[(٢)] .

والزمخشري يشرح المفردة الواحدة الغامضـة فقـط ، ولا يلـوي علـى المعنـى الإجمالي بالبيت ، كما أنه لم يعرض لشيء مـن علـوم البلاغـة نهائيـاً فلـم نجـده يذكر تشبيهاً ، أو مجازاً أو استعارة إلاّ أنه يربط التوجيه النحـوي بـالمعنى العـام للبيت .

وقد كان الزمخشري في مسائله هـذه تابعـاً لسـيبويه والبصريـين ، وكـذا في مؤلفاته كلها وسوف ندلل على بصريته هذه من خـلال بعـض المسـائل الـواردة في البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ   فَإِنّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأَمْيَلُ

---

(١) المدارس النحوية : ١٥٠ .

(٢) الزمخشري ، ٢٦٤ .

يقول : وأقيموا فعل أمر مبني في الأصل على السكون[١] ، وهذا مذهب البصريين أنه مبني بالسكون[٢] .

وفي مسألة : " دخول لام التوكيد في خبر لكن " قياساً على " إنَّ " الواردة في البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ   فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأمْيَلُ

قال الزمخشري : واختصت " إن " بدخول اللام في خبرها لبقاء معنى الابتداء بعد دخولها، أما " لكن " فلم تدخل اللام في خبرها في الاختيار ، وما يروى:

وَلَكَنْني في حُبْها لَعَمِيدُ .

فشاذ لا يعول عليه[٣] .

وهذا مذهب البصريين . يقول صاحب الائتلاف : " وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز وهو الصحيح ..."[٤] .

وفي مسألة " هل تكون اسماً أو تلزم الظرفية " الواردة في البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ   فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأمْيَلُ

---

(١) أعجب العجب : ص٣١ .

(٢) الانصاف ٥٢٤/٢ .

(٣) أعجب العجب : ص٣٤ .

(٤) الائتلاف ، ١٧٢ .

يقول الزمخشري : وأما " سوى " فظرف مكان في الأصل ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ مَكَاناً سُوىً ﴾[١] .

وهذا مذهب البصريين ، يقول المبرد ومما لا يكون إلا ظرفاً ، ويقبح أن يكون اسماً " سوى "[٢] .

وغيرها كثير من المسائل التي تدل على نزعته البصرية وإن كان الدكتور شوقي ضيف يرى أن مذهبه في (المفصل) هو المذهب البغدادي ، وهو يتفق ونحاة البصرة ، في بعض آرائه ، ويتفق وعلماء الكوفية في بعضها الآخر ٠ وقد ينفرد بآراء خاصة لم يسبقه إليها أحد[٣] .

وهذا وقد بلغت المسائل النحوية والصرفية في شرح الزمخشري أكثر من ستين مسألة كان نصيب النحو منها خمساً وخمسين مسألة ٠ وهو أكبر عدد بين الشرح من حيث المسائل[٤] .

---

(١) سورة طه ، ٥٨ ٠

(٢) المقتضب ، ٣٤٩/٤ ٠

(٣) انظر المدارس النحوية : ٢٦٤ : ٢٨٦ ٠

(٤) انظر : أبو البقاء العكبري وأثره في الدراسات النحوية ص ٢٥٣ ، رسالة ماجستير ، لمحمد فؤاد ، دار العلوم القاهرة ٠

ز ـ الخصائص العامّة في شرح الزمخشري :

إذا سلمنا بأن الزمخشري لم يترك مزيةً لمن جاء بعده من شرّاح اللامية فما تسليمنا ذلك إلاّ للخصائص التالية :

١) براعة الزمخشري في تناوله المسائل النحوية والصرفية مع ربط التوجيه النحوي بالذوق الأدبي والأسلوب البلاغي ، وأكبر شهادة على ذلك ، ما ورد في البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأمْيَلُ

قال الزمخشري : " وأفعل بمعنى فاعل كثير ، كما جاء أكبر بمعنى كبير، وأوحد بمعنى واحد ، فليس المراد بأميل المبالغة لأنه يؤدي إلى اشتراكهم في الميل، ولم يكن كذلك ٠

٢) إفاضة الزمخشري الواسعة في الأدلة المساقة والمصاحبة في شرح أبيات اللامية فربما ساق الدليل الشعري على بيان معنى البيت ثم يعقبه بآية قرآنية ففي البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأمْيَلُ

استدل الزمخشري في شرحه لهذا البيت بثلاثة أبيات ، وثلاث آيات قرآنية ، ولا نجد هذا في الشروحات الأخرى ٠ والزمخشري ربما ساق بيتاً من الشعر ـ باستثناء شرح سكب الأدب على لامية العرب للشاوي ، الذي مليء لغة ونحواً وشعراً ، وقد يظن القارئ لأول وهلة أنه للزمخشري لما بينهما من

التشابه[(١)] - لبيان معنى كلمة واحدة كما ورد ذلك في البيت الثالث :

وَفَي الأَرْضِ مَنْأىً لَلكَرِيمِ عَنْ الأَذَىَ وَفِيها لمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعزَّلُ

قال الزمخشري : " المنأى و " المنتأى " الموضع البعيد قال النابغة :

فَإنَّكَ كَالليِّلِ الَّذي هو مُدْرِكــــي وَإنَّ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأى عَنْك وَاسِعُ

٣) استدلال الزمخشري في ترجيحه للإعراب وذكره التعليل مباشرة وذلك في قوله :

فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ والليِّلُ مُقْمِرُ وَشُدَّتْ لطَيَّاتٍ مَطَايا وَأَرْحُلُ

يقول الزمخشري : " والليل مقمر " جملة من مبتدأ وخبر مستأنفة ، لا موضع لها من الإعراب ، ويجوز أن تكون حالاً ، والأول أجود ، إذ ليس مقصودة أن الحاجات قد حضرت في هذه الحالة ، وإنما مقصودة الإخبار[(٢)] .

ولا نجد الترجيح هذا عند الشرَّاح الآخرين إلا عند العكبري إجمالاً حيث يقول : والليل مقمر : يجوز أن تكون الجملة حالاً ، وأن تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب[(٣)] .

٤) لجوء الزمخشري في شرحه للأبيات إلى اللغات وهي سمة بارزة في شرحه ولا توجد عند غيره ، ففي " سوى " يقول : و " سوى " هنا بمعنى " غير " وفيها ثلاث لغات ، وفي " القلى " يقول : القلى البغض ، فإن فتحت القاف مددت، كقولك قلاه يقليه قلى وقلاء ، ولغة طئ يقلاه ، وأنشد ثعلب :

أَيَّامُ أُمْ الْغَمْرِ لا يقلاها[(٤)]

(١) الشرح مخطوط ١/١٥٨٧ ، مكتبة جامعة الملك سعود .

(٢) الشرح ، ٦٠ .

(٣) إعراب اللامية ، ٥٩ .

(٤) الشرح ٥٥ ، ٥٩ .

وكذا " عند " الواردة في البيت الثاني والأربعين :

وآلفُ وَجه الأرضِ عنْدَ اِفْترَاشَها بأهْدأ تُنْبيه سَناسِنُ قُحَّلُ

قال : " وعند " فيها لغات ثلاث ، أفصحها عنْد بكسر العين وسكون النون . وفي البيت الرابع :

لَعَمْرُكَ في الأرض ضِيِّقٌ عَلى امْرِئٍ سَرى راغباً أو راهِباً وهو يَعْقِلُ

قال العمر : الحياة ، والبقاء وفيه لغات ثلاث : " عَمْر " بفتح العين ، وإسكان الميم ، وبضم العين وإسكان الميم ، وبضمها .

ولا يقتصر على ذكر اللغات بل ربما أورد أفصحها وأخفها والمستعملة . قال : ولا يستعمل في القسم من اللغات الثلاث إلاّ المفتوحة ؛ لأنها أخف اللغات ووزنها أخف الأوزان الثلاثية كلها . والقسم كثير الاستعمال عندهم فاختاروا له أخفها(١) .

٥) نلاحظ الطريقة المعجمية في شرح الزمخشري ، فهو يورد الكلمة المراد شرحها ثم يذكر المعنى المترتب على معاني الكلمة ، كما هو الحال في البيت الثاني والثلاثين :

فَضَجَّ وَضَجَّتْ ، بالبَرَاح كأنَّها وإيَّاه نَوحٌ فَوْقَ علياء ثُكَّلُ

يقال : (أضج القوم إضجاجاً) إذا جلبوا وصاحوا ، فإذا جرعوا من شيء وغلبوا قيل ضجوا يضجون ، وسمعت ضجة القوم أي جلبتهم(٢) .

(١) الشرح ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) الشرح ، ١٥٤ .

٦) غزارة ثقافة الزمخشري الدينية ، والشعرية ، واللغوية فهو ربما يورد آية قرآنية وحديثاً نبوياً وأثراً لأحد السلف وبيتاً شعرياً ، في شرحه لأحد أبيات اللامية[١] .

٧) تطعيم الشرح ببعض الأمثال العربية لإيضاح المعنى ، مثل قولهم " اسمع من الذئب الأزل " و " لا أنسى الذئب الأزل " و " لو ذات سوار لطمتني "[٢] .

٨) أولع الزمخشري في شرحه هذا بضبط الكلمات وهذا ما يذكرنا بطريقة المعاجم يقول : " ولا جُبَّاء " بضم الجيم ، وفتح الباء الموحدة وتشديدها وهمز في آخره. و " أَكْهى " بفتح الهمزة ، وإسكان الكاف ، ويقول : والداريُّ القيم في داره لا يفارقها ، و " الداري " العطَّار[٣] .

٩) كثرة عبارات النحويين وأمثلتهم وأدوات النحو ، وهذا يتوافق مع ما قاله الدكتور الحوفي :" ونلاحظ أن الزمخشري ملأ شرحه بالنحو حتى لكأن النحو مقصودٌ قصدًا ..."[٤] .

١٠) ميل الزمخشري إلى الإطناب في الشرح اللغوي وأحياناً النحوي ، وإن كان يوجز أحياناً إلاَّ أنه ربما أفرط في شرح كلمة فيحدث باستطراده مللاً . يقول : الأستاذ محمد الطويرقي : " والزمخشري قد ينحرف عن مسار فهم المعنى في

(١) الشرح ، ٦٤ ، ٦٥ .
(٢) الشرح ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .
(٣) الشرح ، ٩٧ ، ١٠١ .
(٤) الزمخشري ٢٦٤ .

الإعراب وجعل منه استطراداً يضيع الشعر في غمارها فيصل به الأمر إلى أن يترك الشرح وينطلق إلى الحديث عن مسألة نحوية يفرد لها فصلاً وذلك كفعله في عبارة " الحسن الوجه " التي استغرقت ما يقارب ست ورقات وما ذلك إلاً لأنها أشبهت " شيب الوجوه " الواردة في البيت التاسع والعشرين"[1] .

١١) استشهاد الزمخشري بأعلام النحو فنجده يذكر الخليل ، وسيبويه ، والأخفش، والكسائي ، والمبرد ، والفراء ، وابن كيسان ، وأبا علي الفارسي ، وليس الأمر يقف على مجرد الاستشهاد ، وإنما على براعة ربط بين الشاهد وكلام المستشهد به ، فهو في الجانب اللغوي يعوِّل على الخليل ، والأصمعي ، والجوهري ، وفي الجانب النحوي يعول على سيبويه وجماعة من المحققين النحويين ، بل حتى في الجانب النحوي يرجّح الفراء إذا ارتبطت المسألة بشاهد قرآني[2] .

١٢) تناوله قضايا صوتية وهذه المزية وقف على الزمخشري فقد خلت ـ جميع الشروح التي وجدتها للامية من هذه المزية ، مثل حديثه عن اجتماع المثلين ، وما يترتب على ذلك من أن الناطق إذا نطق بحرف ثم نطق بمثله فقد عاد إلى الموضع الذي رفع لسانه عنه من غير فاصل بينهما[3] .

١٣) الاستيفاء التام في شرحه للمسائل ، مثل تفصيله القول في مسألة " حيث " الواردة في البيت الثامن والعشرين ، ومسألة " حتى " الواردة في البيت الحادي والعشرين ، ومسألة " لو " الواردة في البيت الثالث والعشرين .

١٤) إحكام الزمخشري لتعليلاته النحوية فهو يذكر المسألة ويعلل سبب مجيئها

---

(١) لامية العرب دراسة تاريخية نقدية ص٦٠ ، رسالة ماجستير ، محمد الطويرقي ، ١٤٠٦هـ .

(٢) الشرح ، ٧٨ . وانظر : ص ١١٣ من هذا البحث .

(٣) الشرح ، ٣٦ .

على ذلك الوجه مثل تعليله دخول إنْ الشرطية على " لم الجازمة " والواردة في البيت الثامن :

وإنْ مُدَّت الأيدي إلى الزَّاد لم أكنْ   بَأعْجَلِهم إذْ أَجْشعُ القومِ أَعْجَلُ

يقول : " إنْ " حرف شرط ، وهي أم أدوات الشرط ، لأنها حرف و "لم" إذا دخلت على الفعل المستقبل دون معناه إلى المضي كقولك : لم أقم ، والماضي هنا لا معنى له في جواب الشرط ، فتقرر أن (لم) لها معنيان : النفي ، ورد المضارع إلى الماضي ورد المضارع إلى الماضي ممتنع ، لوجود " إنْ " الشرطية فأبطلت أحد معنيي " لم " وهو رد المضارع إلى الماضي وبقي المعنى الآخر ، وهو النفي ...[1] .

١٥) احتواء شرح الزمخشري على أمهات مسائل النحو والتي تتردد على ألسنة النحاة وتوجد بأصولها في المصادر النحوية ، من مثل مسألة " رافع الاسم بعد الظرف " ، ومسألة لولا حكم المرفوع بعدها " ومسألة " ومن معانيها " ، ومسألة " زيادة من في الواجب " ومسألة " واورب وأثرها فيما بعدها " ومسألة "فعل الأمر بين البناء والإعراب " .

وهذا الشرح لا يزال بحاجة إلى كشف مجاهيله والعكوف على دراسة جوانبه اللغوية والنحوية لأمرين :

أولاً : امتلاء اللامية بالمسائل النحوية .

ثانياً: غزارة الزمخشري المعرفيةواللغوية والنحويةالتي جعلت من جاء بعده من الشراح يقف عاجزاً عن تخطي ما وضعه الزمخشري في شرحه هذا أعجب العجب[2] .

---

(١) الشرح ، ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) انظر : أبو البقاء العكبري وأثره في الدراسات النحوية ص٢٥٣ ، رسالة ماجستير لمحمد فؤاد ، دار العلوم القاهرة .

٤ـ منهج ابن عطاء في
(نهاية الأرب في شرح لامية العرب)

٤ـ شرح ابن عطاء « نهاية الأرب في شرح لامية العرب »

أ ـ التعريف بابن عطاء :

هو عطاء الله بن أحمد بن عطاء الله بن أحمد المصري ، الأزهري الشافعي، المكي ، أديب ، منطقي ، ألف كتباً منها : " نفحة الجود في وحدة الموجود " ، و " منطق الحاضر والبادي " و " شرح الأصول المهمة في مواريث الأمة " و " طريق الرشاد إلى تحقيق بانت سعاد " ، اختصره في شرح سماه "حسن السير بقصيدة كعب بن زهير " و " نهاية الأرب في شرح لامية العرب " و" شرح لامية ابن الوردي " وكلها مخطوطات في دار الكتب[١] . ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته ، وتوفي سنة ١١٦١هـ[٢] .

ب ـ نسبة الكتاب :

ضنت المصادر بترجمة ابن عطاء كما ضنت بذكر آثاره مع مشاركته في بعض العلوم فلم أجد من حصر آثاره كالبغدادي في إيضاح المكنون ، مع تفاوتٍ بينه وبين كحالة وكذا الزركلي ، والكتاب لم يذكر إلاّ عندهما[٣] وأهمله البغدادي[٤] .

---

(١) الأعلام ٤/٢٣٦ .

(٢) إيضاح المكنون ٢/١٣٩ ، ١٨١ ، ٥٨٢ ، ٦٩٠ ، معجم المؤلفين ٤/٢٨٣ ، هدية العارفين ١/٦٦٤ .

(٣) معجم المؤلفين ٤/٢٨٣ ، والأعلام ٤/٢٣٦ .

(٤) إيضاح المكنون ٢/١٣٩ ، ١٨١ ، ٥٨٢ ، ٦٩٠ .

جـ ـ منهج ابن عطاء في شرحه :

تواطأ ذوو الأفهام على شرح اللامية ، وبمناهج مختلفة في التناول وطريقة واحدة في الشرح ، فما وجدناه عند الزمخشري من وسائل لا نجده عند العكبري، وهكذا إلاَّ أن طريقة الشرح واحدة فابن عطاء كغيره من الشرَّاح يسوق البيت من اللامية ويقوم بشرحه ، ولم يستثن بيتاً من اللامية ، وإذا كان ابن عطاء كغيره من الشراح إلاَّ أنه أفاض وأفاد في الجانب اللغوي حتى ليخيل للقارئ خلو الشرح من مسائل نحوية بل إن المنظومة اللغوية التي أبدع فيها ابن عطاء كانت شرحاً للامية يغني عن كل الشروحات الأخرى ، فإذا تجاوز الزمخشري في شرح بيت أو أخل العكبري في تلخيص عبارة الزمخشري ، فإن ابن عطاء يغني ويشفي في هذا الجانب والأمثلة على ذلك كثيرة ولكن نشير بإيجاز في البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ   فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأمْيَلُ

نجد الزمخشري يقول : أصل " أقيموا " أقوموا ، وماضيه " أقام " وعينه واو لقولك فيه " أقوم ...." ، أما ابن عطاء فيقول : " أقيموا " أمر من أقام الشيء جعله قائماً معدلاً ومنه أقمت العود إذا أصلحت ما فيه من عوج وأقيموا الصلاة أي ائتوا بها معدلة الأركان مستكملة سائر المعتبرات "[1] .

وفي البيت الثامن :

وإنْ مُدَّت الأيدي إلى الزَّاد لم أكنْ   بَأعْجَلِهم إذْ أَجْشعُ القومُ أَعْجَلُ

---

(١) الشرح مخطوط ١/ب .

يقول الزمخشري " الجشع " : أشد الحرص ، وينتهي على هنا شرح البيت ، ويقول العكبري " أجشع " أحرص ، وينتهي إلى هنا شرح البيت ، ويقول ابن عطاء : وإن مدت الأيدي أي بسطت جمع يد بمعنى الجارحة وأما "اليد " بمعنى النعمة مجازاً فتجمع على " أيادي " إذ من علامة المجاز جمعه على خلاف جمع الحقيقة[١] .

وفي البيت الحادي عشر :

ثلاثةُ أَصْحابٍ فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ   وَأَبيضُ إِصْليتٌ وصِفْراءُ عَيْطَلُ

يقول الزمخشري : " المشيع " الشجاع المقدام كأنه في شيعة ، يقول العكبري مشيع : مقدام كأنه في شيعة .

وأما ابن عطاء فيقول : " مشيع " أي قوي على المكاره كأنه جعل في شيعه، وأتباع ، ومنه يُقال للمقدام : مشيع[٢] .

وربما اختلف ابن عطاء في منهجه - بل هي ميزة له - حيث يذكر الشرح اللغوي للبيت أحياناً ويذكر من خلاله ما يتعلق بالنحو ، وأحياناً يبدأ ما يتعلق بالشرح ثم يعقب على الجانب اللغوي ، وربما اختار من الكلمات ما يراه غامضاً ككلمة في عجز البيت يقدمها على أخرى في صدره .

---

(١) الشرح ٥/ب .

(٢) الشرح ٧/أ .

وربما اختلف ابن عطاء ومنهجه عن الزمخشري والعكبري ، فالزمخشري يهتم بشرح اللامية ويؤصل بعض المسائل النحوية والعكبري يهتم بإعراب أبيات اللامية وإيجاز في المعنى اللغوي ، أما ابن عطاء فهو يميل إلى الجانب الأدبي أكثر من الجانب النحوي ، ولو نظرنا في مقدمة الشرح لوجدناه يقول : " وهذا تعليق لطيف وتنميق شريف على القصيدة الفريدة واللامية المجيدة المنظومة على البحر الطويل ، ويقول : الحمد لله الذي خص البلغاء بورود موارد الأدب ففازوا بغاية من المأمول ونهاية من الأرب ...."(١) .

د ـ مصادر ابن عطاء في شرحه نهاية الأرب :

لم يذكر لنا ابن عطاء المصادر التي استمد منها شرحه ، فالشرح وصل إلينا دون ذكر لشيخ أخذ عنه أو كتاب درس فيه ، ومقدمة الشرح توحي بذلك حيث يقول : " فهذا تعليق لطيف ، وتنميق شريف ، على القصيدة الفريدة ، واللامية المجيدة المنظومة على البحر الطويل ، والأسلوب المثيل ، المشهورة بـ" لامية العرب " للفصيح الماهر ، والبليغ الساحر ، الشنفرى الأزدي ، وسميته " نهاية الأرب في شرح لامية العرب "(٢) .

(١) الشرح : ١/أ .
(٢) الشرح : ١/أ .

لكننا لا نعدم أن نجد ابن عطاء يصرح في شرحه هذا بآراء بعض العلماء في النحو ، واللغة ، فيذكر سيبويه[١] ، والأخفش[٢] ، والجمهور[٣] ، وصاحب الكشاف[٤] ، كما يذكر في الجانب البلاغي السكاكي[٥] ، ذكر سيبويه في مسألة زيادة " من " في الواجب الواردة في البيت الثاني والعشرين :

وَأَسْتَفُّ تُرَبَ اَلْأَرْضِ كي لا يُرَى لهُ   عليَّ مِنْ الطَّوْلِ أمْرؤٌ مُتَطَوِّلُ

قال : " من الطول " أي شيئاً كائناً من الطول ، كما ذهب إليه سيبويه[٦] وذكره في البيت الثاني والستين :

نَصَبْتُ لَهُ وَجْهي وَلاَكِنَّ دُوْنَهُ   وَلاَ سِتْرَ إلاَّ الأتْحمِيُّ الْمُرَعْبَلُ

قال : و " لا تحمى " بالرفع بدل من موضع اسمها ، لأنها في كل رفع بالابتداء عند سيبويه ، كقولنا لا إله إلاَّ الله[٧] ٠

---

(١) الشرح : ١٥/أ ٠
(٢) المرجع نفسه : ١٥/أ ٠
(٣) المرجع نفسه : ١٧/ب ٠
(٤) المرجع نفسه : ١٨/أ ٠
(٥) المرجع نفسه : ٢١/أ ٠
(٦) المرجع نفسه : ١٠/ب ٠
(٧) الكتاب ٢٧٩/٢ ، اللامات للزجاجي ١٠٦ ، وعلق صاحب : رصف المباني على أن ما بعد " لا " مرفوع بالابتداء بقوله : واعلم أن النحويين اضطربوا في هذا الاسم الذي بعد " لا " مبنياً ، فمنهم من يقول : هو مبني معها ، ومنهم من يقول : هو مبتدأ ومنهم من يقول : هو اسمها بعد تنوين ، والصحيح أنه مبتدأ في الأصل غيرته " لا " إلى النصب .... الرصف ٢٦٦ ٠

وما ذكره ابن عطاء هو مذهب البصريين وهو إذا استثنيت بعد " لا " رفعت المستثنى كقولك : لا إله إلا الله ، لأنه بدل من الموضع[١] ٠

وذكر الأخفش في مسألة " زيادة " من " في الواجب " الواردة في البيت الثاني والعشرين :

وَأَسْتَفُّ تُرَبَ الأَرْضِ كي لا يُرَى لهُ　　　عليَّ مِنْ الطَّوْلِ أمْرؤٌ مُتَطَوِّلُ

قال ابن عطاء :" ومن زائدة ، فلا تتعلق بشيء ، كما ذهب إليه الأخفش، ويتوافق قول ابن عطاء مع ما جاء في معاني القرآن للأخفش "[٢] ٠ وذكر الجمهور في مسألة " رافع الاسم بعد لولا " الواردة في البيت الثالث والعشرين :

وَلَوْلاَ اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ　　　يُعَاشُ بِهِ إلاَّ لَدَيَّ وَمَأْكَـلُ

قال ابن عطاء : واجتناب مرفوع ، واختلاف في رافعه ، فذهب الجمهور[٣] إلى أنه مبتدأ حذف خبره وجوباً[٤] ٠

وربما اعتمد ابن عطاء على مصادر أخرى غير ما ذكر لم يذكرها لأنه ربما ساق المعنى العام للبيت دون ذكر من أخذ عنه ، وإن كنا نجد توافقاً في الجانب اللغوي بين ابن عطاء والزمخشري إلى درجة كبيرة ، وهذا يوحي بأن ابن عطاء اطّلع على شرح الزمخشري كمصدر خاص ٠

---

(١) اللباب ٢٤٥/١ ، وائتلاف النصرة ، ٥٩ ٠

(٢) معاني القرآن ٢٧٢/١ ، وائتلاف النصرة ١٤٣ ٠

(٣) انظر الكتاب : ١٢٩/٢ ، والمقتضب : ٧٦/٣ ، وأصول النحو : ٢١١/٢ ٠

(٤) الشرح : ٢٥/أ ٠

هـ ـ شواهد ابن عطاء :

تأتي شواهد ابن عطاء في المرتبة الثانية بعد الزمخشري من حيث العدد ، فهو يستشهد بالقرآن والحديث والشعر ويستدل بذكر بعض الأعلام كالأصمعي ، وقد بلغ مجموع الشواهد واحدا وأربعين شاهداً ، ثلاثاً وعشرين آية ، وأربعة أحاديث ، وأربعة عشر بيتاً من الشعر ، وقد كانت الآيات التي استشهد بها الزمخشري من القراءات السبعية والأحاديث ، مما يتفق عليها ٠

أما الشواهد الشعرية فلم يتقيد بضوابط الاستشهاد بالشعر فنجد الفوضى في تلك الشواهد ، فتارة يستشهد بالمتنبي وأخرى يستشهد للمجهولين وثالثة ينشد أبياتاً ، وربما كان يهدف من تلك الشواهد إيضاح المعنى اللغوي ، لا كشواهد نحوية ، ومن خلال هذه الشواهد تظهر بصريته في أكثر المسائل فربما مال إلى مذهب البصريين وربما قدمهم على مذهب الكوفيين ٠ ومن أدلة تأييده لمذهب البصريين موافقة البصريين في " سوى " أنها لا تكون إلا ظرفاً ٠ قال : وأكثر ما تكون " سوى " ظرفاً [1] ٠

ووافقهم في مسألة " رافع الاسم بعد الظرف " الواردة في البيت الخامس:

وَلِي دُونَكمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

قال " وأهلون " مبتدأ مؤخر [2] ٠ وهذا مذهب البصريين ، قال ابن الأنباري : وذهب البصريون إلى أن الظرف لا يرفع الاسم إذا تقدم عليه وإنما

---

(١) الشرح أ / ٣ ، وفي الانصاف " ذهب البصريون أنها لا تكون إلا ظرفاً " ، ٢٩٤/١ ٠

(٢) الشرح ، أ / ٤ ٠

يرتفع بالابتداء[١] ، قال صاحب الائتلاف : والصحيح مذهب البصريين[٢] . كما وافقهم في مسألة " زيادة من في الواجب " الواردة في البيت الثاني والعشرين :

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كي لا يُرَى لهُ عليَّ مِنْ الطَّوْلِ أمْرؤٌ مُتَطَوِّلُ

قال : من الطول : صفة لمحذوف تقديره " شيئاً " من الطول . فهو يؤيد عدم زيادتها كما ذهب إليه سيبويه[٣] ولا يرى سيبويه زيادة (من) في الواجب[٤] .

ويبدو أن ابن عطاء اطلع على شروحات اللامية ، وذلك بدلالة توافق كثير من التوجيهات في النواحي الإعرابية بينه وبين الزمخشري والعكبري ، مع أن ابن عطاء لا يشكل شيئاً في اتفاق النحاة في مسألة " ما " فهو يورد أقوال النحاة دون تدخل في تقرير مذهب على آخر ، وإنما ينقل مبلغ علمه ، مع تقديمه لمذهب البصريين فيما يورده من أقوال .

و - المسائل النحوية والصرفية التي تميز بها شرح ابن عطاء :

جاء شرح ابن عطاء ملخصاً من شرح العكبري وخاصة الجانب الإعرابي ، فكثيراً ما نجد توافقاً في التوجيهات الإعرابية وتكراراً للمسائل النحوية ، وقلنا في

(١) الانصاف ٥١/١ .

(٢) الائتلاف ٩٢ .

(٣) الشرح : ٨/أ .

(٤) الكتاب : ٢٢٥/٤ ، واللباب : ٣٥٥/١ .

الجانب الإعرابي ، لأن ابن عطاء فاق جميع الشروح في الجانب اللغوي ، ومن المسائل النحوية والصرفية التي أثارها ابن عطاء في شرحه مسألة " فاء السببية "، ومسألة " سوى " بين الظرفية والاسمية • وقد وردتا في البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأَمْيَلُ

ومسألة " لدى بمعنى عند " والتي وردت في البيت السادس :

هُمُ الأَهْلُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِّر ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلاَ الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

ومسألة "حذف المضاف إليه وبقاء حكم المضاف " الواردة في البيت السابع :

وَكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرائِدِ أَبْسَلُ

ومسألة " زيادة الباء مع النفي بلم " ، ومسألة " لم وأحكامها " ، ومسألة " ما المشبهة بليس " الواردة في البيت الثامن :

وإنْ مُدَّت الأيدي إلى الزَّاد لم أكنْ بأعجلهم إذْ أجشعُ القوم أعجلُ

ومسألة " ما " الزائدة الواردة في البيت الثامن :

وإنْ مُدَّت الأيدي إلى الزَّاد لم أكنْ بأعجلهم إذْ أجشعُ القوم أعجلُ

ومسألة الكلام في " إذا " الواردة في البيت العشرين :

إذا الأمْعَزُ الصَّوَّان لاقى مناسمي تَطَايرَ مِنْه قَادِحٌ ومفلَّلُ

ومسألة الكلام على " كي " الواردة في البيت الثاني والعشرين :

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كي لا يُرَى لهُ عليَّ مِنْ الطَّوْلِ أمْرؤٌ مُتَطَوِّلُ

ومسألة زيادة من في الواجب الواردة في البيت الثاني والعشرين :

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كي لا يُرَى لهُ عليَّ مِنْ الطَّوْلِ أمْرؤٌ مُتَطَوِّلُ

وغيرها كثير من المسائل التي وردت في أبيات اللامية والتي بينهـا ، وبين مسائل العكبري أكبر الشبه .

أما المسائل الصرفية فقد وقع الحافر على الحافر فما ذكره ابن عطـاء سبقه فيه العكبري حيث ذكر مسألتين :

١) مسألة " ياء سيِّد أصل أم بدل من واو " والتي وردت في البيت الخامس :

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

٢) ومسألة " إبدال الهمزة من الواو " والواردة في البيت السادس والخمسين :

فَأَيَّمْتُ نِسْواناً وأيْتَمْتُ إلْـدَةً وَعُدْتُ كما أَبْدَأْتُ واللَّيْلُ أَلْيَلُ

ويظهر أن المسائل النحوية والصرفية التي وردت في شرح ابن عطاء تعد مـن المسـائل المهمـة في الـدرس النحـوي لوجودهـا بنصوصهـا في المصـادر النحويـة ، كالكتـاب[١] ، والمقتضـب[٢] ، والأصـول[٣] ، والمنصـف[٤] ، والمحتسـب[٥] ، والإنصاف[٦] ، والمفصل[٧] ، والشافية[٨] ، والتصريح[٩] ، وغيرها .

---

(١) الكتاب : ٣٦٥/٤ .

(٢) المقتضب : ٢٢٨/١ .

(٣) الأصول : ٢٦٢/٣ .

(٤) المنصف : ص٥٥٧ .

(٥) المحتسب : ٢٢٨/١ .

(٦) الإنصاف : ٧٩٥/٢ .

(٧) المفصل : ٤٤٦ .

(٨) شرح الشافية : ١٢٩/٣ .

(٩) التصريح : ٣٧٣/٥ .

ز ـ الخصائص العامَّة في شرح ابن عطاء :

انفرد شرح ابن عطاء بخصائص عامَّة جعلته مع تأخره الزمني بالنسبة لمن سبقه من الشرَّاح يفوقهم بمزايا لم ترد إلا عنده ، ومن تلك الخصائص :

١) حُسن تناول ابن عطاء للجانب اللغوي أثناء شرح اللامية مما جعله مرجعاً لفهم أبيات وكلمات اللامية بين الشروحات الأخرى وربط ذلك بالمثال المقارن مثل قوله في البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ   فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأَمْيَلُ

وقال ومعنى البيت : أفيقوا يا قوم من غفلتكم عني ، وترك مناصرتكم لي ، فإن ذلك مما يوجب مفارقتي لكم ، والميل إلى سواكم ، وإن كان من أعدائكم وهذا كما قال التميمي :

سَأَتْرُكُ مَنْزِلي لِبَنِي تَمِيمٍ   وَأَلْحَقُ بَالحِجَازِ فَاسْتَرِيحَا[١]

وقال : " وأفعل ـ يقصد أميل ـ بمعنى أصل الفعل[٢] كما قال تعالى : ﴿اللَّه أَعْلَمُ حَيثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه ﴾[٣] .

وفي البيت الثالث :

وَفَي الأَرْضِ مَنْأَىً لَلكَرِيمِ عَنْ الأَذَىَ   وَفَيها لمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

(١) الشرح ، ٣/أ .

(٢) الشرح ، ٣/أ .

(٣) الأنعام ١٢٤ .

يقول : متحول : أي مكان ينتقل إليه ، وفي تعليق الحكم بالمشتق دلالة على أن وصف الكرم ، مما ينبو عن التعود في مقاعد الذل ، وينافيه وهكذا قال الآخر :

وَلاَ يُقِيمُ عَلَى ضِيَّمٍ يُرَادُ بـــهِ إلاَّ الأذلان عَيّر الحيِّ والوتدُ

هَذا عَلَى اَلْخَسْفِ مَرْبُوطٌ برِمْتِه وذا يُشَجُّ فَلاَ يُرْثَي لَهُ أَحَـدُ[1]

٢) إلمام ابن عطاء بدلالة الكلمات والتفريق بين المعاني المختلفة ، قال في شرح البيت الرابع :

لَعَمْرُكَ ما بالأرْضِ ضِيْقٌ على امْرِىءٍ سَرَىَ راغِباً أَوْ راهباً وهَوَ يَعْقِلُ

قال : سرى أي سار في ليل أو نهار ، مفارقاً مكان الذل في مكان العز ، وأصل (سرى) للسير في أول الليل ، وأسرى للسير في آخره ، ومنه : قوله تعالى: ﴿ سُبْحانَ الْذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾[2] ، وقيل هما لغتان بمعنى السير في الليل مطلقاً ، وقيل (سرى) لازم ، و (أسرى) متعد بالباء ومعنى أسرى به ، جعله سارياً[3] . وقال في شرح البيت الخامس :

وَلِي دُونَكمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

قال : و " دون " في الأصل اسم (لأدنى) مكان من الشيء ، أستعير للتفاوت في الأحوال ، والرتب ثم اتسع فيه ، فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد، وتخطى حكم إلى حكم[4] .

---

(١) الشرح ٣/ب .

(٢) الإسراء : آية ١ .

(٣) الشرح ٣/ب .

(٤) الشرح ٤/أ .

٣) براعة استدلالات ابن عطاء على معاني كلمات أبيات اللامية ، قال في البيت السابع :

وَكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أنَّـــــــي إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرائِدِ أبْسَلُ

قال : إذا عرضت أي بدا عُرضها بضم العين أي ناحيتها ، أنشد عمرو بن كلثوم :

وَأعْرَضَتْ اليمَامَةُ واشْمَخَـرْت كَأسْيَافٍ بِأيِّدي مُصْلَتِينـــا[1]

ويقول في شرح البيت الثامن عشر :

وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَـــيْرِهِ أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ

وفي البيت الرابع والثلاثين :

شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ أرْعوى بَعْدُ وارْعَوَتْ وَلَلصَّبْرِ ، إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ

يقول : قد يقال على سبيل الحقيقة : إن الصبر أنفع من الشكوى النافعة، وهي الشكوى إلى ذي مروءة المشار إليها في قول الشاعر :

وَلاَ بُدَّ مِنْ شَكْوَى إلى ذِي مُرُوءَةٍ يُواسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أَوْ يَتَوَجْعُ

ثم يقول : والأول أعلى المراتب ، والثاني : أوسطها والثالث أدناها[2] .

وهذه الشواهد لم ترد إلا عند ابن عطاء مما يدل على سبقه لكل الشروحات الأخرى .

---

(١) الشرح ، ٥/أ .

(٢) الشرح ، ١٥/ب .

وربما ساق شاهداً قرآنياً يستدل به على المعنى اللغوي أو حديثاً نبوياً ، قال في شرح البيت الحادي والعشرين :

أُدِيْمُ مَطَالَ الْجُوعِ حَتَّى أُمِيْتَـهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِكْر صَفْحاً فَأَذْهَلُ

قال : " الذكر صفحاً " أي إعراضاً ، أو معرضاً ، " فأذهل " عنه أي : أنساه وفي التنزيل ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِكر صَفْحاً ﴾[1] .

وقال في شرح البيت الثامن والثلاثين :

فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهْيَ تَكْبُو لِعُقْرِهِ يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ

" فوليت عنها " أي القطا بعد ورودي وقبل ورودها " وهي تكبو " أي : تتساقط " لعقرة " أي الحوض المعلوم من السياق كما في قوله تعالى : ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾[2] أي الشمس .

وفي البيت الحادي والأربعين :

فَعَبَّتْ غِشَاشاً ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّها مَعَ الصُّبْحِ ركبٌ مِنْ أَحَاظَةَ مُجْفِلُ

قال " فعبَّت " أي شربت القطا بكثرة كأنها تصب في حلوقها صباً وفي الحديث : " مصوا الماء ولا تعبوه عبًّا فإن الكباد من العّبِّ "[3] .

وفي البيت الثاني والخمسين :

فَلاَ جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ وَلاَ مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أَتَخَيَّلُ

(١) الشرح ١٠/ب ، وتمامها : ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين﴾ الزخرف : ٥ .

(٢) سورة (ص) : ٣٢ ونصها (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) .

(٣) الشرح ١٦/ب .

يقول ..." ولا مرح " بكسر الراء ـ أي معجب بنفسي " تحت الغنى " أي في حالة حصوله ، وهو ظرف لمرح " أتخيل " أتية على الناس وأتكبر ، وفي الحديث : " إن ا لله يبغض الشيخ الزاني والفقير المختال "(١) .

٤) رجوع ابن عطاء في شرحه لأبيات اللامية إلى أصحاب الاختصاص لبيان المعنى اللغوي فهو يعود للأصمعي لبيان معنى كلمة " السقبان " الواردة في البيت الرابع عشر :

وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَـهُ مُجَدَّعَةً سُقْبَانُها وَهْي بُهَّلُ

قال : و " السقبان " بضم السين المهملة : جمع " سقب " بفتحها وهو الصغير من الإبل قال الأصمعي : أول ما يُقال لولد الناقة لما يسقط من بطن أمه ، قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ، سليل ، ثم يسمى إذا تبين سقباً وحواراً(٢) .

وقال في شرح البيت الثامن عشر :

وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَـيْرِهِ أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ

قال : ولست بعلٍ هو بفتح العين المهملة ، اللام : الرجل المسن الصغير الجثة ، الشبيه بالقرار في دقة جسمه ، وأنشد الأصمعي للمتنخل الهذلي :

لِيسَ بَعْلٍ كَبِيرٍ لاَ شَبَابَ لَهُ(٣)

---

(١) الشرح ١٧/ب . والحديث في مسند أحمد ، مسند الأنصار .

(٢) الشرح ٨/أ .

(٣) الشرح ٨/أ .

٥) الإيجاز في التوجيهات الإعرابية فهو يختصر ما يقرره العكبري مع ترك بصمته لما يعربه ، فشرحه يُعرف من شرح العكبري كما شرح العكبري يُعرف من شرح الزمخشري ، ومن مظاهر الإيجاز :

١ـ قال في إعراب البيت السابع :

وَكُلُّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرائِدِ أَبْسَلُ

وكل : مبتدا و " أبي " خبره وأفرد حملاً على لفظ " كل " ، ويجوز جمعه حملاً على معناه . ومن الإفراد قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّهم آتِيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْدَا﴾[١] ، ومن الجمع[٢] قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِين ﴾[٣] ، وبالمقارنة بين إعراب هذه الكلمة " كل " عند ابن عطاء والزمخشري والعكبري نجده أدق الشرّاح تناولاً وإيجازاً ، فالزمخشري تحدث عن حذف المضاف إليه وبقاء حكم الإضافة وأنها من ألفاظ العموم وأنها مفردة في اللفظ مجموعة في المعنى[٤] . ونجد العكبري يتحدث عن حذف المضاف إليه وبقاء حكم الإضافة وهو تعريف " كل " وعن مذهب أكثر الناس إلى أن " كلا " لا تدخل عليه الألف واللام ، وعن إفراد خبرها أو جمعه[٥] .

وفي إعراب البيت التاسع والأربعين :

فإمَّا تَرَيْني كابنةِ الرَّمْلِ ضاحِياً على رقَّةٍ أحْفَى وَلاَ أَتَنَعَّلُ

(١) مريم آية ٩٥ .

(٢) الشرح ٥/ أ .

(٣) النمل آية ٨٧ .

(٤) أعجب العجب

(٥) إعراب لامية الشنفرى ، ٦٥ ، ٦٦ .

يقول " إن " شرطية وزيدت عليها " ما " للتأكيد ٠ وبكل إيجاز فلم يتحدث عن دخول " إن " على " ما " وما يترتب عليه من المنع من عدمه ٠ كما تحدث عنه الزمخشري[١] ٠

٦) تنويع شرح ابن عطاء بالأمثلة المصاحبة في شرح الأبيات ، فنراه يستدل بآية ن وحديث وبيت من الشعر ، ودلل على ذلك بذكر شيء من عادات العرب ، ففي شرح البيت السابع عشر :

ولا خالِفٍ داريَّة مُتَغَزِّل يَرُوحُ ويَغْدُو داهِناً يَتَكَحَّلُ

يقول : " داهناً " لست بمختلف عن الخير ولا ملازماً للبيوت ، ولا محباً لمغازلة النساء ، ولا استعمل ما يستعملونه مما هو من شعار هي كالأدهان والاكتحال ، وهذا إنما كان في الجاهلية ، وقد جاء الإسلام بخلاف ذلك ، فقد كان ﷺ يحب الأدهان والاكتحال ، ومحادثة النساء من أزواجه[٢] ٠

وفي الجملة فإن شرح ابن عطاء مصدر ثقافة وإلهام للقارئ وغنية عن غيره من الشروحات في الجانب اللغوي ، ولولا ضآلة المسائل النحوية فيه لفاق كل الشروحات الأخرى ٠ في الجانب اللغوي والبعد الأدبي البلاغي ٠

وليت الدكتور محمد الحلواني لم يعجل بالحكم على شرح ابن عطاء من زاوية ضيقة جداً ، فكان عليه أن ينظر إلى الشرح من جميع ابعاده ولم يطلق القول بأن صلته بشرح الزمخشري والعكبري واهية[٣] ٠

---

(١) الشرح ٢٠/أ ٠

(٢) الشرح ٨/ب ٠

(٣) شرح لامية العرب ، تحقيق وتقديم الدكتور محمد خير الحلواني ، ١٢ ٠

الفصل الثالث

دراسة المسائل

مبحث المسائل النحوية

١- مسألة رافع الاسم بعد الظرف*

وردت هذه المسألة في البيت الخامس :

وَلِيْ دُوَنكُمْ أَهْلُون سِيْدٌ عَمَلَّسٌ   وأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وعَرْفَاءُ جَيْـــأَلُ

قال العكبري : " وعلى قول الأخفش : (أهلون) رُفع بالجار وهو فاعل"[١] .

وقال : وللأخفش في عمل الظرف قول ينفردُ به وذلك نحو قولك : " في الدار زيدٌ " فـ " زيد " يرتفع عنده بالظرف كما يرتفع بالفعل ، وإن لم يعتمد على ما قبله ، فإن اعتمد جاز عند الجميع "[٢] .

---

* شرح الأبيات المشكلة الإعراب : ٨١/١ ، ٢٦٥ ، ٢٢٩ ، ٢٢٣ ، ٣٠٥/٢ ، ٣٠٧ ، ٣١٩ : اللّمع ٢٣٤/١ : أمالي ابن الشجري ٢٥٥/١ ، ١٤/٣ ، ١٩٦ ، اللباب ١٤٣/١ ، الإنصاف ٥١/١ ، ٥٥ ، نتائج الفكر للسهيلي : ٣٢٥ ، اللباب : ١٤٣/١ ، التبيين ص٢٣٣ ، شرح المفصل ٩٠/١ ، شرح التسهيل ٣١٧/١ ، شرح الرضي على الكافية ٢٤٧/١ ، الارتشاف ٥٤/٢ . بدائع الفوائد : ١٨٧/١، ١٨٨ ، ائتلاف النصرة ص٩١ ، التصريح ٥٣٨/١ ، الهمع ٢٣/٢ ، حاشية الصبان على الأشموني ١٩٣/١ .

وهذا البيت من شواهد النحاة على أن " جيأل " غير مصروف و " أهال " ليست جمع " أهلون " فقد استدل به ابن جني في المنصف : ص٥٥٧ ، والمحتسب : ٢١٨/١ ، وابن يعيش في شرح المفصل: ٣١/٥ .

(١) إعراب اللامية ، ص٦٢ ، ص١٣٢ .

(٢) المرجع نفسه : ص١٣٢ .

وفي اللباب يعقد العكبري فصلاً حول هذه المسألة ، وقال : إذا تقدم الظرف على الاسم واعتمد على أحد سبعة أشياء ، على المبتدأ أن يكون هو خبراً ، أو صفة ، أو حالاً ، أو كان معه استفهام ، أو حرف نفي ، أو كان عاملاً في " أنَّ" والفعل جاز أن يعمل فيما بعده عمله في الفاعل لقوته بما اعتمد عليه ، وهذا جائز مطلقاً عند الأخفش[١] والكوفيين[٢] والمبرد[٣] .

وفي التبيين يعقد مسألة باسم " العامل في الاسم المرفوع بعد الظرف والجار والمجرور . ويشترط أن يعتمد الظرف على شيء قبله قال : وإذا لم يعتمد الظرف وحرف الجر ، على شيء قبله لم يعمل في الاسم الذي بعده ، بل يكون الاسم مبتدأ والظرف خبراً مقدماً ، وفيه ضمير كما لو كان مؤخراً في اللفظ "[٤] .

وهذه المسألة خلافية بين النحاة يتوقف عليها إعراب كثير من الشواهد ، فقد ذهب الكوفيون إلى أن الظرف يرفع الاسم إذا تقدم عليه ، ويسمُّون الظرف المحلَّ ، ومنهم من يسميه الصفة وذلك نحو قولك : أمامَكَ زيدٌ " وفي الدار عمرو"[٥] .

---

(١) ائتلاف النصرة ص ٩٢ .
(٢) المرجع نفسه : ص٩٢ .
(٣) اللباب ١/١٤٣ .
(٤) التبيين ص ٢٣٣ .
(٥) الإنصاف : ١/٥١ .

ووافق مذهب الكوفيين الأخفش ، والمبرد من البصريين[1] ، وقد نقل السمين ، رأي الأخفش ، في إعراب قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهم فَي أَذانِهم مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْموتِ وا للهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِين ﴾[1] .

حيث : ﴿ ... فِيهِ ظُلُمَاتٌ ﴾ يحتمل أربعة أوجه ......، ثم قال : على جميع هذه الأقوال " ظلمات " فاعل " ، لأن الجار والمجرور والظرف متى اعتمد على موصوف ، أو ذي حال ، أو ذي خبر ، أو على نفي ، أو استفهام عمل عملَ الفعل ، والأخفش يُعملهما مطلقاً "[2] .

كما نقل ابن الأنباري ، وأبو حيان ، والسمين رأي الأخفش في إعراب قوله تعالى : ﴿... فَلَهُم أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِهِم وَلاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون ﴾[3] .

قال ابن الأنباري : " أجرهم : مبتدأ ، ولهم : خبره ، وعند الأخفش أن أجرهم مرفوع بالجار "[4] .

وقال أبو حيان : " وأجرهم : مرفوع بالابتداء ، ولهم : في موضع الخبر ، وعند الأخفش ، والكوفيين (أن أجرهم) : مرفوع بالجار والمجرور "[5] .

---

(١) البقرة (١٩) .

(٢) الدر ، ١٧١/١ .

(٣) البقرة : (٦٢) .

(٤) البيان ٤٠/١ .

(٥) البحر ٢٤٢/١ .

وقال السمين : " لهم خبر مقدم متعلق بمحذوف ، وأجرهم : مبتدأ ، ويجوز عند الأخفش أن يكون فاعلاً بالجار قبله ، وإن لم يعتمد "[١] . وأيضاً نقل ابن الأنباري والسمين رأي الأخفش في إعراب قوله تعالى : ﴿.. وَمِنْهُم أُمِّيُّون لاَ يَعْلَمُون اَلْكِتَابَ إلاَّ أَمَانِيَّ وَإِن هُمْ إلاَّ يَظُنُّون ﴾[٢] .

قال ابن الأنباري : ﴿ وَمِنْهُم أُمِّيُّون ...﴾ أميون : مبتدأ ، وما قبله خبر، ويجوز على مذهب الأخفش أن يرتفع بالظرف [٣] .

وقال السمين : ﴿ وَمِنْهُم أُمِّيُّون ...﴾ منهم خبر مقدم متعلق بمحذوف ، وأميون : مبتدأ مؤخر ، ويجوز على رأي الأخفش أن يكون فاعلاً بالظرف قبله ، وإن لم يعتمد[٤] .

واحتج الكوفيون : بأن الأصل في قولك : " أمامك زيدٌ " و " في الدار عمرو" حلَّ أمامَكَ زيدٌ و " حلَّ الدار عمرو "[٥] .

قال ابن الأنباري معلقاً على أمثلة تقديم الظرف : فحذف الفعل واكتفى بالظرف منه وهو غير مطلوب ، فارتفع الاسم به كما يرتفع بالفعل[٦] .

---

(١) الدر ١/٤٠٥ .

(٢) البقرة : (٧٨) .

(٣) البيان ١/٤٥ .

(٤) الدر ١/٤٤٥ .

(٥) ائتلاف النصرة / ٩١ .

(٦) الإنصاف ١/٥١ ـ ٥٢ .

واعتمد الكوفيون في رأيهم على مذهب سيبويه ، المشترط ، أن الظرف يرفع إذا وقع خبراً لمبتدأ ، أو صفة ، لموصوف ، أو حالاً لذي حال ، أو صلة لموصول، أو معتمداً على همزة استفهام ، أو حرف النفي ، أو كان الواقع بعده "أن" التي في تقدير المصدر[١] .

ونقل المطّرزي عن سيبويه : أن اسم الحدث المرفوع بعد الظرف فاعل له ، وإن لم يعتمد الظرف على شيء "[٢] .

وعللّ العكبري حجة الكوفيين برفع الاسم بعد الظرف : أن الظرف لابد له من عامل ، هو الفعل ، فإذا تقدم الاسم وجب أن يكون عامله قبله وهو الفعل ، وإذا كان قبله ، وقد أقيم الظرف مقامه وجب أن يعمل كما يعمل الفعل في الاسم إذا كان قبله[٣] .

كما عللّ الرضي حجة الكوفيين في رفع الاسم بعد الظرف : وإنما قال الكوفيون ذلك لاعتقادهم أن الخبر لا يتقدم على المبتدأ ، مفرداً كان أو جملة فيوجبون ارتفاع " زيد " في نحو : في الدار زيد " و " قائم زيد " على الفاعلية[٤].

---

(١) الإنصاف ١/٥١-٥٢ .

(٢) الكتاب : ١٢٦/٢ ، حاشية الصبان على الأشموني ١٩٣/١ .

(٣) التبيين ، ص٢٣٥ .

(٤) شرح الرضي على الكافية ٢٤٧/١ .

السمين[١] . وفي قوله تعالى : ﴿ ...وَمِنْهم أَمْيِّون ...﴾ [٢] حيث قال : "أميون: مبتدأ ، وما قبله خبر ، ويجوز علـى مذهـب الأخفش أن يرتفـع بـالظرف"[٣] . وتابعه السمين[٤] ـــ بـل إنـه جعـل الأرجـح هـو رأي الكوفيـين في قولـه تعـالى : ﴿...فِيه ظُلُمَات ...﴾[٥] حيث قال : " وظلمات رُفع بالجار والمجرور لأنــه قـد قوى بكونه صفة لـ"صيب" ويجوز أن يكون " ظلمـات " مبتـدأ ، و " فيـه" خـبر مقدم[٦] .

ومعنى ذلك : أن العكـبري أجـاز كـلا الرأيـين وتـردد بينهمـا . وفي الآيـة الأخيرة ﴿ فِيه ظُلُمات ﴾ يظهر ترجيحه لرأي الكوفيين حيـث حمـل الآيـة علـى رأيهم ثم جوَّز رأي البصريين . وخطّأ أبو حيان من زعم أن مذهب سيبويه جـواز ارتفـاع الاسم بـالظرف . علـى الفاعليـة ، بـل يرفـع بـالابتداء[٧] ، ونقـل ابــن الشجري عن الخليل : أن اسم الحدث يرفع بالابتداء ، ويخـبر بـالظرف المتقدم ومثل له بقوله : " أغداً الرحيلُ "[٨] .

---

(١) الدر ٤٠٥/١ .

(٢) البقرة : (٧٨) .

(٣) التبيان ٤٥/١ .

(٤) الدر ٤٤٥/١ .

(٥) البقرة (١٧) .

(٦) التبيان ٢٢/١ .

(٧) الارتشاف ٥٥/٢ .

(٨) أمالي ابن الشجري ١٩٧/٣ .

وبالجملة فإن حكم المرفوعات بعد الظرف والجار والمجرور لا يخرج عن الآتي :

١ـ أن الأرجح كونه مبتدأ مخبراً عنه بالظرف أو المجرور .

٢ـ أن الأرجح كونه فاعلاً .

٣ـ أنه يجب كونه فاعلاً(١) .

ولم يقطع أبو علي الفارسي في هذه المسألة برأي ، حيث أورد أكثر من عشرين شاهداً على الرفع بعد الظرف دون أن يبرز رأياً إلاَّ أنه يقدم الرفع بالظرف على الرفع بالابتداء(٢) .

وليس وقوع الظرف خبراً في هذه الأمثلة وغيرها من الحقيقة في شيء ؛ لأن الدار في قولك : " زيد في الدار " ليست من زيد في شيء ، وإنما الظرف معمول الخبر ، ونائب عنه ، وعندما حذف الخبر ، وأقيم الظرف مقامه صار الظرف خبراً(٣) .

ويمتد الخلاف في هذه المسألة ليصل إلى الخلاف إلى تقدير محل الظرف والمجرور الواقعين خبراً(٤) ، حيث أومأ سيبويه بأنه كونٌ مقدَّرٌ تقديره مستقر ، قال : وما كان فيها أحدٌ خير منك ، وما كان أحدٌ مثلك فيها ، وليس أحدٌ فيها خير منك ، إذا جعلت فيها مستقراً(٥) .

---

(١) المغني ص٤٢٤ .

(٢) انظر : " شرح الأبيات المشكلة الإعراب " : ٨١/١ ، ٢٢٣ ، ٢٦٥ ، ٣٠٥/٢ ، ٣١٩ ، ٣٠٧ .

(٣) انظر : شرح المفصل ٩٠/١ .

(٤) انظر : الإنصاف ٢٤٥/١ .

(٥) الكتاب : ٥٥/١ .

واختلف النحويون في تقدير الكون بين اسم الفاعل ، والفعل[١] ، فمذهب سيبويه تقدير اسم الفاعل[٢] . قال ابن مالك : ونبه سيبويه على أن تقدير اسم الفاعل أولى[٣] . واختاره ابن جني[٤] ، وابن الأنباري[٥] ، وابن مالك[٦] ، وأبو حيان[٧] . وحجتهم في ذلك أن الأصل في الخبر الإفراد والفعل المقدر جملة ، فلا عدول عن الأصل مع إمكانه[٨] ، ولا صحة لزعم أبي حيان[٩] أن ابن جني يقدر الفعل ، لصراحة رائه في اللمع ، واختيار اسم الفاعل كوناً[١٠] .

ورجَّح الفارسي[١١] ، والزمخشري ، وابن الحاجب[١٢] إلى تقدير الفعل وحجتهم في ذلك ، أنه الأصل في العمل[١٣] .

---

(١) المتبع في شرح اللمع ٢٣٤/١ : اللباب ١٣٩/١ : شرح المفصل ٩٠/١ : التصريح ٥٣٥/١ .

(٢) الكتاب : ٥٥/١ .

(٣) شرح التسهيل : ٣١٧/١ .

(٤) اللمع : ٢٣٤/١ .

(٥) الإنصاف : ٢٤٦/١ .

(٦) شرح التسهيل : ٣١٧/١ .

(٧) الارتشاف : ٥٤/٢ .

(٨) الارتشاف : ٥٤/٢ ، الهمع : ٢٢/٢ .

(٩) الارتشاف : ٥٤/٢ .

(١٠) اللمع : ٢٣٤/١ .

(١١) انظر الإيضاح : ٤٣ .

(١٢) الكافية : ٢٤٥/١ .

(١٣) الكافية : ٢٤٥/١

وصحَّح العكبري[1] رأي أبي علي وقال : وهو الصحيح ؛ والدليل على ذلك أن الصلة تتم بالظرف كقولك : " زيد الذي خلفك " ولولا أنه ناب عن الفعل نحو (استقر) به لم تتم الصلة به ، واحتاج إلى " هو " لتكون الصلة مبتدأ وخبر .

ويترتب على وقوع الظرف خبرا اشتمال المبتدأ على الضمير ، وهذه مسألة خلافية ، فالمنقول عن البصريين أن الظرف يتحمل ضمير المبتدأ سواء تقدم أم تأخر . وهكذا زعم ابن خروف[2] . وذهب الفرّاء : أنه لا ضمير فيه إلاّ إذا تأخر، فإن تقدم فلا[3] .

وأرجح مذهب الكوفيين الذي ينص على ارتفاع الاسم بعد الظرف إذا تقدم عليه . إذ الظرف يُرفع إذا وقع خبراً لمبتدأ ، أو صفة لموصوف أو حالاً لذي حال، أو صلة لموصول ، أو معتمداً على همزة استفهام أو حرف نفي ، أو كان الواقع بعده " أن " التي في تقدير المصدر . كما أرجح ما ذهب إليه سيبويه إلى تقدير محل الظرف والجار والمجرور الواقعين خبراً ، بأنه كون مقدر تقديره "مستقر" . وتقدير الكون اسم الفاعل ، فهو أولى من الفعل ، إذ الأصل في الخبر الإفراد والفعل المقدر جملة فلا عدول عن الأصل مع إمكانه .

ولم يوافق الكوفيون البصريين في تقدير عام للنصب في الظرف الواقع خبراً،فقد ذهبوا إلى أنه منصوب على الخلاف ومعنى ذلك إن قولك " زيدٌ خلفك" " خلفك " ظرفٌ في الأصل يقدر بفي ثم عُدل عن ذلك ونصب فكان نصبه لمخالفته الأصل[4].

---

(١) المتبع في شرح اللمع : ٢٣٤/١ .
(٢) انظر : التصريح ٥٣٨/١ .
(٣) الهمع ٢٣/٢ .
(٤) انظر الإنصاف ٢٤٥/١ : والتبيين ، ٣٧٦ .

٢ـ مسألة " لولا " وحكم المرفوع بعدها *

جاءت هذه المسألة في إعراب العكبري للبيت الثالث والعشرين :

ولولا اجْتِنَابُ الذَّأمِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ به إلا لَدَيَّ وَمأكلُ

أعرب العكبري البيت وقال .. : والاسم الواقع بعد (لولا) هذه مبتدأ خبره محذوف عند الجمهور ٠

وقال بعضهم[١] : هو فاعل (لولا) وجعلها تعمل عمل الفعل ، وقيل : يرتفع بفعل محذوف..[٢] ٠

وفي التبيان أعرب قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللِّه عَلَيكُم وَرَحْمَتُه لَكُنْتُم مِن الْخَاسِرِين ﴾[٣] ٠

وقال : و "فضل الله" مبتدأ الخبر محذوف تقديره : لولا فضل الله حاضر ، وذهب الكوفيون إلى أن الاسم الواقع بعد (لولا) هو فاعل (لولا)[٤] ٠

وفي إعراب الحديث[٥] ، حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ لعمه : قل

---

* الكتاب : ١٢٩/٢ ، المقتضب : ٧٦/٣ ، أصول النحو : ٢١١/٢ ، كتاب الشعر ٦٦/١ ، الإنصاف : ٧٠/١ ، أمالي ابن الشجري : ٥١١/٢ ، التبيين : ٢٣٩ ، اللباب ١٣١/١ ، شواهد التوضيح : ٦٥، ائتلاف النصرة : ١٦٤ ٠

(١) يقصد الكوفيين وعلى رأسهم الكسائي ، وتبعه الفراء والمازني وابن كيسان ، وسيأتي بيان ذلك ٠

(٢) إعراب اللامية : ص ٨٨ ، ٨٩ ٠

(٣) البقرة : ٦٤ ٠

(٤) التبيان : ٤١/١ ٠

(٥) إعراب الحديث : ص٢٥٤ ٠

لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة ، قال : لـولا أن تعـيرني قريـش يقولـون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت عينك[١] .

قال العكبري : " لولا " هذه يقع بعدها الاسم ، وقد جاء الفعل بعدها[٢] .

وفي اللباب عقـد فصـلاً عـن هـذه المسـألة وتنـاول الخـلاف بـين البصريـين والكوفيين في الاسم الواقع بعد " لولا "[٣] .

وكذا في التبيين جاءت المسألة الحادية والثلاثون تحمل عنوان هذه المسـألة: مسألة الاسم الواقع بعد لولا[٤] .

وتعد هذه المسألة من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين فقـد تناولهـا ابن الأنباري[٥] ، والعكبري[٦] ، واليمني[٧] .

ولم يتناول العكبري في إعراب اللامية هـذه المسـألة ، واكتفـى بقولـه : وفي المسألة كلام طويل ، لا يحتمله هذا الجزء[٨] .

---

(١) مسند أحمد ٤٣٤/٢ ، وصحيح مسلم ٢١٦/١ .

(٢) إعراب الحديث : ص٢٥٤ .

(٣) اللباب : ١٣١/١ ، ١٣٤ .

(٤) التبيين : ٢٣٩ ، ٢٤٤ .

(٥) الإنصاف : ٧٠/١ ، ٧٨ .

(٦) التبيين : ٢٣٩ ، ٢٤٤ .

(٧) ائتلاف النصرة : ١٦٤ .

(٨) إعراب اللامية : ص٨٩ .

ومن المعلوم أن الخلاف في هذه المسألة ، يختص بـ " لولا " الامتناعية ، إذ أن " لولا " تأتي على أربعة مواضع :

الأول : تكون حرف امتناع لوجود ٠

الثاني : التحضيض ٠

الثالث : الاستفهام ، بمعنى " هل " ٠

الرابع : النفي بمعنى " لم "[1] ٠

قال المالقي : وهي تفسر بحسب الجمل التي تدخل عليها[2] ٠ قال الزركشي[3] : خلافاً لابن برجان[4] في تفسيره ، أن جميع ما في القرآن من "لولا" فهي بمعنى " هلا " ٠ ولم أجد هذا المعنى إلا في تفسير الزمخشري[5] لقوله تعالى ﴿فَلَوْ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ ..﴾[6] ، وقوله : ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾[7]

---

(١) انظر الأزهية : ص١٦٦ ٠

(٢) رصف المباني : ٢٩٣ ٠

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٣٢٥/٤ ٠

(٤) هو أبو الحكم عبدالسلام بن عبدالرحمن اللخمي ، كان عبداً صالحاً وله تفسير القرآن ، توفي سنة ٥٣٦هـ بمراكش ٠ انظر وفيات الأعيان : ٢٣٦/٤ ٠

(٥) ٢٦/٤ ، ١١٩/٥ ، وقد أنكر الزمخشري هذا التعميم وقال : وقد حكوا عن الخليل كل " لولا " في القرآن فمعناها هلا ٠٠ وما صحت هذه الحكاية ٠ انظر الكشاف : ٥٩/٣ وإن كنت قد وجدته في البحر المحيط : ٩٧/٦ ، يقول : فلو كانت قرية آمنت ... (يونس ، ٩٨) " لولا " هنا هي التحضيضية ، وكثيراً ما جاءت في القرآن للتحضيض فهي بمعنى هلا ٠ إلا أن مراد الزمخشري خاص بـ " لولا " التي من معانيها التحضيض ، لا التي تكون حرف امتناع لوجود ٠

(٦) يونس : ٩٨ ٠

(٧) الكهف : ١٥ ٠

وقوله : ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ .. ﴾[١] ٠

وقد ذهب الكوفيون إلى أن " لولا " ترفع الاسم بعدها ، نحو : " لولا زيد لأكرمتك " ونسب الفارسي هذا الرأي إلى المازني أنه حكاه[٢] ، ونسبه أبو حيان للفراء وابن كيسان[٣] ونقله المرادي[٤] ٠

واحتجوا بأن " لولا " نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم ؛ لأن التقدير في قولك : " لولا زيد لأكرمتك " لو لم يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا " لا " على " لو " فصار بمنزلة حرف واحد..

كما احتجوا بأن " أن " إذا وقعت بعدها كانت مفتوحة نحو : " لولا أن زيداً ذاهب لأكرمتك " قال ابن الأنباري : ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تكون مكسورة ، فلما وجب الفتح دل على صحة مذهب الكوفيين[٥] ٠ وفي هذا أيَّد العكبري مذهب الكوفيين وقال : وهكذا جميع أدوات الشرط إذا وقعت بعدها الأسماء كان العامل فيها فعلاً محذوفاً[٦] ٠

(١) المنافقون : ١٠ ٠

(٢) انظر : كتاب الشعر : ١/٦٦ ٠

(٣) الارتشاف : ٢/٥٧٦ ، وأعجب العجب : ص٣٥ ٠

(٤) الجنى : ص٦٠١ ٠

(٥) الإنصاف : ١/٧٣ ٠

(٦) شرح الإيضاح : ٨٨/أ ، وانظر العكبري سيرته ومصنفاته ص٦٧ للدكتور مير علم ٠

وذهب بعض الكوفيين إلى أن الاسم الواقع بعد " لولا " يرتفع بفعل محذوف ٠ ونسب هذا الرأي للكسائي[١] ٠

وذهب البصريون إلى أن الاسم الواقع بعد " لولا " مبتدأ ، قال سيبويه : باب من الابتداء يضمر فيه ما بني على الابتداء ، وذلك قولك : لولا عبدا لله لكان كذا ، وكذا ... وأما عبدا لله فإنه من حديث (لولا) وارتفع بالابتداء[٢] ، وقال المبرد : اعلم أن الاسم الذي بعد (لولا) يرتفع بالابتداء[٣] ٠ قال العكبري: والدليل على ذلك من وجهين :

أحدهما : أن " لولا " تقتضي اسمين ، الثاني منهما خبر بدليل جواز ظهوره في اللفظ ، وإن لم يستعمل[٤] ٠ قال ابن يعيش في توضيح هذه المسألة : فقولك : لولا زيد لأكرمتك معناه : لولا زيد مانع لأكرمتك ، والأصل قبل دخول الحرف : زيد مانع ، فالاسم الأول زيد والثاني مانع[٥] ، وهذا تعليل ابن السراج لابتداء الأسماء بعد " لولا "[٦] ٠

والثاني : أن " لولا " لا تختص بالأسماء ، بل تدخل عليها وعلى الأفعال بدليل قول الشاعر :

---

(١) الارتشاف : ٥٧٦/٢ ٠

(٢) الكتاب : ١٢٩/٢ ٠

(٣) المقتضب : ٧٦/٣ ٠

(٤) اللباب : ١٣٢/١ ٠

(٥) شرح المفصل : ١٤٥/٨ ٠ يلاحظ أن تقدير الجملة الاسمية أولى فهي أثبت وآكد من الجملة الفعلية ٠

(٦) أصول النحو : ٢١١/٢ ٠

أَلاَ زَعَمتْ أسماءُ أن لا أُحبُّهـا   فقُلتُ : بَلَى لولا يُنازِعنُي شُغْلِي[١]

قال ابن هشام[٢] : " ينازعني " مبتدأ بإضمـار " أن " علـى حـدِّ قولهـم : تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه[٣] . ومن المعلوم أن ابن هشام أنكر على الكوفيين مذهبهم وقال : وليس المرفوع بعـد " لـولا " فـاعلاً بفعـل محـذوف ، ولا بلـولا لنيابتها ولا بها أصالة ، خلافاً لزاعمي ذلك[٤] .

واشار ابن مالك إلى هذا التخريج بقوله : وإذا ثبت أن الابتداء بـه أولى وأن موضعه لا يصلح للفعل ، وجب التحيل في تخريـج البيـت وذلـك بحـذف " أن " ورفع الفعل ، والموضع موضع المبتدأ على تقدير " أن "[٥] .

وقول الشاعر :

لاَ درَّدرُّكِ إنِّي قَدْ رَمَيْتُهُم   لَوْلاَ حُدِدْتُ لاَ عُذْرِي لَمحْدُودِ[٦]

أي لولا الحد والحرمان . قال البغدادي[٧] : وهذا البيت يردُّ مذهب الفراء القائل بأن ما بعد " لولا " مرفوع بها[٨] .

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لأبي ذؤيب الهذلي ، في التبيين ص٢٤٢ ، واللباب : ١٣٢/١ ، وشرح المفصل : ١٤٦/٨ ، ومغني اللبيب : ٢٧٥ ، والجنى : ص٦٠٧ .

(٢) المغني : ٢٧٥ ، بتصرف يسير .

(٣) قاله المنذر بن ماء السماء لما رأى شقة بن ضمرة إذ كان حسن الصيت قبيح الصورة . انظر المستقصي: ٣٧٠/١ ، ومجمع الأمثال : ١٢٩/١ .

(٤) المغني : ص٢٧١ .

(٥) شرح التسهيل : ٢٨٤/١ .

(٦) البيت من البسيط ، وهو للجموح الظفري في شرح المفصل : ٩٥/١ . وبلا نسبة في التبيين : ص٢٤٢، واللباب : ١٣٣/١ ، وشرح الرضي على الكافية : ٢٧٥/١ .

(٧) الخزانة : ٤٦٢/١ ، ٤٦٣ .

(٨) انظر : شرح الرضي على الكافية : ٣٧٤/١ .

وقد رد الكوفيون ومن ناصرهم هذه الشواهد وقالوا : إن " لولا " هذه مركبة من " لو " التي هي حرف امتناع لامتناع زيدت عليها " لا " التي بمعنى " لم "، وتابعهم ابن الأنباري[١] ، والرضي[٢] .

والصواب ما نقله ابن الشجري عن السيرافي أنه قال : والصحيح ما قاله سيبويه : وكل حرف يليه الاسم والفعل ، فما بعده رفع بالابتداء ، نحو : إنما، وكأنما ، وهل ، وألف الاستفهام[٣] .

ومن احتج بقول سيبويه بوقوع الفعل بعد " لولا " ضعيف ؛ قال ابن الشجري : لأنه لم يسمع إلا البيتان السابقان[٤] .

قال الفارسي : ومما يضعف قولهم أن الاسم بعد " لولا " مرتفع به ، أن الحروف التي ترفع الأسماء الظاهرة ، تنصب ، كما ترفع نحو " ما " و " لات " و " إن " وأخواتها[٥] ، وصرح بذلك ابن الشجري [٦] .

ويتبين أن العكبري أيَّد مذهب البصريين ، ورد قول الكوفيين[٧] ، بينما نجد أن ابن الأنباري يؤيد وجهة النظر الكوفية ، وهذه من المسائل التي أيَّدها

---

(١) الإنصاف : ٦٧/١ .

(٢) شرح الرضي على الكافية : ٤٤٤/٤ .

(٣) أمالي ابن الشجري : ٥١١/٢ ، والكتاب : ١٢٩/٢ .

(٤) أمالي ابن الشجري : ٥١١/٢ .

(٥) كتاب الشعر : ٦٦/١ .

(٦) أمالي ابن الشجري : ٥١١/٢ ، وقد انتزع ابن الشجري حجته تلك من أبي علي الفارسي من كتاب الشعر (٦٦/١) ، ولم يعزها إليه .

(٧) انظر التبيين : ٢٣٩ واللباب : ٧٥/١ ، وانظر حاشية التحقيق على كتاب التبيين ص٢٤١ .

ابن الأنباري ، وقال : والصحيح ما ذهب إليه الكوفيون[1] ٠

واختاره اليمني وقال : والأصح مذهب الكوفيين[2] ٠ وزعم أن الزمخشري اختاره ، ولم أجده في مؤلفاته[3] ٠

ومما يعلق بهذه المسألة الاختلاف في حذف خبر المبتدأ بعد " لولا " فالمشهور[4] أن خبر المبتدأ بعد " لولا " محذوف واجب الحذف مطلقاً ٠ قال المرادي[5] : ولا يكون عندهم إلا كونا مطلقاً فإذا أريد الكون المقيد جعل مبتدأ ٠ نحو : لولا قيام زيد لأكرمتك ٠ وعليه لحَّنوا قول المعري :

يُذِيبُ الرَّعْبُ مِنهُ كُلَّ عَضْبِ   فَلَوْلاَ الغِمْدُ يُمسِكُهُ لسالا[6]

---

(١) الإنصاف : ٧٥/١ ٠

(٢) ائتلاف النصرة : ص ١٦٤ ، ١٦٥ ٠

(٣) انظر المفصل : ص٣٧٦ ، ٣٧٧ ، وشرح المفصل : ٩٥/١ ، ١٦٤/٨ ، الفائق في غريب الحديث ، انظر فهارسه ٠ وأعجب العجب : ص١١٩ ، ١٢٠ ٠ والكشاف ، انظر : ٣٦/٢ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٢١٩ ، ٢٦/٣ ، ٥٩ ، ٧٠/٤ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ٦٨/٥ ، ١٢٥/٥ ، ٢٠٢ ، ٧٩/٦ ، ٨٠ ، ١١٩ وأساس البلاغة " لولا " ٠

(٤) انظر الكتاب : ١٢٩/٢ ، والمقتضب : ٧٦/٣ ٠ وإليه أشار ابن مالك في الألفية بقوله :

وبعد لولا غالباً حذف الخبر   حتم ، في نص ، يمين ذا استقر

(٥) الجنى : ٥٩٩ ٠

(٦) البيت من الوافر وهو للمعري في سقط الزند ص١٠٤ ، والارتشاف ٣١/٢ ، وشرح التسهيل : ٢٧٦/١، والرصف : ص٢٩٥ والجني : ص٦٠٠ ٠ وقد تركه السيوطي لتأخر قائله ، توفي المعري ٤٤٩هـ ٠ قال ابن هشام : وليس ذكر هذا البيت للاستشهاد بل للتمثيل ٠ انظر : تلخيص الشواهد ص٢٠٩ ٠

قال أبو حيان : القائلون بحذف خبر المبتدأ بعد " لولا " لحنّوا[1] المعري، وتأوله بعضهم على إضمار " أن " والتقدير أن يمسكه وأعربه بدلاً أي إمساكه ، وبعضهم على أنه حال[2] .

قال الشيخ خالد الأزهري : ولا يجوز أن يكون " يمسكه " حالاً من الخبر المحذوف ؛ لأنهم لا يذكرون الحال بعد " لولا "[3] وهذا مما ينسب إلى الأخفش[4] . وقال المالقي : وإنما يكون هذا التلحين في مذهب البصريين[5] .

وذهب الرماني[6] ، وابن الشجري[7] ، والشلوبين[8] ، وتبعهم ابن مالك[9] : إلى شيء من التفصيل فقالوا : إن كان الخبر كونا مطلقاً وجب حذفه،

(١) المراد باللحن ـ هنا ـ ارتكاب الخطأ لا اللحن في الإعراب لانتفائه ، وقوله : " ولحنوا " يراد أن الجمهور جميعهم وقع منهم ذلك . إلا أن ابن هشام حدد وقال : ولحّن جماعة ممن أطلق وجوب حذف الخبر المعريَّ في قوله ... فلولا الغمد يمسكه لسالا . انظر الارتشاف : ٣١/٢ ، والمغني : ٢٧٢ ، وحاشية التحقيق على التصريح : ٥٧١/١ .

(٢) الارتشاف : ٣١/٢ .

(٣) انظر التصريح : ٥٧٢/١ .

(٤) انظر الجنى : ص٦٠٠ ، والمغني : ص ٢٧٢ .

(٥) الرصف : ص٢٩٥ .

(٦) الارتشاف : ٣١/٢ ، ولم أجده في معاني الحروف للرماني .

(٧) أمالي ابن الشجري : ٥١٠/٢ .

(٨) المغني : ص٢٧٢ ، والشلوبين هو أبو علي عمر ولد بأشبيلية ، وأخذ عن السهيلي والجزولي ، من مصنفاته : التوطئة ، وله تعليق على كتاب سيبويه ، توفي سنة ٦٤٥هـ ، انظر بغية الوعاة : ٢٢٤/٢.

(٩) شرح التسهيل : ٢٧٦/١ .

وإن كان مقيداً ، ودل على حذفه دليل جاز إثباته وحذفه ، وإن لم يدل وجب إثباته . قال ابن مالك[١] : ومن هذا القبيل ـ أي كونه كوناً مطلقاً ـ .

فَلَوْلاَ الغِمْدُ يُمسِكُهُ لسَالا[٢]

وقد خطأه بعض النحويين ، وهو بالخطأ أولى[٣] .

وقال : ومنها[٤] : قول النبي ﷺ : ((يا عائشة لولا قَوْمُك حديثو عهد بكفر لبنيت على قواعد إبراهيم))[٥] ، وهو مما خفي على النحويين إلا الرماني وابن الشجري[٦] . وغفل عنه أكثر الناس[٧] .

(١) شرح التسهيل : ٢٧٦/١ .

(٢) سبق تخريجه انظر : ص١٥١ ، لعل المعري جعل البيت على هذا القبيل الثالث ؛ لأنه لم يقصد مجرد كون الغمد وإنما إمساك الغمد وإمساك الغمد يختلف عن مجرد وجوده .

(٣) شواهد التوضيح : ص٦٧ .

(٤) أي من أمثلة ثبوت خبر المبتدأ بعد " لولا " " أي القبيل الثالث " .

(٥) أخرجه البخاري في " صحيحه " في كتاب العلم ـ باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه . انظر : البخاري ٤٠/١ ، ١٣٠/٨ . وهذا الحديث وارد بمعناه وهو ضمن روايات مختلفة فمن روايات الحديث : " لولا حدثان قومك " انظر البخاري ٤٣٩/٣ ، ٤٠٧/٦ ، ١٧٠/٨ ، ويروى : " لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية ... " انظر مسلم : ٩٦٩/٢ ، ٩٧٢ ، ويروى : " لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية ..." انظر الترمذي : ٦١٤/٣ ، ويرى : "لولا حدثان..." ويروى : " لولا أن قومك..." انظر النسائي : ٢١٤/٥ ، ٢١٦ .

قال العجلوني في كشف الخفاء : ١٦٥/٢ : " هكذا اشتهر هذا اللفظ على ألسنة الفقهاء والمعربين (أي: لولا قومك حديثو عهد ...) وهو عند الشيخين والنسائي عن عائشة : " لولا أن قومك حديثو عهد..." قال الشيخ خالد : قال ابن أبي الربيع : لم أرَ هذه الرواية يعني بهذا اللفظ من طريق صحيح ، والروايات المشهورة في ذلك : "لولا حدثان قومك..." و " لولا حداثة قومك ..." و "لولا أن قومك حديثو عهد ..." انظر التصريح : ٥٧٢/١ .

(٦) شواهد التوضيح : ص٦٥ ، وانظر : أمالي ابن الشجري : ٥١٠/٢ .

(٧) شرح التسهيل : ٢٧٦/١ .

وقد انفرد ابن الطراوة[١] برأي في خبر المبتدأ بعد " لولا " حيث قال : والخبر هو الجواب[٢] . قال المرادي ، وهو ضعيف[٣] . وقال ابن هشام : ويُرد أنه لا رابط بينهما[٤] .

وعلل الزجاجي سبب حذف خبر المبتدأ بعد " لولا " بقوله : ولا يجوز ذكر خبر المبتدأ بعد " لولا " ؛ لأن الكلام قد طال بالجواب فالتزم فيه الحذف تخفيفاً[٥] .

(١) أبو الحسين سليمان محمد المالقي المشهور بابن الطراوة ، له آراء في النحو تفرد بها ، توفي سنة ٥٢٨هـ ، انظر : بغية الوعاة : ٦٢٠/١ .

(٢) الارتشاف : ٣١/٢ .

(٣) الجنى : ص٦٠١ .

(٤) المغني : ٢٧٢ .

(٥) شرح جمل الزجاجي : ٣٣٥/١ . ويلاحظ أن هذا التعليل غير كاف ، لأن ما حذف تخفيفاً لا يحذف وجوباً .

٣ـ مسألة " جواز حذف " نون " الفعل " يكون المجزوم " *

تطرق العكبري لهذه المسألة أثناء إعرابه للبيت التاسع والخمسين :

فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ   فقُلْنا قَطَاةٌ رِبْعَ أَمْ رِبْعَ أَجْدَلُ

وقال : (فلم يـك) الأصـل (يكـن) إلا أن النـون حذفـت تخفيفاً لكـثرة استعمال هذه اللفظة[١] .

وقد اختصر العكبري في ذكـر أصـل الفعـل ، إذ الأصـل " يكـون " فحـذف الجازم الضمة التي على النون فالتقى ساكنان : الواو ، والنـون ، فحذفـت الـواو لالتقاء الساكنين ، فصار اللفظ " لم يكن " . قال ابن عقيل : والقياس يقتضي أن لا يحذف منه بعد ذلك شيء آخر ، لكنهم حذفوا النون بعد ذلـك تخفيفاً لكـثرة الاستعمال ، فقالوا : " لم يك " ، وهو حذف جـائز ، لا لازم[٢] . وقـد وقـع في التنزيل في ثمانية عشر موضعاً[٣] .

---

* الكتاب : ٢٨٩/٢ ، ٥٠٦ ، الخصائص : ٩٠/١ ، سر الصناعة : ٥٤٠/٢ ، أمـالي ابـن الشجري : ١٦٧/٢ ، ضرائر الشعر : ١١٥ ، ١١٦ ، شرح التسهيل : ٣٦٦/١ ، شـرح ابـن عقيـل : ٢٧٦/١ ، حاشية الخضري : ٢٦١/١ ، الخزانة : ٣٠٤/٩ ، التصريح : ٦٤١/١ ، الهمع : ١٠٨/٤ .

(١) إعراب اللامية : ص١٣٤ .

(٢) شرح ابن عقيل : ٢٧٦/١ .

(٣) التصريح : ٦٤٠/١ . "أَكُ " في موضع واحد : مريم : ٢٠ " يَكُ " في ثمانية مواضع : الأنفال: ٥٣، التوبة : ٧٤ ، النحل : ١٢٠ ، مريم : ٦٧ ، غافر : ٢٨ ، غافر : ٨٥ ، القيامة : ٣٧ " نَكُ " في موضعين : المدثر : ٤٣ ، المدثر : ٤٤ " تَكُ " في سبعة مواضع : النساء : ٤٠ ، هود : ١٧ ، هود: ١٠٩ ، النحل : ١٢٧ ، مريم : ٩ ، لقمان : ١٦ ، غافر : ٥٠ .

وحذف " نون " كان ، مما تختص به ، وذلك بخمسة شروط وهي :

الأول : أن تكون بلفظ المضارع .

الثاني : أن تكون مجزومة .

الثالث : أن لا تكون موقفا عليها .

الرابع : أن لا تكون متصلة بضمير نصب .

الخامس : أن لا تكون متصلة بساكن[1] .

ومما اجتمعت فيه الشروط قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[2] وغيرها .

وقد استدرك الخضري على ابن عقيل شرطاً سادساً وهو : أن تكون مجزومة بالسكون ، فلا حذف في الجزم بغير السكون .

كما استدرك على ابن مالك تركه لشرط حذف النون الموقوف عليها[3] .

---

(١) انظر : قطر الندى ١٣٨ ، وشذور الذهب

(٢) مريم : ٢٠ ، وقوله : " لم نك من المصلين " المدثر : ١٠ ، وقوله : " ولا تك في ضيق " النمل :٧، "فلم يك ينفعهم " غافر ، ٨٥ .

(٣) انظر : حاشية الخضري ، ٢٦١/١ ، وقد استبعد الخضري مجيء الوقف على النون في " كان " في القرآن الكريم ؛ لأن الوقف فيه على مرسوم الخط ، ولأنه لا يجتلب فيه هاء سكت غير ما ثبت في الوصل نحو : " اقتده " فكذا النون .

والحذف للنون لكثرة الاستعمال[١] ، قال الزجاجي : وذكر الجلة من البصريين أنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال ، وأنها عبارة عن كل ما يمضي من الأفعال وما يستأنف ، وأنها مع ذلك قد أشبهت حروف اللين لأنها تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة ، وأنها غُنَّةٌ تخرج من الأنف ٠ فلذلك احتملت الحذف[٢] ، وقد اعتمد هذا التعليل ابن عصفور[٣] ٠

واختلف في حذف النون عند ملاقاة ساكن، فمذهب سيبويه[٤]،ومن تابعه[٥] أن هذه النون لا تحذف عندملاقاة ساكن، فلا تقول: "لم يك الرجل قائماً" وقد قرئ شذوذاً : ﴿ لَمْ يَكُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾[٦] ٠

(١) وقد جاء هذا الحذف كثيراً جداً في كلام العرب نثره ونظمه ٠ فمن أمثالهم " إن لم يك لحم فنفش " والنفش : الصوف ٠ ويروى " إن لم يكن " وهذه الرواية تدل على أن الحذف جائز لا واجب ، ومن شواهد ذلك قول علقمة الفحل :

ذهبتَ من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

وقول عروة بن الورد العبسى :

ومن يك مثلى ذا عيال ومقتراً يغرد ويطرح نفسه كل مطرح

وقول مهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليب بن ربيعة :

فإن يك بالذّنائب طال ليلى فقد أبكى من الليل القصير

وقول عميرة بن طارق اليربوعى :

وإن أكُ في نجد سقى ا لله أهله بمنانةٍ منه فقلبى على قُرب

وقول الحطيئة :

ألم أكُ جاركم ويكون بينى وبينكم المودةُ والإخاءُ

(٢) معانى القرآن وإعرابه للزجاج : ٢٢٣/٣ ، والزجاجى يشير في قوله (جلّة البصريين) إلى سيبويه ٠ انظر الكتاب : ٥٠٦/٢ ٠ وانظر : أمالي ابن الشجري : ١٦٧/٢ ٠

(٣) ضرائر الشعر : ص١١٥ ، ١١٦ ٠

(٤) الكتاب : ٢٨٩/٢ ٠

(٥) انظر شرح ابن عقيل : ٢٧٦/١ ٠

(٦) البنية : ١ ٠

وأجاز ذلك يونس[١] ، وتابعه ابن مالك قائلاً : " وبقوله أقول " وعلل ذلك بقوله : " لأن هذه النون إنما حذفت للتخفيف وثِقَلُ اللفظ بثبوتها قبل الساكن ، أشدُّ من ثقله بثبوتها دون ذلك ، فالحذف حينئذ أولى ، إلا أن الثبوت دون ساكن ، ومع ساكن أكثر من الحذف[٢] ٠ ورد هذا أبو حيان ، لأن الحذف للتخفيف ليس هو العلة ، إنما العلة كثرة الاستعمال ، مع شبهها بحروف العلة[٣] .... وهذا تعليل[٤] ابن جني ، نسبه إلى نفسه وهو لشيخه الفارسي[٥] ، نقله عن السيرافي[٦] ، وقد نقله ابن عصفور[٧] ، وتابعه البغدادي[٨] ، ومن حذفها قبل الساكن عند يونس ومن تابعه[٩] ، قول الشاعر :

لَمْ يكُ الحقُّ سِوَىَ أَنْ هَاجَهُ ... رَسْمُ دارٍ قَدْ تَعَفَّتْ بالسُّرَرْ[١٠]

---

(١) انظر الهمع : ١٠٨/٢ ٠

(٢) شرح التسهيل : ٣٦٦/١ ٠

(٣) انظر : الهمع : ١٠٨/٤ ٠

(٤) الخصائص : ٩٠/١ ، وسر الصناعة : ٥٤٠/٢ ٠

(٥) انظر المسائل العسكرية : ص٢٧٢ ٠

(٦) انظر ضرورة الشعر للسيرافي : ص١٠٠ وقد زعم السيوطي أن النون تشابه حروف المد واللين في ستة عشر وجها ٠ انظر الأشباه والنظائر ٠

(٧) انظر : ضرورة الشعر لابن عصفور : ص١١٤ ٠

(٨) الخزانة : ٣٠٦/٩ ٠

(٩) انظر ضرورة الشعر لابن عصفور : ص١١٥ ، والضرائر : ص٧٩ ٠

(١٠) البيت من الرمل ، وهو لحسيل بن غرافطة في نوادر أبي زيد : ٧٧ ، ٢٩٥ ، وكتاب الشعر : ١١٤/١ ، وضرائر الشعر : ١١٥ ، وانظر : الخصائص : ٩٠/١ ، والمنصف : ٤٦٨ ٠

وقد أخطأ البغدادي في حصره أن هذا البيت الوحيد الذي حذفت منه النون من " يكن " مع الألف واللام[١] لوروده في قول الشاعر :

فَإِنْ لَمْ تَكُ المرآةُ أَبْدَتْ وَسَامَــةً فَقَدْ أَبْدَتْ الْمِرْآةُ جَبْهَةَ ضَيْغَمِ[٢]

وقوله :

إِذاَ لَمْ تَكُ الحَاجَات مِنْ هِمّة الفتى فَلَيس بِمُغْنٍ عَنْهُ عَقْدُ التَمائمِ [٣]

وقد زعم الجمهور أنه ضرورة[٤] ، وكذا زعم أبو علي[٥] ، وابن عصفور[٦] والأندلسي[٧] ، وعند ابن السرّاج قبح واضطرار[٨] .

وأنكر ابن مالك الضرورة في هذه الأبيــات ، لإمكـان أن يقـال في الأول : لم يكن حق سوى أن هاجـه ، وفي الثـاني : فـإن تكـن المـرآة أخفـت وسـامة ، وفي الثالث : إذا لم يكن من همة المرء ما نوى[٩] .

---

(١) انظر : الخزانة ٣٠٤/٩ .

(٢) هذا البيت من الطويل ورد منسوباً إلى خنجر بن صخر الأسدي في الخزانـة : ٧٢/٤ ، وبلا نسبة في شرح التسهيل : ٣٦٧/١ ، وشواهد التوضيح : ١٧٦ ، وتخليص الشواهد : ٢٦٩ .

(٣) هذا البيت من الطويل ولم أقف على قائله ، وهو في شرح التسهيل : ٣٦٧/١ ، والمساعد : ٢٧٦/١ .

(٤) الهمع : ١٠٨/٤ .

(٥) كتاب الشعر : ١١٤/١ .

(٦) ضرورة الشعر : ١٥٥ .

(٧) الضرائر : ص٨٠ ، وقد عَولتُ على هؤلاء النحاة لتأليفهم في الضرورة .

(٨) نقلاً عن الضرائر للألوسي : ٧٩ ، ٨٠ ، ولم أجد في أصول ابن السرّاج .

(٩) شرح التسهيل : ٣٦٧/١ .

وهذا يدل على أن الضرورة عند ابن مالك هي : ما ليس للشاعر عنه مندوحة ، وهو في هذا مخالف لما ذهب إليه الجمهور من أنها ما جاءت في الشعر، سواء أكان للشاعر عنه مندوحة أم لم يكن[1] ٠

وقد أنكر الدماميني على ابن مالك دعواه في الضرورة ، قال : وأنت خبير بأن هذا مبني على شفا جرف هارٍ من دعواه في الضرورة ألا يثبت في كلام العرب ضرورة إمًّا دائماً أو غالباً[2] ٠

وأؤيد في هذه المسألة ما ذهب إليه يونس ، وابن مالك من أن نون الفعل تحذف عند ملاقاة ساكن ؛ لأن هذه النون ، إنما حذفت للتخفيف وثِقَلُ اللفظ بثبوتها قبل الساكن ، أشد من ثقله بثبوتها دون ذلك فالحذف حينئذٍ أولى والشواهد تؤيد ذلك ٠ ولا أرى ما ذهب إليه أبو حيان من اعتماد تعليل ابن جني: إنما الحذف لكثرة الاستعمال ، مع شبهها بحروف العلة ٠

أما إذا لاقت النون متحركاً فلا يخلو : إما أن يكون ضميراً متصلاً لم تحذف النون اتفاقاً كقول النبي ﷺ لعمر في ابن صياد : " إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله "[3] فلا تقول : " إن يكهُ ، وإلاَّ يكه "، لأن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها[4] ٠

---

(١) انظر حاشية التحقيق على شرح التسهيل : ٣٦٧/١ ٠

(٢) نقلاً عن الدرر اللوامع : ٩٧/٢ ٠

(٣) روى هذا الحديث بهذه الألفاظ الإمام مسلم بن الحجاج في باب ذكر ابن صياد من كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ورواه الإمام البخاري في باب كيف يعرض الإسلام على الصبى من كتاب الجهاد من صحيحه ، ورواه الإمام أحمد في مسنده رقم (٦٣٦) بلفظ " إن يكن هو ، وإن لا يكن هو " ، وقد كان النبى ﷺ قد حدث أصحابه عن المسيخ الدجال ووصفه بهم ، ثم كانت فتنة ابن صياد فلما خرج النبى ﷺ وأصحابه إليه رأى عمر شبهه قريباً مما سمعه من نعوت المسيخ ، فهم بأن يقتله ، فقال له النبى ﷺ ذلك ٠

(٤) التصريح : ٦٤١/١ ٠

وإن كان غير ضمير متصل جاز الحذف والإثبات[١] ، نحو : قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيا﴾[٣] .

ويستوي الأمر في حذف النون بين " كان " الناقصة ، والتامة ، وقد قرئ قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُها﴾[٤] وكان هنا هي التامة[٥] ، وقلل أبو حيان الحكم في التامة ، وكثَّره في الناقصة[٦] .

هذا وقد ختم العكبري المسألة بحكم جانب فيه الصواب ، حيث قال : ولم يسمع حذف النون في غير " لكن " البتة . وربما قصد العكبري بالحذف للنون في حالة الجزم لم يسمع إلا في " يكن " فهذا صحيح ، ولكن عبارته لا توحي بذلك. وحذف النون قد سمع في " لكن " بل كثيراً ما ينَّظر بين " يكن " و " لكن " ، قال ابن جني : " ونظير لم يك الحق " ما أنشده سيبويه :

فَلَستُ بآتيةِ وَلاَ أَسْتَطِعُهُ وَلاَكِ اَسْقِنِي إنْ كَانَ ماؤكَ ذا فَضْلِ[٧]

---

(١) انظر : شرح ابن عقيل : ٢٧٦/١ .

(٢) النحل : ١٢٠ .

(٣) مريم : ١٤ .

(٤) النساء : ٤٠ .

(٥) شرح ابن عقيل : ٢٧٧/١ .

(٦) انظر الارتشاف : ١٠١/٢ .

(٧) هذا البيت من الطويل ، وهو للنجاشي الحارثي ، ورد منسوباً له في الكتاب : ٩/١ ، والمنصف : ٤٦٩ ، والخصائص : ٣١٠/١ ، وأمالي ابن الشجري : ١٦٧/٢ ، والخزانة : ٣٦٧/٤ .

قال السيرافي : أراد : " ولكن اسقني " فلم يتزن له[١] ، فحذف النون لالتقاء الساكنين ، والحذف هنا[٢] ضرورة[٣] .

كما قد حذفت النون في " لدن " كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾[٤] ، وقوله تعالى : ﴿ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾[٥] ، وقول الراجز :

---

(١) انظر : ضرورة الشعر للسيرافي ، ص٩٩ .

(٢) لالتقاء الساكنين سكون النون في " لكن " وسكون السين من " اسقني " انظر : كتاب اللامات للزجاجي : ١٧٨ ، فإن قيل : إنّ بين " لَكِنْ " ، ولم يَكُنْ " فرقا ، وهو أنّ " لَكِنْ " لَمّا كانت مشددة كانت ناصبة للاسم ورافعة الخبر نحو : " لكنّ زيداً مُنطلقٌ " فلمّا خفّفها خرجت عن ذلك الباب ، وصارت تُحسب في حروف العطف ، فحصلت ــ لما زال عملها ــ كأنها حرفٌ آخر ، فأشْبهت" مِنْ " في أنّها لم يُحذف منها شيءٌ .

وقولهم : " يكون ، ولم يكن " لا فرق بينهما ـ في العمل والمعنى ـ فحذفُك من " يكن " هو حذفُك من " يكون " فما تُنْكر أن يكون الحذفُ في " لم يكن " أقبح منه في " لَكِنْ " .

قيل : هذا وجه في الكلام .

ولآخر أيضاً أن يقول : إنّ " لَكِنْ " حرفٌ ؛ والحروف لا يليق بها الحذفُ إنما أكثر ما يكون ذلك في الأفعال ؛ ثم الأسماء .

فأمّا الحروف فالحذف فيها قليلٌ جداً ، لا تكادُ تراه إلا في المضعَّف نحو : " رُبَّ ، وإنّ " فإذا خُفّف المشدّد من الحروف ، فقليلٌ في بابه . فإن جئت تحذف المخفّف فذلك إجحاف مفرط .

ومع هذا فإنّ في الأفعال ما قد حُذِف منه حرفان ، نحو : " عِ كلاما ، وشِ ثوبا " ، ولا تَرَى حرفاً حذف منه حرفان .

وأقصى أحوال : " لم يَكُ الحقُّ " أن يكون مثل : ولاكِ اسْقِنِي ... انظر : المنصف : ص٤٧٠ .

(٣) انظر ضرورة الشعر : ص٩٩ وضرورة الشعر لابن عصفور : ص١١٥ ، وكتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة للقيرواني : ص٩٣ .

(٤) يوسف : ٢٥ ، وانظر : الصاحبي : ص٢٦٥ .

(٥) ق : ٢٣ ، وانظر : البرهان : ٣٤١/٤ .

يَسْتَوْعِبُ البَوْعَيْنِ مَنْ جَرِيرِه مَنْ لدُ لَحْيَيهِ إلى مُنْحُورِهِ[١]

كما حذفت نون " من " في قول الأعشى ٠

وكأنَّ الخَمْرَ المدَامَـةَ مِ لإسْفِنْطِ مَمْزُوجَةً بِماءٍ زُلاَلٍ [٢]

قال السيرافي[٣] : ومثله كثير في الشعر[٤] ٠

وكذا حذف نون (عن) في قول الشاعر :

أَيُّها السَّائِلُ عَنْهُمْ وَعَنِي لَسْتُ مِنْ قَيْسٍ وَلاَ قَيْسُ مِنِي[٥]

---

(١) البيت من الرجز ، وهو لغيلان بن حريث الربعي ، كما نسبه سيبويه في الكتاب : ٢٣٣/٤ ، وانظر الصاحبي : ٢٦٥ ، والمخصص : ٥٩/١٤ ، وشرح المفصل : ١٢٧/٢ ، وشرح شواهد الشافية : ١٦١/٤ ٠

(٢) البيت من الخفيف للاعشى في ديوانه : ص٤١ ، والمذكر والمؤنث للفراء : ص٨٣ ، والصحاح (سفط)، واللسان : (أسفط) والرواية في جميع هذه المصادر ٠ كأن الخمر العتيق من الاسفنط ، فلا شاهد فيه ، أما على الرواية المتشهد بها فقد جمع بين ضرورتين : حذف نون (من) وقطع همزة الوصل ٠ انظر ضرورة الشعر لابن عصفور ص١١٤ ٠

(٣) ضرورة الشعر : ص١٠٠ ٠

(٤) اشارة إلى قول الشاعر :

أبلغ أبا دختنوس مالكـــه غير الذي قد يقال مِ الكـذب

وقول الآخر :

كأنهما مِ لأن لم يتغــــيرا وقد مرَّ للدارين من بعدنا عصرا

وقول الآخر :

لم يشـج قلبي مِ الحوادث إلا صاحبي المتروك في تعلـــم

(٥) البيت من المديد ، وهو بلا نسبة في الجنى الداني : ص١٥ ، وأوضح المسالك : ١١٨/١ ، وشرح ابن عقيل : ٦٣/١ ، وشرح التصريح : ٣٥٩/١ ٠

وجعل الألوسي هذا البيت من الضرورة ؛ لأن الياء إذا جرت بـ " من " أو "عـن" وجبت النون حفظاً للسكون لأنه الأصل[١] ٠ وكذا حذفت نون "قدني" و"قطني"٠

والقياس قدني ، قال سيبويه: وسألته رحمه ا لله ـ يعني الخليل بن أحمد ـ عن قولهم قطني ، ومنّى ، وعنّى ولدنّى ، ما بالهم جعلوا علامـة المجـرور ههنـا كعلامة المنصوب ؟ فقال : انه ليس من حرف تلحقه ياء الإضافة إلا كان متحركـاً مكسوراً ولم يريدوا أن يحركوا الطاء ولا النونات ؛ لأنها لا تذكـر أبـداً إلا وقبلهـا حرف متحرك مكسور ، وكانت النون أولى لأن من كلامهم أن تكـون النـون واليـاء علامة المتكلم فجاؤا بالنون ؛ لأنها إذا كانت مع الياء لم تخرج هـذه العلامـة مـن علامات الإضمار وكرهـوا أن يجيئـوا بحـرف غـير النـون فيخرجـوا مـن علامـات الإضمار ٠ وإنمـا حملهـم علـى أن لم يحركـوا الطـاء والنونـات كراهيـة أن يشـبه الأسماء نحو : يد ، وهن ، وأما ما يحرك آخره فنحو مع ، ولد كتحريك أواخـر هذه الأسماء لأنه إذا تحرك آخره فقد صار كأواخر الأسماء ، فمن ثَـمّ لم يجعلوهـا بمنزلتها ، فمن ذلك معى ، ولدى في مع ولـد ، وقـد جـاء في الشـعر قـدي قـال الشاعر :

قَدْنِي مِنْ نَصَر الْخَبَيـين قَدْيِ   لَيْسَ الإمَامُ بالشَّحِيحِ الملَّحِدِ[٢]

لما أضطر شَبَهَّه بحسبي وهني ، لأن ما بعد حسب وهن مجـرور ، كمـا أن ما بعد قط مجرور فجعلوا علامة الإضمار فيها سواء ، كما قـال : ليتـى ، حيـث اضطر[٣] ٠ فحذف النون يكون من الحرف والاسم والفعل ٠

---

(١) الضرائر : ٤٢ وحول هذا البيت قال ابن هشام : وفي النفس من هذا البيـت شـيء لأنـا لم نعـرف لـه قائلاً ولا نظيراً لاجتماع الحذف في الحرفين ، ولذلك نسبه ابن الناظم إلى بعض النحويـين ولم ينسـبه إلى العرب ٠ انظر شرح ابن الناظم : ص٧٠ ٠

(٢) البيت من الرجز نسبه ابن يعيش ١٢٤/٣ لأبي بحدلة ، وفي الخزانة ٣٨٢/٥ ، ٤٣١/٧ لابي نخيلة٠

(٣) الكتاب : ٣٧٠/٢ ٠

٤- مسألة " كسر همزة " إن " بعد ثم في صدر الاستئناف " *

تناول العكبري هذه المسألة أثناء إعرابه للبيت الثامن والأربعين :

إِذَا وَرَدتْ أَصْدَرْتُها ثُمَّ إِنَّها　　　تَثُوبُ فَتَأْتي مِنْ تُحَيْتَ وَمِنْ عَلُ

وقال " إن " بعد " ثم " مكسورة ؛ لأنها صدر جملة مستأنفة[1] .

وفي اللباب عقد باباً عن الفرق بين " إن " المفتوحة والمكسورة واستدل على كسرها بقوله عليه الصلاة والسلام في التلبية " لبيك إن الحمد لك " وقال : إذا فتحت كان المعنى لبيك لأن الحمد لك ، وإذا كسرت كان مستأنفاً ، وهو أجود في التلبية[2] .

---

* إعراب الحديث : ص١٢٤ ، اللباب : ٢٢٣/١ ، شرح جمل الزجاجي : ٤٦٥/١ ، البرهان : ٢٣٧/٤ ، الارتشاف : ١٣٩/٢ ، شرح ابن عقيل : ٣٢٥/١ ، الهمع : ٢٣٧/٥ .

(١) إعراب اللامية : ص١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) اللباب : ٢٢٣/١ . والحديث في " التلبية " وتمامه : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك " انظر مسلم : ٨٤١/٢ ، والبخاري : ٤٠٨/٣ ، ٣٦٠/١٠ ، قال ابن حجر ٤٠٩/٣ : " وقوله (إن الحمد) روى بكسر الهمزة على الاستئناف وبفتحها على التعليل ، والكسر أجود عند الجمهور ؛ لأنه يعني أن الحمد لله على كل حال ، ومن فتح قال : معناه " لبيك لهذا السبب " وذكر الشيخ خالد الأزهري أن الكسر أرجح ، لأن الكلام حينئذٍ جملتان لا جملة واحدة ، وتكثير الكلام في مقام التعظيم مطلوب كما زعم أن الكسر اختيار أبي حنيفة ، والفتح اختيار الشافعي ، وقال : وقاله الزمخشري في الكشاف . انظر التصريح : ٣٦/٢ ، ولم أجده في الكشاف ، انظر إعراب الحديث للعكبري ص٢٣٠ .

وفي إعراب الحديث[1] أكد أن كسر همزة " إن " يكون على الاستئناف ومثل على ذلك بمثالين ، الأول قوله ﷺ : عجبت للمؤمن إن ا لله لم يقض له قضاءً إلا كان خيراً له[2] .

وقوله ﷺ : " الحياء لا يأتي إلا بخير " [3] فقال بشير بن كعب : مكتوب في الحكمة إنَّ منه وقاراً .

قال العكبري : " إن " مكسورة لا غير ؛ لأنها مستأنفة[4] .

وفي التبيان استدل على كسرة همزة " إن " على الاستئناف ثلاثاً وعشرين مرة[5] .

وفي إعراب العكبري لهذا البيت نظَّر بمثال جانب فيه الصواب حيث استأنس بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾[6] .

ومعلوم أن السبب في كسر همزة " إن " في البيت أنها وقعت صدر جملة استئنافية ، لكن كسر همزتها في الآية الكريمة كان لوقوع لام الابتداء في خبرها ، ومن هنا فهما حالتان .

---

(١) إعراب الحديث : ص١٢٤ .

(٢) الحديث في مسند أحمد : ١١٧/٣ .

(٣) الحديث في مسند مسلم ، كتاب الإيمان : ٦/٢ . والحديث عن عمران بن حصين عن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أنه قال : الحياء لا يأتي إلا بخير ، فقال بشير بن كعب : مكتوب في الحكمة إنَّ منه وقاراً وفيه سكينة.

(٤) إعراب الحديث : ص٢٨٢ .

(٥) التبيان : ٧٤/١ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٥٨ ، ١٩٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٨/٢ ، ٢٤ ، ١١٤ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢٠٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٨١ .

(٦) المؤمنون : ١٥ .

وثم - في البيت - وإن كانت حرف استئناف ففيها معنى العطف ، لأنها مضمومة ، ومن خلالها جاء الاستئناف ، فضلاً عن لو كانت مفتوحة فتكون ظرفاً للبعيد بمعنى هنالك(١) .

قال الطبري : في قوله ﴿ أَثُمَّ إِذا مَاوَقَعَ آمَنْتُم بِهِ ﴾(٢) ، معناه : أهنالك ، وليست " ثم " العاطفة(٣) .

وكسر همزة " إن " بعد الاستئناف ، واحد من تسعة مواضع تكسر فيها همزة " إن " وهي :

الأول : إذا وقعت " إن " ابتداء في أول الكلام ، وأجاز بعضهم أن يبدأ بها مفتوحة(٤) .

الثاني : أن تقع " إن " صدر صلة نحو قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوء بِالْعُصْبَةِ ﴾(٥) .

الثالث : أن تقع جواباً للقسم وفي خبرها اللام .

الرابع : أن تقع في جملة محكية بالقول .

الخامس : أن تقع في جملة في موضع الحال ، كقوله تعالى : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحق وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْ المؤمِنِن لَكَارِهُونَ﴾(٦) .

---

(١) انظر البرهان : ٢٣٧/٤ ، والهمع : ٢٣٧/٥ .

(٢) يونس : ٥١ .

(٣) تفسير الطبري : ٨٥/١١ ، وللفائدة انظر البحر المحيط ١٦٧/٥ .

(٤) الارتشاف : ١٣٩/٢ .

(٥) القصص : ٧٧ .

(٦) الأنفال : ٥ .

السادس : أن تقع بعد فعل من أفعال القلوب ، وقد علق عنها باللام ٠ نحو : علمت إن زيداً لقائم ٠

السابع : إذا وقعت بعد " ألاَ " الاستفتاحية نحو قوله تعالى : ﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾[1] ٠

الثامن : إذا وقعت في جملة هي خبر عن اسم ، نحو : زيد إنه قائم ٠

والمواضع الثلاثة الأخيرة مما استدركه ابن عقيل[2] على ابن مالك حيث أهملها ٠ والكسر في هذه المواضع واجب ٠

وقد اختلفت الكتب في مواضع كسر همزة " إن " وفتحها ، فقد يتعاور بعضها محل بعض ، ولم أجد من فصَّل وفسَّر مواضع كسر وفتح همزة " إن " كالعكبري في " شرح الإيضاح " حيث عقد باباً عن " إن " و " أن " والفرق بينهما[3] ، وابن عصفور في شرح الجمل[4] ٠

(١) البقرة : ١٣ ٠

(٢) شرح ابن عقيل : ٣٢٥/١ ٠

(٣) شرح الإيضاح : ٧٨/أ ٠

(٤) شرح جمل الزجاجي : ٤٦٥/١ ٠



٥ ـ مسألة " الفرق بين المصدر واسمه "*

ألمح العكبري لهذه المسألة بإيجاز وذلك في إعرابه البيت الخامس والعشرين:

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحوَايا كَمَا انْطَوَتْ   خُيُوطَهُ ماريَّ تُغَارُ وتُفْتَلُ(١)

وقال: والخمص، مصدرٌ أو اسم للمصدر(٢) ٠

والخمص في حقيقة الأمر مصدر وليس اسماً للمصدر، ويتضح ذلك من التفريق بين المصدر واسمه ٠

فالمصدر: هو الاسم الذي يدل ـ غالباً ـ على الحدث المجرد من غير ارتباط بزمان أو مكان، أو بذات، أو بعلمية ٠

والمصدر من الناحية اللفظية حقه أن يتضمن حروف الفعل، قال ابن مالك: بمساواة كقولك: توضأ توضؤاً، أو بزيادة عليه كأعلم إعلاماً وقد يحكم على المصدر مع خلوه من بعض حروف فعله مثل: كينونة فأصله كيونونة، ثم عومل معاملة ميِّت، وميْت، فحذف عينه وعوض منها الياء والتاء(٣) ٠

---

* الكتاب: ١٩٢/١، الأصول: ١٣٧/١، الإيضاح: ١٤٥، اللمع: ٦٥/٢، اللباب: ٤٤٩/١، شرح الإيضاح: ١٠٤/أ، شرح التسهيل: ١٢٢/٣، الارتشاف: ١٧٦/٢، أوضح المسالك: ٢٠٠/٣، شرح ابن عقيل: ٢٩٥/٢، الخزانة: ١٢٧/٨ ٠

(١) الخوص: الجوع، والحوايا: ما يحوي البطن، الماري " الفاتِلُ"، تغار، وتفتل: تحكم ٠

(٢) إعراب اللامية: ص٩١ ٠

(٣) انظر: شرح التسهيل: ١٢٢/٣ ٠

واسم المصدر : هو الاسم الدال على مجردت الحدث بثلاثة أنواع :

فأولها : ما كان علماً ، كفجار ، وحماد ، وبرة ، وسبحان ٠

ثانيها : ما كان مبدوءاً بميم زائدة لغير المفاعلة[1] ، كمضرب ، ومقتل ٠

وقد يقولون : مصدر ٠ واسم مصدر في الشيئين المتغايرين لفظاً ، أحدهما للفعل ، والآخر للآلة التي يستعمل بها الفعل كالطُّهور والطَّهور ، والأكْل والأُكل ، فالطُّهور المصدر ، والطَّهور اسم ما يتطهر به والأكْل المصدر ، والأُكُل كل ما يؤكل[2] ٠

وكما اختلف في مدلول كل من المصدر واسم المصدر ، فقد اختلف في عمل المصدر إذا كان معرفاً باللام ٠ إذ يعمل المصدر عمله فعله إجماعاً ٠

قال العكبري : وإنما كان كذلك لأن المصدر إمَّا أن يكون أصلاً للفعل على رأينا ، أو فرعاً على رأي الكوفيين[3] ٠

وأقوى المصادر عملاً المنوَّن ، لأنه أشبه بالفعل إذ كان نكرة ، وإن الفعل لا يضاف ٠

ثم يليه المضاف ، لأن الإضافة في حكم الأسماء ، وقد لا تعرّف ٠ ثم ما فيه الألف واللام[4] ٠

---

(١) جعل ابن هشام الاسم المبدوء بميم زائدة لغير المفاعلة اسم مصدر ، مع أن النحاة يجعلونه مصدراً ، ويسمونه المصدر الميمي ، وابن هشام في هذا تابع ابن الناظم ٠ انظر شرح الألفية : ١٦٤ ٠

(٢) أمالي ابن الحاجب : ١٢٦/٤ ٠

(٣) شرح الإيضاح مخطوط : ١٠٤/أ ٠

(٤) انظر اللباب : ٤٤٩/١ ٠

قال ابن هشام : وبأل قليل ضعيف[١] ، وعلل الرضي ذلك بقوله : إنما قل لتعذر دخول اللام على ما يقدَّر المصدر العامل به وهو الحرف المصدري...[٢] .

وللنحاة أربعة أقوال في إعمال المصدر المقرون بأل :

الأول : أنه يجوز إعماله مطلقاً ، وينسب هـذا القـول إلى سيبويه لقولـه : تقول : عجبت من الضَّرْب زيداً ، كما قلت : عجبت من الضارب زيداً ، يكـون الألف واللام بمنزلة التنوين[٣] .

وقال الشاعر :

ضَعِيفُ النِّكَايةِ أَعْدَاءَهُ　　　يَخالُ الفِرارَ يُراخِي الأَجَلْ[٤]

ونسبه البغدادي هذا الرأي إلى الخليل وسيبويه[٥] .

القول الثاني : لا يجوز إعمال المصدر المقرون بأل مطلقاً ، قال أبو حيـان : وهو مذهب الكوفيين والبغداديين[٦] ، ووافقهم جماعة من البصريين كالمـبرد[٧] ، وابن السرَّاج[٨] ، وقد أنكر الزجاجي هذا الرأي وقال : هذا خطأ محض[٩] .

---

(١) أوضح المسالك : ٢٠٥/٣ .

(٢) شرح الرضي على الكافية : ٤٠٩/٣ .

(٣) الكتاب : ١٩٢/١ .

(٤) البيت من المتقارب ؛ وهو من شواهد سيبويه التي لم يعرفوا لها قـائلاً معينـاً ، الكتـاب : ١٩٢/١ ، وشرح أبيات سيبويه : ١٢٦/١ ، والإيضاح : ١٤٥ ، واللباب : ٤٤٩/١ ، وشرح المفصل : ٥٩/٦ ، وشرح الرضي على الكافية : ٤١٠/٣ ، والمقرب : ص١٩٦ .

(٥) الخزانة : ١٢٧/٨ .

(٦) الارتشاف : ١٧٦/٢ ، والمساعد : ٢٣٤/٢ .

(٧) انظر الخزانة : ١٢٨/٨ ، وشرح الرضي على الكافية : ٤١٠/٣ .

(٨) الأصول : ١٣٧/١ .

(٩) شرح جمل الزجاجي : ١١٨/٢ .

القول الثالث: أنه يجوز إعماله مع قبح هذا العمل ، وهو قول الفارسي[(١)].

وقد اضطرب الفارسي في هذه المسألة ؛ ففي بعض كتبه قال : لا يعمل ، لأنه بَعُدَ من شبه الفعل بالتعريف وليست الألف واللام فيه معنى (الذي) ٠ وقال في موضع آخر يعمل[(٢)] ٠

القول الرابع : أنه يجوز إعماله إذا كانت " أل " فيه معاقبة للتنوين ٠ وهذا قول ابن طلحة[(٣)] وابن الطراوة[(٤)] واختاره أبو حيان[(٥)] ٠

ويمكن أن يكون هذا رأي سيبويه ؛ لأنه يقول : " عجبت من الضرب زيداً، كما قلت : عجبت من الضارب زيداً ، فتكون الألف واللام بمنزلة التنوين[(٦)] ٠

يذكر أنه لم يأت في القرآن شيء من المصادر المعرفة باللام عاملاً ٠ وهذا مما ينسب إلى الفارسي[(٧)] ٠

---

(١) الإيضاح : ص ١٤٥ ٠

(٢) انظر المتبع في شرح اللمع : ٦٥٦/٢ ، قال الأعلم معلقاً على اضطراب الفارسي : وليس ينكر على العالم أن يتحول من رأي إلى آخر أفضل منه ٠ انظر الخزانة : ١٣١/٨ ، والمراد ببعض كتب الفارسي، كالإيضاح ، والتذكرة ٠ والحجة ٠ انظر : حاشية التحقيق على المتبع في شرح اللمع : ٦٥٧/٢ ٠

(٣) أبو بكر محمد بن طلحة الأموي الأشبيلي ، توفي سنة ٦١٨هـ ، انظر : بغية الوعاة : ١٢١/١ ٠

(٤) رسالة الإفصاح : ص٥٦ ٠

(٥) الارتشاف : ١٧٧/٣ ٠

(٦) الكتاب : ١٩٢/١ ٠

(٧) انظر الإيضاح : ص١٤٥ ، وقد علق ابن الطراوة على قول الفارسي بقوله : وهذا من الحمق الذي لا رعي عنه ، ولابد من الإقرار به ٠ انظر : رسالة الإفصاح : ص٥٦ ٠

وإعمال اسم المصدر قليل ، ومن ادَّعى الإجماع على جواز إعماله فقد وهم[١]، فإن الخلاف في ذلك مشهور ٠ قال ابن هشام : واسم المصدر إن كان علماً لم يعمل اتفاقاً وإن كان ميمياً فكالمصدر اتفاقاً[٢] كقول الشاعر :

أَظَلُومُ إنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ[٣]

وذهب البصريون إن كان غيرهما لم يعمل ، ويعمل عند الكوفيين والبغداديين[٤] ٠ وعليه قول الشاعر :

أَكَفْرَاً بَعْدَ ردِّ الموتِ عَنْي بَعْدَ عَطَائكَ المائةَ الرِّتَاعا[٥]

واستثنى الكسائي من ذلك ثلاثة ألفاظ فلم يعملها وهي : الخبز ، والدهن،

---

(١) انظر شرح ابن عقيل : ٩٥/٢ ٠

(٢) أوضح المسالك : ٢١١/٣ ، وانظر الهمع : ٧٧/٥ ٠

(٣) البيت من الكامل ، ونسبة جماعة منهم ابن هشام في المغني ص ٥٠٦ تبعاً للحريري في درة الغواص ، إلى العرجي ، ونسبه آخرون إلى الحارث بن خالد المخزومي وهذا هو الصحيح لوجوده في ديوانه (ص١٩) نقلاً عن المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ، إعداد الدكتور أميل يعقوب ١٩٠/٧ ، ويرتبط إعراب هذا البيت بقصة مشهورة لأبي عثمان المازني ٠ انظر ذلك في ترجمة المازني في أخبار النحويين البصريين ص ٨٥ ، والإنباه : ٢٨١ ٠

(٤) المساعد : ٢٤١/٢ ٠

(٥) البيت من الوافر ، وهو للقطامي في ديوانه ص٣٧ يخاطب زفر بن الحارث الكلابي انظر شرح التسهيل : ١٢٣/٣ ، وشرح الرضي على الكافية : ٤١٢/٣ ، وشرح ابن عقيل : ص٩٤ ٠ هذا وقد ذكر ابن عقيل ٩٣/٢ أن ابن المصنف زعم أن " عطاء " مصدر ، وأن همزته حذفت تخفيفاً ٠ قال ابن عقيل : وهو خلاف ما صرَّح به غيره من النحويين ولم أجد هذا الرأي لابن المصنف في ذلك الموضع ـ عمل المصدر واسم المصدر ـ في شرحه على ألفية أبيه ص١٦١ ، مع استشهاده ببيت القطامي على ما استشهد به النحاة ٠

والقوت، فلا تقل: عجبت من خبزك الخبز ، ولا من دهنك رأسك ، ولا من قوتك عيالك[١]. وأجاز ذلك الفراء. وحكى عن العرب مثل: أعجبني دهنُ زيد لحيته[٢].

ومن إعمال اسم المصدر " ثواب " قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لأَنَّ ثَوَابَ اللَّهِ كُلَّ مُوَحِّـــــــدِ جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ فِيها يُخَلَّدُ[٣]

ومنه قول الشاعر :

إِذَا صَحَّ عَونُ الخالِقِ المرءَ لم يَجِدْ عَسيراً مِنَ الآحالِ إلا مُيَّسـرا[٤]

ومنه قول الشاعر :

بِعِشْرَتِكَ الكِرَامَ تَعدُّ مِنْهُـــــمْ فَلاَ تَرَين لغيرهُم أُلُوفَـــــــا[٥]

وعمدة الاستشهاد لهذه المسألة قول الرسول ﷺ : " من قبلة الرجل زوجته الوضوء"[٦] .

---

(١) الارتشاف : ١٧٩/٢ .

(٢) انظر الهمع : ٧٨/٥ .

(٣) البيت من الطويل وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ص٣٣٩ ، ولسان العرب (فردوس) ، وبلا نسبة في شذور الذهب : ص٤١٣ ، والهمع : ٧٨/٥ .

(٤) البيت من الطويل ولا يعرف قائله ، وانظر : شرح التسهيل : ١٢٣/٣ ، والمساعد : ١٣٨/٢ ، وشرح ابن عقيل : ٩٥/٢ .

(٥) البيت من الوافر ، وهو بلا نسبة في شرح التسهيل : ١٢٣/٣ ، وصدره في الأشموني : ٤٣٥/٢ .

(٦) الحديث في الموطأ : ٤٤/١ ، عن الإمام مالك أنه بلغه أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول: " من قبلة الرجل امرأته الوضوء . قال صاحب " الحديث النبوي في النحو العربي " ص٢٠٥: ونِسْبَة المرادي في شرح ألفية ابن مالك ٩/٣ ، الحديث لـ " عائشة " رضي الله عنها ، لم أره ، فلا أدري ما صحتها ، بل ظاهر ما نقل عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ من عدم الوضوء من القبلة يردّ ما نسب إليها من إيجاب الوضوء .أهـ . وما قيل عن نسبة المرادي قاله الشيخ خالد الأزهري حيث أشار أنه من قول السيدة عائشة رضي الله عنها . التصريح : ٢٤٢/٢ ، وهذا الحديث استشهد به ابن مالك في شرح التسهيل : ١٠٧/٢ ولم ينسبه .

٦- مسألة " سوى " بين الظرفية والاسمية *

وردت هذه المسألة في البيت الأول :

أَقِيموا بَنِي أُمِّي ، صَدور مَطِيِّكُمْ   فَإنِّي إلى قَوْمٍ سَوَاكُمْ ، لأمْيَلُ

ورد في " سوى " ثلاث لغات ، كسر السين " سِوى " وضمها مع القصر "سُوى " وفتحها مع المد " سَواء "[1]. ، وزاد أبو حيان " سِواء " وبهذا جعل فيها أربع لغات[2]. ، وتابعه السيوطي[3]. ، وقال ابن عقيل : وهذه اللغة ـ أي كسر سينها ومدها ـ قل من ذكرها[4]. ،

قال العكبري[5]. في تحقيق هذه المسألة : أما " سوى " فهي هنا صفة لـ"قوم" في موضع جر ، وأكثر ما تقع ظرفاً ، وقد تقع فاعلاً كقول الآخر :

---

* انظر الكتاب ٤٠٧/١ : المقتضب ٣٤٩/٤ : الأصول في النحو لابن السراج ٢٨٧/١ ، الحجة : ١٨٧/١ أمالي ابن الشجري ٣٥٩/١ ، ٢٥٠/٢ ، ٣٧٢ : الإنصاف ٢٩٤/١ وما بعدها : التبيين ص٤١٩ : اللباب ٣٠٩/١ : المتبع في شرح اللمع ٣٦٤/١ : شرح المفصل ٨٣/٢ : شرح الرضي على الكافية ١٣١/٢ : الارتشاف ٣٢٦/٢ : أوضح المسالك ٢٤٤/٢ : المغني ص١٤٨ : ائتلاف النصرة ص٤٠ : التصريح ٥٨٠/٢ : الهمع ١٥٦/٣ ،

(١) المنقوص والممدود للفراء ص٣٢ ، والمقصور والممدود لأبي علي القالي ص١٨٣ ، والمتبع في شرح اللمع ٣٦٤/١ ، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف : ص٣٢٥ ،

(٢) الارتشاف ٣٢٦/٢ ،

(٣) الهمع ١٦٠/٣ ،

(٤) شرح ابن عقيل ٥٥٥/١ ،

(٥) إعراب اللامية ص ٥٧ ،

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَا نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا[١].

والعكبري هنا يقرر بذلك أن " سوى " تقع ظرفاً وغير ظرف ، ولكنه قصرها على الظرفية في اللباب[٢]. ، والتبيين[٣]. ، حيث قال : " الأصل ألاَّ تقع سواء ، وسِوى إلاَّ ظرفاً " . وفي شرح اللمع قال : " اعلم أن " سوى " في الأصل ظرف ؛ لأنها بمعنى وسط "[٤].

وهذه مسألة خلافية بين النحاة ، فلهم فيها ثلاثة آراء : الأول : ذهب البصريون إلى قصرها على الظرفية ولا تخرج عن الظرفية إلى الاسمية ، إلاَّ في الضرورة الشعرية[٥]. . قال سيبويه[٦]. : ومما ينتصب : هذا سواءك ، وهذا رجل سواءك ، فهذه بمنزلة مكانك إذا جعلته في معنى بَدَلَك ، ولا يكون اسماً إلاَّ في الشعر ، وقال بعض العرب ، لما اضطر في الشعر جعله منزلة غيرٍ[٧].

(١) البيت من الهزج للفند الزماني ، واسمه شهل بن شيبان شاعر جاهلي من بني حنيفة كان سيد قومه وفارسهم وشاعرهم ، توفي سنة ٧٠ق . هـ انظر الأعلام ١٧٩/٣ . انظر الحماسة للمرزوقي ص٣٥ : وحماسة البحتري ص٥٦ : أوضح المسالك ٢٤٧/٢ : شرح ابن عقيل ٥٥٨/١ : والهمع ١٦١/٣ : الأشموني ١٥٩/٢ : العيني ١٢٢/٣ .

(٢) اللباب ٣٠٩/١ .

(٣) التبيين ، ص٤١٩ .

(٤) المتبع في شرح اللمع ٣٦٤/١ .

(٥) انظر : ضرورة الشعر للسيرافي : ص٢٢١ ، الإنصاف ٣٩٤/٢ ، وضرورة الشعر لابن عصفور : ص٢٩٢ ، والخزانة ٤٣١/٣ .

(٦) الكتاب ٤٠٨/١ .

(٧) أي أنه جعل ما لا يجري في الكلام إلاَّ ظرفاً بمنزلة غير من الأسماء .

قال الشاعر : وهو رجل من الأنصار [1]. :

وَلاَ يَنْطِق الفَحْشَاءَ مَنْ كَانَ مِنْهُم   إِذَا جَلَسوا مِنَّا وَلاَ مِنْ سِوَائِنَا

وقال الأعشى[2]. :

تَجَانَفُ عَنْ جُوِّ اليَمَامَةِ نَاقَتِي   وَمَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَائكَا

واستدل الأخفش على أنها ظرف بوصلهم الاسم الناقص بها في نحو : أتاني الذي سواك[3]. ٠

وقال المبرد : ومما لا يكون إلاّ ظرفاً وقُبح أن يكون اسماً " سوى "[4]. ٠

وحجة البصريين أنهم استعملوا " سوى " في اختيار الكلام إلاّ ظرفاً نحو قولهم : مررت بالذي سواك ، فوقوعها هنا يدل على ظرفيتها ٠ ونحو قولهم : "مررت برجل سواك " أي مررت برجل مكانك ، أي يغني غناءك ، ويسد مسدك، وقول لبيد :

---

(١) البيت من الطويل وهو للمرارة بن سلامة العجلي ٠ استشهد به سيبويه على خروج سواء على الظرفية للضرورة الشعرية في موضعين ٣٢/١ : وقد نسبه لمرارة بن سلامة العجلي وفي ٤٠٨/١ : نسبة لرجل من الأنصار : والمقتضب ٣٥٠/٤ : الإنصاف ٢٩٤/١ والمخصص : ٥٨/٤ : الأشموني ١٥٨/٢ : العيني ١٢٦/٣ : الخزانة ٦٠/٢ ٠

(٢) البيت من الطويل للأعشى ، وهو في ديوانه ص١٣١ من قصيدة يمدح فيها هوذه بن علي الحنفي في اثنتين وثلاثين بيتاً ، الكتاب ٤٠٨/١ : شرح أبياته للسيرافي ١١٦/١ : المقتضب ٣٤٩/٤ : أمالي ابن الشجري ٣٥٩/١ ، ٢٥٠/٢ : الإنصاف ٢٩٥/٢ : التبيين ص٤٢٠ : شرح المفصل ٨٤/٢ : اللسان "سوى " الخزانة ٥٩/٢ ، ٦١ : ورواه بلفظ : وما عدلت ، وما عمدت ، بدل : وما قصدت ٠
وقبله: إلى هوذة الوهّاب أعملت مدحي   أرجى نوالاً فاضلاً من عطائكا

(٣) أمالي ابن الشجري ٣٧٢/٢ ٠

(٤) المقتضب ٣٤٩/٤ ٠

وَابْذُلْ سَوَامَ الْمَالِ إنَّ　　　سِوَاءَهَا دُهْماً وَجُونَا [١].

حيث نصب سواءها على الظرفية ، ونصب دهماً " بأن " ولو لم يستعمل سواء ظرفاً لنصبه على أنه اسم " إن " ورفع ما بعده[٢].

وأيَّد ابن الأنباري[٣].رأي البصريين ، واحتج لهم ، وكذا أيَّدهم صاحب ائتلاف النصرة[٤].

الرأي الثاني : ذهب الكوفيون : إلى أن " سوى " تكون اسماً بمنزلة " غير " وتكون ظرفاً على السواء ، بدليل أنهم يدخلون عليها حرف الخفض واستشهدوا على ذلك بالبيتين السابقين ، لمرارة[٥]. ، والأعشى[٦]. ، كما احتجوا بقول الشاعر:

أَكُرُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لاَ أُبَالِي　　　أَفِيها كَانَ حَتْفِي أَمْ سِوَاهَا [٧].

---

(١) البيت من مجزوء الكامل : وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ص٢١٥ ويروى : وابذل سنام القدرِ والإنصاف ٢٩٦/١ : وشرح المفصل ٨٣/٢ : والخزانة ٤٣٨/٣ ٠

(٢) وذلك لأن اسم " إن " لا يتأخر عن خبرها ، إلاَّ أن يكون الخبر ظرفاً نحو قوله : ﴿ إن لدينا أنكالاً وجحيما ﴾ المزمل (١٢) أو جاراً ومجروراً نحو قوله ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة ﴾ النحل (٦٦) ٠ ومن المؤمنون (٢١) ٠

(٣) الإنصاف : ٢٩٧/١ ٠

(٤) ائتلاف النصرة ص٤٠ ٠

(٥) تقدم ص ٢٣١ ٠

(٦) تقدم ص ٢٣١ ٠

(٧) البيت من الوافر ، وهو للعباس بن مرداس في خزانة الأدب ٤٣٨/٢ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٥٨ ، وبلا نسبة في الإنصاف ٢٩٦/١ ٠

فسواها في موضع خفض بالعطف على الضمير المخفوض في " فيها " والتقدير أم في سواها .

واحتجوا بقول النبي ﷺ : " ما أنتم في سواكم من الأمم إلاّ كالشعرة البيضاء في الثور الأسود "[١]. ، وقوله ﷺ : " وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم "[٢]. .

كما احتجوا بوقوعها مجرورة بالإضافة في قول الشاعر :

فَإِنَّنِي والَّذِي يَحُجُّ لَهُ الـ   ـنَّاسُ بِجَدْوَى سِوَاكَ لَمْ أَثِـقِ [٣].

واحتجوا بوقوعها مرفوعة بالابتداء بقول الشاعر :

وَإِذَا تُبَاعُ كَرِيْمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى   فَسِوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرِي[٤].

وبوقوعها فاعل في قول الشاعر :

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُـــدْوَا   نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُـــوا[٥].

---

(١) جزء من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : تفسير سورة الحج.

(٢) جزء من حديث سعد بن أبي وقاص ، أخرجه مسلم في كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

(٣) البيت من المنسرح ، وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ٢٣٥/١ .

(٤) البيت من الكامل ، وهو لابن المولى محمد بن عبدا لله ، في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٧٦١: الحيوان ٥٠٩/٦ : وبلا نسبة في الأغاني ١٤٥/١٠ : شرح ابن عقيل ٥٥٧/١ : الهمع ١٦١/٣ : شرح الأشموني ٢٣٥/١ : شواهد شروح الألفية للعيني ١٢٥/٣ .

(٥) تقدم ص ٢٣٠ .

وبوقوعها مفعولاً في قول الشاعر :

خَلاَ اللَّهِ لاَ أَرْجُو سِوَاكَ وإِنَّمَا   أَعُدُّ عِيَالي شُعْبَةً مِنْ عِيَالِكَا [١].

وبوقوعها معمولة لنواسخ الابتداء في قول الشاعر :

لَدَيْكَ كَفِيْلٌ بالمُنَى لِمُؤَمِّلٍ   وإِنَّ سِوَاكَ منْ يُؤمِّلُه يَشْقَى [٢].

واحتجوا من النثر بما يروى عن بعض العرب قولهم : " أتاني سواؤك " بالرفع ٠

الرأي الثالث : توسط الرماني[٣]. ، والفارسي[٤]. ، وابن الشجري[٥]. ، والعكبري[٦]. ، وابن هشام[٧]. بين المذهبين ، فذهبوا إلى أن " سوى " تستعمل ظرفاً منصوباً على الظرفية ، وتستعمل اسماً غير ظرفٍ إلاّ أن استعمالها ظرفاً أكثر من استعمالها غير ظرف ٠

وذهب ابن عصفور إلى أن " سُوى " بضم السين وكسرها و " سَواء " بفتحها والمد إذا جاءت للاستثناء تكون اسماً ؛ وذلك لأنها لا يمكن أن تكون فعلاً

---

(١) البيت من الطويل ، وهو للأعشى نسبه في الخزانة ٣١٤/٣ ولم أقع عليه في ديوانه ، واللسان (خلا) شرح ابن عقيل ٥٦٢/١ : التصريح ٥٨٢/٢ : وفي الهمع بلا نسبة ٢٦٠/٣ ، ٢٨٥ : الأشموني ٢٣٧/١ : شواهد شروح الألفية للعيني ١٣٧/٣ ٠

(٢) البيت من الطويل ، وهو بلا نسبة في شرح ابن عقيل ٥٥٩/١ : وشرح الأشموني ٢٣٦/١ : وشواهد شروح الألفية للعيني ١٣٥/٣ ٠

(٣) شرح كتاب سيبويه ٢٦٣/١ ، والارتشاف ٣٢٦/٤ ٠

(٤) الحجة في علل القراءات السبع : ١٨٧/١ ٠

(٥) أمالي ابن الشجري ٣٧٢/٢ ٠

(٦) إعراب اللامية ص٥٨ ٠

(٧) أوضح المسالك ٢٤٤/٢ ٠

لخفضها ما بعدها ، والأفعال لا تخفض ، فلا يمكن أن تكون إلا اسماً أو حرفاً ، فجعلت اسماً لدخول الخفض عليها [١]٠.

وفي غير الاستثناء نص ابن عصفور على ظرفيتها وأنها لا تستعمل اسماً إلاً في الضرورة[٢].نحو قول الشاعر :

تَجَانَفُ عَنْ جُوِّ اليَمَامةِ نَاقَتي وما قَصَدَتْ من أَهْلِهَا لِسَوائكَا[٣].

وعلى الرأي بالتوسط بين المذهبين أعرب العكبري " سوى " في البيت الأول من اللامية ، ونقل الرضي عن الأخفش[٤].القول بأن " سواء " قد تأتي مبنية على الفتح في نحو : جاءني سواءَك ، وفي الدار سواءك ، وكذا نقله أبو حيان[٥].عن عبدالدائم القيرواني[٦]. ، ونص أبو حيان على أن " سوى " في قوله تعالى : ﴿مَكَاناً سُوىً﴾[٧].وسواء في قوله تعالى : ﴿فَأطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[٨].اسمان لا ظرفان اتفاقاً[٩]٠.

وأرجح في هذه المسألة : قصر " سوى " على الاسمية ولا تخرج عن ذلك إلى الظرفية إلا في الضرورة والشواهد أكثر من أن تحصى شعراً ونثراً ٠

---

(١) مُثل المقرَّب لابن عصفور ص٢١٨ ، ص٢٣٣ ٠

(٢) انظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/٢٥٩ حيث قصرها على الظرفية ٠ وضرائر الشعر : ص٢٩٢.

(٣) تقدم ص ٢٣٤ ٠

(٤) شرح الرضى على الكافية ٢/١٣٣ ٠

(٥) الارتشاف ٢/٣٢٦ ٠

(٦) هو / عبدالدايم بن مرزوق القيرواني ، نحوي قديم أخذ عنه أبو جعفر السرقسطي ٠ قال عنه السيوطي: وأكثر أبو حيان في الارتشاف من النقل عنه : انظر بغية الوعاة ٢/٧٥ ولم أجد ما قاله السيوطي ٠ انظر فهارس الارتشاف ٣/٦٧٥ ٠

(٧) طه : (٥٨) ٠

(٨) الصافات : (٥٥) ٠

(٩) الارتشاف ٢/٣٢٦ ٠

٧ـ مسألة العامل فى الحال معنى التشبيه فى (كأن) *

جاءت هذه المسألة في إعراب البيت التاسع والثلاثين :

كأنَّ وَغَاهَا حَجرْ تَيهِ وَحَوْلَهُ أَضَامِيمُ مِنْ سَقْرِ القَبَائِلِ نُزَّلُ

وقال العكبري في إعرابه : " حجرتيه " منصوب على الظرفية والعامل فيه " وغاها " أي كأن وغاها كائناً في ذلك ، والعامل في الحال " كأن "(١) ٠

وقد أشار سيبويه إلى هذا المعنى وعقد باباً سماه : " باب ما ينتصب فيه الخبر(٢) بعد الأحرف الخمسة انتصابه إذا صار ما قبله مبنياً على الابتداء " ٠ ومثل على ذلك بـ " ليت هذا زيد قائماً " ، وكأن هذا بشر منطلقا(٣) ٠

وقال المبرد : إذا كان العامل في الحال فِعْلا ، أو دخله معنى تصلحُ عليه الحال فإنه ينصب ومن ذلك : " كأن زيداً قائماً أخوك " ؛ لأنه أشبهه في حال قيامه(٤) ٠

وقد اتفق البصريون(٥) على إعمال حروف ثلاثة في الحال وهي : ليت ،

---

* المقتضب : ٣٠٠/٤ ، كتاب الشعر : ٦٢/١ ، الخصائص : ٥٧/٢ ، أمالي ابن الشجري ٢٤٠/١ ، ٩/٣ ، ١٠ ، نتائج الفكر : ص٢٢٩ ، ٣٤٤ ، المقاصد الشافية للشاطبي : ٦١/٢ ٠

(١) إعراب اللامية : ١٠٨ ، ١٠٩ ٠

(٢) يسمى سيبويه الحال خبراً ، وهذا كثيراً ما نجده في الكتاب ، انظر الكتاب : ١٩٨/١ ، ٢٢١ ، ٢١٦ ، ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٧٨ ، وانظر فهارس الكتاب للشيخ عضيمة ص٢٠ ، ٢١ ٠

(٣) الكتاب : ١٤٧/١ ٠

(٤) المقتضب ٣٠٠/٤ ، ٣٠١ ، بتصرف ٠

(٥) انظر : حاشية التحقيق على كتاب المقتضب : ٣٠٠/٤ ، ٣٠١ ، الخصائص : ٢٥٧/٢ ، كتاب الشعر : ص ٦٢ ، أمالي ابن الشجري : ٢٣٩/١ ، شرح المفصل : ٥٦/٥ ، ٥٧ ٠

ولعل ، وكأن ، ومنعوا " إن " و " لكن " من عملهما في الحال وقد سبقت إشارة سيبويه[١].لذلك . ونص الزمخشري على أن " ليت ولعل وكأن " ينصبن الحال[٢]. .

وقال ابن الشجري : وقد أعملوا في الحال من حروف المعاني ثلاثة : كأن، وليت ولعل[٣]. ، وعلل ذلك بقوله : لأنهن أشبهن الأفعال من جهة اللفظ ، والمعنى ، فقوين بهذه المشابهة ، فمشابهتهن للفعل من جهة اللفظ بناؤهن على الفتح كبناء الأفعال الماضية عليه وأن عدة حروفهن كعدة حروف الفعل الماضي ثلاثة ... ومشابهتهن من جهة المعنى أن (ليت) بمعنى أتمنى ، و " لعل " بمعنى أترجى ، و (كأن) بمعنى أشبه[٤]. .

وعلل ابن جني منع " إن " و " لكن " من عملهما في الحال بقوله : وما لم يجتمع في ليت ، وكأن ، ولعل ، فإنه لا يجوز ما جاز فيهن[٥]. . ومنع ابن القيم عمل " إن " و " أخواتها " في الأحوال والظروف[٦]. ، وتابعه السيوطي وقال: " أن " وأخواتها لا تعمل في الأحوال شيئاً ولا الظروف[٧]. . وما رأيت من

---

(١) انظر ص ٢٣٦ .

(٢) المفصل : ص٧٩ .

(٣) أمالي ابن الشجري : ص٣/١٠ .

(٤) أمالي ابن الشجري : ٣/١٠ ، والمقتضب : ٣٠١/٤ . وانظر : المقاصد الشافية للشاطبي ٦١/٢ .

(٥) الخصائص ٢٧٥/٢ ، ٢٧٦ بتصرف .

(٦) بدائع الفوائد : ٦٦/٢ .

(٧) الأشباه والنظائر : ٢٤٦/٦ ، ٢٤٧ ، وانظر وجه الشبه بين الأحوال والظروف أمالي ابن الشجري : ١٦٨/١ ، ٢٤٩ ، ٤٠١ ، ٥/٣ ، وانظر التفرقة بينهما : المقتضب : ١٧١/٤ .

خالف هذا إلا السهيلي حيث قال : ولا نعلم حرفاً يعمل معناه في الحال والظرف إلا " كأن "[١].وتابعه أبو حيان[٢]. وقال في موضع آخر : واعلم أن معاني هذه الحروف ـ إن وأخواتها ـ لا تعمل في حال ولا ظرف ...[٣].

أما " كأن " فمفارقة لأخواتها من وجه ، وهي أنها تدل على التشبيه ، وهو معنى في نفس المتكلم واقع على الاسم الذي بعدها ، فكأنك تخبر عن الاسم أنه مشبه غيره ، فصار معنى التشبيه مسنداً إلى الاسم بعدها ، كما أن معاني الأفعال مسندة إلى الأسماء بعدها ، فمن ثم عملت في الحال والظروف ، وليس ذلك في أخواتها[٤].

وقد دلل العكبري في إعراب البيت على أن العامل في الحال "كأن" بقول النابغة:

كأنّه خارجاً من جَنْبِ صَفْحِتهِ سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوه عِنْدَ مُفْتَأَدِ [٥].

وهذا البيت هو من الشواهد المجمع عليها على أن العامل في الحال معنى التشبيه حيث ذهب أبو علي الفارسي[٦]، وابن جني[٧]، وابن الشجري [٨]،

---

(١) نتائج الفكر : ص٢٢٩ .

(٢) الارتشاف : ٣٥٢/٢ .

(٣) نتائج الفكر : ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٤) المرجع نفسه : ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٥) البيت من البسيط ، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص١٩ ، وهو في كتاب الشعر : ٦٢/١ ، ٢١٩ ، ٢٤٨ ، والخصائص : ٢٧٥/٢ ، وأمالي ابن الشجري : ٢٣٩/١ ، ونتائج الفكر : ٣٤٤ وبلا نسبه في الرصف : ص٢١١ ، ٢٩٥ ، والأشباه : ٢٤٦/٦ والخزانة : ١٠/٣ ، ١٨٥ .

(٦) كتاب الشعر : ٦٢/١ .

(٧) الخصائص : ٢٧٥/٢ .

(٨) أمالي ابن الشجري : ٢٣٩/١ .

والسهيلي[١]. ، والرضي[٢]. ، والمالقي[٣]. ، والسيوطي[٤]. ، والبغدادي[٥]. ، إلى أن "خارجاً" حال من الفاعل المعنوي وهو الهاء ، لأن المعنى يشبه خارجاً ٠

ومن شواهد هذه المسألة ما ذكره الشاطبي[٦]. :

كأنِّي وَقَدْ حَلَّفتُ بِتسْعِين حَجْةً   خَلَعْتُ بِهَا عِنْ مَنْكبي رِدائيا[٧].

وجملة " قد حلَّفتُ " حالية فالعامل فيها معنى كأن ٠

وكذلك ما أنشده الفارسي[٨]. :

بِتَيْهاءَ قَفْرٍ والمطِيُّ كَأنّها   قَطَا الحَزْنِ قَدْ كانَتْ فِرَاخاً بُيوُضها[٩].

واعلم أن العامل في الحال ضربان : فعل ، ومعنى فعل ، فالفعل مثل : أقبل ، وجاء ونحوهما ٠

أما العامل المعنوي فمثل ، حرف التمني ، والتشبيه ، والظرف والجار والمجرور ، واسم الإشارة [١٠]. ٠

وذهب السهيلي إلى أن اسم الإشارة لا يعمل ، وإنما العامل فعل محذوف تقديره ، انظر إليها[١١]. ٠

---

(١) نتائج الفكر : ٣٤٤ ٠

(٢) شرح الرضى على الكافية : ١٠/٢ ٠

(٣) الرصف : ٢١١ ، ٢٩٥ ٠

(٤) الأشباه : ٢٤٦/٦ ٠

(٥) الخزانة ١٠/٣ ، ١٨٥ ٠

(٦) انظر المقاصد الشافية : ٦١/٢ ٠

(٧) البيت من الطويل وهو لزهير في ديوانه : ص٢٨٦ والمقاصد الشافية ٦١/٢ ٠

(٨) انظر التكملة : ص١٥٨ ٠

(٩) البيت من الكامل : وهو لعمرو الباهلي ، كما في التكملة ص١٥٨ ، وشرح المفصل : ١٠٢/٧ ، وخزانة الأدب : ٢٠١/٩ ٠

(١٠) اللباب ٢٨٨/١ ، وحاشية التحقيق على شرح ابن عقيل ٥٨٩/١ ٠

(١١) نتائج الفكر : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ٠

٨ ـ مسألة مجيء الحال من المضاف إليه *

وردت هذه المسألة في إعراب البيت الثامن والستين :

وَيَرْكُدْنَ بالآصالِ حَوْلِي كأنَّني مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الكِيحَ أَعْقَلُ

أعرب العكبري البيت وقال : " كأنني " حال من الياء في " حولي "[١].

وقد عقد العكبري فصلاً حول هذه المسألة في شرح اللمع ، وقال : والحال من المضاف إليه ضعيف وقليل[٢].

وفي التبيان أعرب قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾[٣].

وقال : وحنيفا حال من المضاف إليه ضعيف في القياس قليل في الاستعمال[٤].

وَضَعُفَ مجيء الحال من المضاف إليه ؛ لأن العامل في الحال ينبغي أن يكون العامل في ذي الحال[٥].

---

* المتبع في شرح اللمع : ٣٤١/١ ، أمالي ابن الشجري : ٢٤/١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، نتائج الفكر : ص٣١٥ ، ٣١٦ ، شرح الرضي على الكافية : ٨/٢ ، الارتشاف : ٣٤٨/٢ ، شرح ابن عقيل : ٥٨٤/١ ، التصريح : ٦٤٠/٢ ، الهمع : ٢٣/٤ .

(١) إعراب اللامية : ص١٤٧ .

(٢) المتبع في شرح اللمع : ٣٤١/١ .

(٣) النساء : ١٢٥ .

(٤) التبيان : ١٦٥/١ .

(٥) انظر : أمالي ابن الشجري ١٨/١ ـ ١٩ .

وقد نسب أبو حيان جواز مجيء الحال من المضاف إليه مطلقاً إلى بعض البصريين ، وهذا يضعف ما نقله محمد محي الدين إذ لو صح نسبة ذلك لسيبويه ما نسبه أبو حيان لبعض البصريين[١] .

وأنكر السهيلي على من جوَّز مجيء الحال من المضاف إليه وقال : وهذا غلط ؛ لأن الحال في المضاف إليه لا يجوز على الإطلاق ؛ لأنها مفعول فيها فهي كالظرف ، والمفعول ، فلا بد لها من عامل يعمل فيها ولا يجوز أن يعمل فيها معنى بالإضافة لأنه أضعف من لام الإضافة ، ولام الإضافة لايعمل معناها في ظرف ، ولا حال ، فمعناها إذا لم يلفظ بها أضعف وأجدر ألا يعمل[٢] .

وذهب الأخفش[٣].وابن مالك وغيرهما إلى أنه يجوز أن يجيء الحال من المضاف إليه إذا كان المضاف مما يصح عمله في الحال : كاسم الفاعل ، والمصدر، ونحوهما ، وإذا كان المضاف جزءًا من المضاف إليه ، أو مثل جزئه في صحة الاستغناء بالمضاف إليه عنه[٤] .

---

(١) منحة الجليل : ٢٦٧/٢ بحثت في كتاب سيبويه فلم أجده له والأرجح أن هذا رأي لبعض البصريين كما نسبه أبو حيّان في الارتشاف ٣١٨/١ .

(٢) نتائج الفكر : ص٣١٥ ، ٣١٦ .

(٣) الهمع : ٢٤/٤ .

(٤) شرح التسهيل : ٣٤٢/٢ .

وزعم ابن مالك أن هذا محل اتفاق بلا خلاف[1].وتابعه ابنه[2].وأنكر أبو حيان ذلك ونقل فيه : الخلاف[3].

كما أنكره ابن عقيل ؛ وقال : وما ذهب إليه ابن مالك ليس بجيد[4].وقال الأشموني : وما ادَّعاه ابن مالك وابنه فيه نظر[5].؛ لأن مذهب الفارسي جواز مجيء الحال من المضاف إليه مطلقاً في غير الحالات الثلاثة المستثناة التي استثناها ابن مالك . وتبعه ابن الشجري[6].والبغدادي[7].

وأرجح ما ذهب إليه الأخفش وابن مالك إلى جواز مجيء الحال من المضاف إليه إذا كان المضاف مما يصح عمله في الحال . أما ما ذهب إليه الفارسي ومن تبعه في جواز مجيء الحال من المضاف إليه مطلقاً فلا صحة له ؛ لأن الحال من المضاف إليه لا يجوز مطلقاً ؛ لأنها مفعول فيها فهي كالظرف والمفعول ، فلابد من عامل يعمل فيها ، ولا يجوز أن يعمل فيها معنى بالإضافة لأنه أضعف من لام الإضافة ولام الإضافة لا يعمل معناها في ظرف ولا حال .

---

(١) شرح التسهيل : ٢٣٤٢ .

(٢) شرح الألفية : ص ٣٢٥ ونصه :

ولا تجز حالا من المضاف له ... إلا إذا اقتضى المضاف عمله

أو كان جزء ماله أُضيفا ... أو مثل جزئه فلا تحيفا

(٣) الارتشاف : ٣٤٨/٢ .

(٤) شرح ابن عقيل : ٥٨٦/١ .

(٥) شرح الأشموني على حاشية الصبان : ٢٦٧/٢ .

(٦) أمالي ابن الشجري : ٢٤٠/١ ، ٤٢١ ، ٢٥٦ .

(٧) الخزانة : ١٦١/٣ .

والسبب في هذا الخلاف أنهم اختلفوا في هل يجب أن يكون العامل في الحال هو العامل نفسه في صاحب الحال ، أم لا يجب ؟ فذهب سيبويه إلى أنه لا يجب أن يكون العامل في الحال هو العامل في صاحبها ، بل يجوز أن يكون العامل فيهما واحداً وأن يكون مختلفاً[1]. ، وذهب ابن مالك[2]. ، والرضي[3]. ، والسيوطي[4]. ، إلى أنه لابد أن يكون العامل في الحال هو العامل نفسه في صاحبها ، وهذا هو الصواب ،

ومن أمثلة هذه المسألة :

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾[5]. ، فـ" حنيفاً " حال من " إبراهيم " والملة كالجزء من المضاف إليه[6]. ،

وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً ﴾[7]. ، فـ"إخوانا" حال من الضمير المضاف إليه " صدور " ، والصدور جزء من المضاف إليه[8]. ،

وقوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُم لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[9]. ، قال الكسائي : خاضعين

---

(١) منحة الجليل : ٢٦٧/٢ ،
(٢) شرح التسهيل ٣٤٢/٢ ،
(٣) شرح الرضي على الكافية : ٣١/٢ ،
(٤) الهمع : ٢٤/٤ ،
(٥) النساء : ١٢٥ ،
(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢١٣/١ ، والتبيان في إعراب القرآن : ٦٥/١ ،
(٧) الحجر : ٤٧ ،
(٨) التبيان : ٧٥/٢ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٣٨٢/٢ ،
(٩) الشعراء : ٤ ،

حال للضمير المجرور لا للأعناق[١]٠

ومنه قول الشاعر :

كأنَّ حَوَامِيَهُ مُدْبِــــراً خُضِبْنَ وَإِنْ لَمْ كان يُخْضَبِ [٢].

فقد نصب " مدبراً " على الحال من الهاء [٣]٠

(١) التبيان : ٢/١٦٦ ٠

(٢) البيت من المتقارب ، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه : ص١٢٠ ، وانظر : نتائج الفكر ٣١٥ ، ٣١٦، وأمالي ابن الشجري : ١/٢٤ ، ٢٣٨ ، وشرح الرضي على الكافية : ٢/٩ ٠

(٣) انظر أمالي ابن الشجري : ١/٢٤ ، ٢٤٠ ، والخزانة : ٣/١٦١ ، ١٦٤ ٠ ولمعرفة الشواهد على مجيء الحال من المضاف إليه ، انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم : ٣/١٠٦ ٠

٩- مسألة كيف بين الحالية والظرفية *

وردت هذه المسألة في البيت الخامس عشر :

وَلا جُبَّاءِ أَلْهَى مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ يُطالِعُها في شأنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ

عرض العكبري في إعرابه لهذا البيت بقوله : وموضع (كيف) نصب بـ(يفعل) والأقوى أن تكون حالاً ، وقيل : هو ظرف(١).٠

واتفق إعراب العكبري لهذا البيت وتقويته أن يكون " كيف " حالاً مع ما وجدته في مؤلفاته ، ففي التبيان ترددت " كيف " ثمان عشرة مرة ، في أربع عشرة مرة ، اختار " كيف " حالاً(٢).، وأربع مرات جعل " كيف " تتردد بين الحال والظرف(٣).٠

وفي التبيين قطع باسمية " كيف "(٤).وكذا في كتاب " مسائل خلافية في النحو"(٥).وفي شرح اللمع(٦).٠ وعقد فصلاً في اللباب حول هذه المسألة خلص منه

---

* الكتاب : ٢٣٣/٤ ، المقتضب : ١٧٨/٣ ، اللمع : ١٣١/١ ، ١٣٢ ٠ التبين : ص١٢٩ ، اللباب : ٨٦/٢ ، شرح التسهيل : ١٠٤/٤ ، ١٠٥ ، المغني : ص٢١٠ ٠

(١) إعراب اللامية : ص٧٨ ٠

(٢) انظر البيان : ٢٧/١ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٣، ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ٠ وقد تم حصر ذلك بطريقة الحاسب الآلي عبر القرص المرن المحفوظ عليه الكتاب ٠

(٣) التبيان : ١٣٠/١ ، ١٤٣ ، ١٨٠ ، ٢٣٦ ٠

(٤) التبيين : ص١٢٩ ٠

(٥) مسائل خلافية في النحو : ص٥٥ ، وهو جزء من التبيين ٠

(٦) المتبع في شرح اللمع : ١٣١/١ ٠

إلى اسمية كيف[١]. ونقله اللورقي[٢]. بنصه في المحصل[٣].

وقد وقع اختلاف بين النحاة هل " كيف " اسم أو ظرف ؟

---

(١) اللباب : ٢/٨٦ .

(٢) وهو القاسم بن أحمد ، علم الدين اللُّورقي الأندلسي من أشهر تلاميذ أبي البقاء في النحو ، أكثر من مجالسته حتى صار يسمى : تلميذ أبي البقاء . توفي سنة ٦٦١هـ . انظر الإنباه : ٤/١٦١ . وهو شارح المفصل ، أو المحصل المنسوب لأبي البقاء ، وراوي كتابه " التبيين " . ويقع هذا الشرح مخطوطاً ضمن محفوظاتنا ومنسوباً لأبي البقاء .

(٣) المحصل في شرح المفصل المنسوب لأبي البقاء ، ١٥٧/ب . والمحصل هو شرح لكتاب " المفصل " للزمخشري الذي يمتاز بشروح كثيرة ذكرها حاجي خليفة في " كشف الظنون " ٢/١٧٧٤ ـــ ١٧٧٥ ، ومن شروحه ثلاثة كتب باسم " المحصل " (الأول) : " المحصل شرح المفصل " لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ، وهو الذي ذكره الزركشي ، (البرهان ٤/٣٠١) ويوجد منه نسخة خطية في القاهرة ٢/١٥٧ برقم ٢٩٢ نحو ، ومنه صورة ميكروفيليمية بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٤٤ نحو الجزء الثاني فقط ، (والثاني) : " المحصل لكشف أسرار المفصل " للمؤيد يعقوب بن حمزة ت(٧١٢هـ) مخطوط في برلين برقم (٦٥٢١) ، وفي الفاتيكان (١٠٢١ف) ، (بروكلمان الذيل ١/٥١٠) (والثالث) : " والمحصل في شرح المفصل " لأبي محمد علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسي ت(٦٦١هـ) حققه عبدالباقي عبدالسلام الخزرجي كرسالة دكتوراه بجامعة الأزهر بالقاهرة (أخبار التراث العربي ٦/٢١) ، لكن محقق كتاب " التبيين عن مذاهب النحويين ... " نفى صحة نسبة "المحصل" لأبي البقاء لأنه تتبع المخطوطة المتوفرة لديه من الكتاب وهي نسخة دار الكتب المصرية برقم (٢٩٢) وخلص إلى القول : إن الكتاب من تأليف علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسي المتوفى سنة ٦١٦هـ ، دون أدنى شك وإن نسبته إلى أبي البقاء العكبري خطأ محض ينبغي تغييره في فهرس دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات العربية) انظر : (مقدمة التبيين عن مذاهب النحويين... ص٥٢ـ٦١) ، إلا أن هذا لا ينفي وجود شرح لكتاب " المفصل " من تأليف العكبري حيث توافرت على ذكره المصادر المترجمة للعكبري ، وإن تباينت في تسميته . انظر البرهان : ٤/٣٠١ .

فذهب سيبويه[1]، والمبرد[2].وأكثر النحاة[3].إلى أن " كيف " ظرف محله النصب دائماً ٠

وعلل ابن الشجري سبب جعلهم " كيف " ظرفاً بقوله : وإنما هدوا[4]."كيف " في الظروف ، للاستفهام بها عن الحال ، والحال تشبه الظرف[5].؛ لأنها عبارة عن الهيئة التي يقع فيها الفعل ، ولذلك تقول : كيف زيد جالساً ؟ أي على أي هيئة جلوسه٠

وقد اضطرب النحاة في شرح رأي سيبويه إلى أن تناوله الخضري فأزال عنه الغموض والخفاء ، وكشف بشرحه السبب في استحسان ابن هشام[6].وتأييده لرأي سيبويه حين قال ابن هشام : وهو حسن[7].٠

وملخص قول الخضري : أن معنى " كيف " الاستفهامية عند سيبويه شيء واحد هو السؤال عن الحال ، والهيئة الطارئة على الأمر المسؤول عنه ، وأن من

---

(١) الكتاب : ٢٣٣/٤ ٠

(٢) المقتضب : ٣١٧٨ ٠

(٣) المفصل : ص٢١١ ٠

(٤) إشارة إلى مذهب البصريين ، انظر شرح الرضي على الكافية : ٢٠٥/٣ ٠

(٥) ووجه الشبه بين الحال والظرف أن الحال كانت مفعولاً فيها كما أن الظرف مفعول فيه ، فمن حيث وقعت الظروف في الأمر وغيره بدلاً من الفعل ، في قولهم : إليك ووراءك وعليك زيداً ودونك عمراً ٠ كذلك وقعت الحال بدلاً من الفعل ، أي أن إليك ووراءك وقعا موقعا تنح وارجع .. انظر أمالي ابن الشجري : ١٦٨/١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ٠

(٦) المغني : ص٢١٠ ٠

(٧) أي جعل سيبويه كيف ظرفاً ٠

يقول : كيف محمد ؟ يريد في أي حـال محمد ؟ وهذا معناه اللفظي الدقيق ، بحيث تستطيع أن تحذف لفظها وتضع مكانه هذا الذي بمعناه ، فلا يتأثر المراد. وهذا معنى قول سيبويه إنها : ظرف مبني على الفتح ، لأن كلمة : "ظرف" يراد منها أحياناً الجارة مع مجرورة وهو يريد الظرفية المجازية[١]. وقد تنبه ابن مالك لرأي سيبويه ، وقال ما معناه : لم يقل أحدٌ إن " كيف " ظرف ، إذ ليست زماناً ولا مكاناً ، ولكنها لما كانت تفسر بقولك : على أي حال لكونها سؤالاً عن الأحوال العامة سميت ظرفاً ؛ لأنها في تأويل الجار والمجرور . كما أن الظرف في تأويل والمجرور[٢]. قال الرضي : والجار والظرف متقاربان[٣]. قال ابن هشام بعد هذا : واسم الظرف يطلق عليهما مجازاً[٤].

وذهب الأخفش ، والسيرافي[٥].وابن جني[٦]، وابن فارس[٧]، والزمخشري[٨].إلى أنها اسم غير ظرف قال ابن يعيش : وهذا هو الصحيح[٩].

(١) حاشية الخضري : ٢٢٩/١ .

(٢) شرح التسهيل : ١٠٥/٤ .

(٣) شرح الرضي على الكافية : ٢٠٥/٢ .

(٤) المغني : ص٢١٠ .

(٥) المرجع نفسه : ص٢١٠ .

(٦) اللمع : ١٣١/١ .

(٧) الصاحبي : ص٢٤٣ .

(٨) أعجب العجب : ص٩٧ .

(٩) شرح المفصل : ١٠٩/٤ .

ولم أجد من تناول اسمية " كيف " وأفردها بمسألة فيها شيء من التفصيل مثل العكبري حيث عقد مسألة مستقلة عن " كيف " في " التبيين "[١]. ، ومسائل خلافية في النحو[٢].واللباب[٣].وشرحها في المتبع[٤].، وفيما يأتي ملخص ما ذكره:

ذهب العكبري مذهب أغلب النحاة حيث حكم على اسمية " كيف " بلا خلاف[٥]. ٠ والدليل على كونها اسماً من خمسة أشياء :

أحدها : أنها داخلة تحت حد الاسم ٠ وذلك أنها تدل على معنى في نفسها ولا تدل على زمان ذلك المعنى ٠

والثاني : أنها تجاب بالاسم والجواب على وفق السؤال وذلك قولهم : كيف زيد؟ فيقال : صحيح ٠ أو مريض وذلك أنها سؤال عن الحالِ ، فجوابها ما يكون حالاً ٠

والثالث : أنك تبدل منها الاسم فتقول : كيف زيد ؟ أصحيح أم مريض ٠

والرابع : أن من العرب من يدخل عليها حرف الجر ، فقالوا : على كيف تبيع

---

(١) التبيين : ص١٢٩ ٠

(٢) مسائل خلافية في النحو : ص٥٥ ٠

(٣) اللباب : ٢٨٦ ٠

(٤) المتبع في شرح اللمع : ١٣١/١ ٠

(٥) شرح محقق التبيين مراد العكبري بقوله : لعل العكبري اطلع على ما قاله الأزهري : وكيف حرف أداة ونصب الفاء فراراً من التقاء الساكنين ومعنى هذا أن الخلاف في اسمية " كيف : وارد ٠ انظر : حاشية التحقيق على : التبيين : ص١٢٩ ٠

الأحمرين[١]. ٠ وقال[٢].بعضهم : انظر إلى كيف تصنع ٠

وقد استدل العكبري بهذا سماعاً عن العرب[٣]. ، وأنكر ابن الأنباري أن يستدل على اسمية " كيف " بدخول حرف الجر عليها ، وما جاء على ذلك فهو شاذٌ في الاستعمال[٤]. ٠ قال العكبري : ولكنه يدل على الاسمية[٥]. ٠

والخامس : أن دليل السبر والتقسيم[٦].أوجب كونها اسماً ، وذلك أن يقال : لا تخلو " كيف " من أن تكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، فكونها حرفاً باطل ؛ لأنها تغير مع الاسم الواحد فائدة تامة كقولك : " كيف زيد " والحرف لا تنعقد به بالاسم جملة مفيدة " يا " وكونها فعلاً باطل أيضاً لوجهين :

أحدهما : أنها لا تدل على حدث وزمان ولا على الزمان وحده ٠

والثاني : أن الفعل يليها بلا فصل كقولك : كيف صنعت ، ولا يكون ذلك في الأفعال[٧] ، وقد اعتمد أكثر النحاة رأي العكبري فنقله ابن يعيش [٨] ، وابن مالك[٩]. ٠

---

(١) الأحمران : الخمر واللحم ، وقال الأصمعي : يقال أهلك النساء الأحمران الزعفران والذهب ٠ انظر : المزهر : ٧٣/٢ ، وحاشية التحقيق على اللباب : ٨٦/٢ ٠

(٢) وهو قطرب أبو علي محمد بن المستنير توفي سنة ٢٠٦هـ ٠

(٣) وهي لغة حكاها قطرب عن العرب ، انظر اللباب : ٨٦/٢ ٠

(٤) أسرار العربية : ص١٤ ٠

(٥) التبيين : ص١٣١ ٠

(٦) السبر والتقسيم من مصطلاحات العلة في أصول الفقه ، قال الجرجانى في التعريفات ص١٠٣ وهو حصر الأوصاف في الأصل وإلغاء بعض يتعين الباقى للعلية ٠ وانظر : لمع الأدلة لابن الأنباري ص١٢٧ ، والاقتراح ص٩٧ ٠

(٧) التبيين : ص١٣١ ، والوجهان الرابع والخامس من أسرار العربية : ص١٦ وهما في اللمع : ١٣١/١.

(٨) شرح المفصل : ١٠٩/٤ ٠

(٩) شرح التسهيل : ١٠٤/٤ ، ١٠٥ ٠

وترتب على الخلاف في " كيف " بين الحالية والظرفية أمور:

الأول : أن موضعها عند سيبويه نصب دائماً ، وعند الأخفش ، والسيرافي أنها في موضع رفع مع المبتدأ ونصب مع غيره ٠

الثاني : أن تقديرها عند سيبويه ، في أي حال ، أو على أي حال ، وعندهما تقدير : " كيف زيد " أصحيح زيد ٠

الثالث : أن الجواب المطابق عند سيبويه أن يقال : " على خير " ، ولهذا قال رؤبة وقد قيل له : كيف أصبحت ؟ " خير عافاك ا لله " أي : على خير ، فحذف الجار وأبقى عمله[١]. ٠

وقد أخذ محقق التبيين على العكبري تركه مسألة اسمية " كيف " دون تقييد حيث لم يوضح هل " كيف " اسم صريح غير ظرف ، أو جارية مجرى الظروف[٢]. ٠

والذي يظهر أن أغلب المؤلفات التي تناولت " كيف " أبهمت الأمر فلم تحدد صراحة كونها " كيف " اسماً صريحاً أو أنها جارية مجرى الظروف[٣]. ٠

---

(١) المغني : ص٢١٠ ٠

(٢) حاشية التحقيق على التبيين : ص١٢٩ ٠

(٣) انظر مراجع مسألة " كيف " من هذا البحث ٠

١٠ـ الباء بمعنى " في " وللاستعلاء بمعنى " على " *

قال الشنفرى :

ولا جُبَاءِ أَلْهَى مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ يُطَالِعُها في شأنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ

أعرب العكبري هذا البيت ـ الخامس عشر ـ حتى إذا وصل إلى " بعرسه " قال : والباء في " بعرسه " بمعنى " في " والمعنى أي مقيم في بيت عرسه(١).

قال ابن عصفور : واستعمال حروف الخفض موضع بعض نوع من أنواع البدل المعروفة والمنحصرة في إبدال حركة من حركة ، وحرف من حرف ، وكلمة من كلمة ، وحكم من حكم(٢).

وقد أفرد ابن جني لذلك باباً وسماه : باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض(٣). ، وكذلك فعل ابن قتيبة وسمى الباب : " دخول بعض الصفات مكان بعض "(٤). وفي المخصص أيضاً مثل هذا(٥).

وقد ذكر النحاة للباء أربعة عشر معنى على تفاوت بينهم في الاقلال والإكثار(٦). ، ومن تلك المعاني : " الظرفية " ، قال المبرد : فلان في الموضع

---

* المقتضب : ٣٣٠/٢ ، معاني الحروف : ص٣٦ ، جواهر الأدب : ص٤٣ ، شرح التسهيل : ١٤٩/٣، مغني اللبيب : ص١١٠ ، التصريح : ٤٨/٣ ، الأشموني : ٣٢٦/٢ .

(١) إعراب اللامية : ص٧٧ .

(٢) ضرائر الشعر : ص٢١٦ .

(٣) الخصائص : ٣٠٦/٢ ـ ٣١٥ .

(٤) أدب الكاتب : ١٧٩ ـ ١٨٣ .

(٥) المخصص : ٦٤/١٤ ـ ٧٠ .

(٦) سيأتي بيانه في مسألة زيادة الباء .

وبالموضع ، فيدخل "الباء" على " في "[١]. وقال الرماني : وتكون " الباء " للظرفية ؛ كقولك : أقمت بمكة ، وكنت بالبصرة[٢]. وحدد ابن مالك " الباء " بقوله : وهي التي يحسن في موضعها " في "[٣]. والظرفية مكانية ، وزمانية ، فالمكانية نحو قوله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ﴾[٤].والزمانية كقوله : ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٥]. ، وكذا قاله : أبو حيان[٦].والأزهري[٧]. ، وتبعهما الأربلي[٨]. .

قال ابن عصفور : واستعمال حروف الخفض موضع بعض نوع من أنواع البدل المعروفة والمنحصرة في إبدال حركة من حركة ، وحرف من حرف ، وكلمة من كلمة وحكم من حكم[٩]. .

وقد أفرد ابن جني لذلك باباً وسماه : باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض[١٠]. ، وكذلك فعل ابن قتيبة وسمي الباب : " دخول بعض الصفات مكان بعض[١١]. . وفي المخصص أيضاً مثل هذا[١٢]. .

ومن أوضح أمثلتها في النكرة[١٣].قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ا للهُ بِبَدْرٍ

(١) المقتضب : ٣٣٠/٢ .
(٢) معاني الحروف للروماني : ص٣٦ .
(٣) شرح التسهيل : ١٥١/٣ .
(٤) القصص : ٤٤ .
(٥) الذاريات : ١٨ ، انظر التبيان : ٢٤٤/٢ ، البرهان : ٢٢٦/٤ .
(٦) الارتشاف : ٤٢٦/٢ .
(٧) التصريح : ٤٨/١ .
(٨) جواهر الأدب : ص٤٦ .
(٩) ضرائر الشعر : ص٢١٦ .
(١٠) الخصائص : ٣٠٦/٢-٣١٥ .
(١١) أدب الكاتب : ١٧٩ - ١٨٣ .
(١٢) المخصص : ٦٤/١٤-٧٠ .
(١٣) حاشية الصبان على الأشموني : ٣٢٩/٢ ، مغني اللبيب:ص١١٢، التبيان : ١٤٨/١ ، البرهان: ٢٢٦/٤ .

وَأَنْتُم أَذِلَّةٌ ﴾[١]. وفي المعرفة قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيهِم مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ﴾[٢].

قال أبو الفتح : وتوهم بعضهم أنها لا تقع إلا مع المعرفة نحو : كنا بالبصرة ، وأقمنا بالمدينة[٣]. وهو محجوج بقول الشماخ :

وَهُنَّ وقُوفٌ يَنْتَظِرنَ قَضاءَهُ بِضَاحِي عداةٍ أمرَه وَهوَ ضامِزُ[٤].

وقد استشهد البغدادي في الخزانة ، بهذا البيت ـ المعرَّب ـ على مجيء "الباء" بمعنى " في " وقال : الباء في " بعرسه " بمعنى " في " أي مقيم في بيت عرسه[٥].

والعكبري يحاول ردَّ معاني الحروف الفرعية ، إلى المعاني الأصلية فهو لا يذكر الظرفية ، والاستعلاء ، والتبعيض ، والقسم ، والمصاحبة ، والاستعانة ، والتعدية ، ومعنى " " إلى " ومعنى " عن " لأنه يجعلها من معاني " الباء " الفرعية[٦].

---

(١) آل عمران : ١٢٣ .

(٢) الصافات : ١٣٧ ـ ١٣٨ ، انظر إعراب القرآن للنّحاس : ٤٣٨/٤ ، البرهان : ٢٢٦/٤ ، ٢٢٧ .

(٣) ذكره الزركشي في البرهان : ٢٢٦/٤ ونسبه في " التنبيه " ، ولعدم عثوري عليه بحثت في الخصائص، وسر صناعة الإعراب ، واللمع ، والمبهج ، والمحتسب والمنصف فلم أجده .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للشماخ في ديوانه ص ١٧٧ ، وفي المقتضب : ١٥/١ وجمهرة اللغة ص١٣٢١، ولسان العرب : ٣٦٥/٥ ، وبلا نسبة في مغني اللبيب : ٥٧٠ .

(٥) الخزانة : ١٤٨/١٤ .

(٦) انظر حاشية التحقيق على كتاب اللباب في علل البناء والإعراب : ٣٦١/١ .

وزعم الكوفيون أن " في " تأتي بمعنى " الباء "[١].وتبعهم القتبي[٢].وابن مالك[٣]. ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ ا لله سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٤]. ، وقول النبي ﷺ : " من قُتل في سبيل ا لله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد "[٥]. ٠

وقول الشاعر :

وَيَركَبُ يَومَ الرَّوْعِ مِنَّا فَوارِسُ بَصِيرُونَ في طَعنِ الأَباهِرِ والكُلَى[٦].

وجوَّز العكبري الباء - في إعرابه للبيت الخامس عشر – أن تكون بمعنى "على" والمعنى : أي مقيم على عرسه[٧]. ٠

---

(١) الارتشاف : ٤٤٦/٢ ٠

(٢) وهو ابن قتيبة ، عبدا لله بن مسلم المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، انظر : أدب الكتاب ص٣٣٥ ، وانظر : البرهان : ٣٦١/٣ ، والتصريح : ٤٣/٣ ٠

(٣) شرح التسهيل : ١٥٧/٣ ٠

(٤) الأنفال ٦٨ ٠

(٥) أخرجه مسلم في : ٣٣ - كتاب الإمارة ، حديث : ١٦٥ ٠

(٦) البيت من الطويل ، وهو لزيد الخير ، وكان يعرف في الجاهلية بزيد الخيل ، فلم أسلم سمّاه النبيﷺ زيد الخير ٠ والبيت في ديوانه ص٢٧ ؛ والمخصص : ٦٦/١٤ ، وأمالي ابن الشجري : ٢٦/٢ : ٢٦٨ ، والخزانة : ١٤٨/٤ ، وهو لكعب بن زهير في ديوانه ص١٣٤ ، وبلا نسبة في شرح الرضي على الكافية : ٢٧٩/٢ ، والجنى الداني : ٢٥١ ، والهمع : ٣٠/٢ والأشموني : ٢١٩/٢ ، والرواية في الديوان : يردون طعناً في الأباهر والكلى ٠ وفي الكتاب : ٥٦/١ ، والخصائص ٣١٣/٢ ، وقد عقد الألوسي فصلاً على هذا البيت وبين فيه أن استعمال الحرف مكان الحرف يكون ضرورة ٠ انظر الضرائر : ص١٥٣ وقد نقله من كتاب ضرورة الشعر لابن عصفور ص٢٣٧ ٠

(٧) إعراب اللامية : ٧٧ ، وانظر : شرح التسهيل : ١٥٢/٣ ، ومغني اللبيب ، ص١١٣ ، والتصريح : ٤٥/٣ ٠

ومثله قوله في إعراب البيت السابع والعشرين :

غَدَاً طاوياً يعارِضُ الرِّيحَ هافياً   يَخُوتُ بأذْنَابِ الشِّعابِ ويَعْسِلُ[١].

(١) البيت من الطويل ، وهو للشنفرى ، من أبيـات اللاميـة ٠ وقـد جـاء في " المعجـم المفصـل في شـواهد النحو الشعرية " انظره ٦٩٢/٢ على أن الشاهد فيه مجيء " غدا " فعلاً تاماً مكتفياً بفاعله والمنصـوب بعده حال ٠ وقال الزمخشري وأبو البقاء: أنه فعل ماض ناقص والمنصوب خبره ٠ فتكون من أخـوات كان٠
ولم أعثر في " شرح الزمخشري وأبى البقاء " على هذا الرأي الذي ذكره صاحب المعجم المفصل ونسـبه إليهما ٠ والذي قاله " الزمخشري " (انظر بلوغ الأرب في شرح لاميـة العـرب ص١٣٢) وهـو أن " غدا " يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال والعـامل " تهـاداه " (انظـر إعـراب اللاميـة :٩٣) والضمير فيه هو صاحب الحال وقد مراده أي قد غدا ٠٠ ويجوز أن يكون " غدا " صفـة لأزل الـواردة في قوله قبل هذا البيت : واغدو على القوت الزهيد كما غدا   أزل تهاداه التنائف أطحل
الأزل : الخفيف الوركين والسمع وهذه صفة لمن يتولد بين الضبع والذئب ـ التنائف : جمع تنوفـة : وهى المفازة ومعنى تهاداه أنه كلما خـرج مـن تنوفـه دخـل إلى أخـرى ـ أطحـل : لونـه بـين الغـبرة والبياض ـ انظر بلوغ الأرب في شرح لامية العرب ص١٣٩ ٠
أي أزل غاد ويجوز أن يكون مستأنفاً لا موضع له في الإعراب ٠ و "طاويا" حال من الضمير في " غدا" أي دخل في الغداة طاوياً ٠
أما " العكبري " فقد وافق الزمخشري في رأيه ولم يشر إلى أن " غدا " يجوز أن تكون ناقصة و"طاويا" خبرها وإنما الذي ذكر هو " عطاء ا لله " حيث قال : " طاويا " خبر أن جعلتها ناقصة أو حـالاً مـن الضمير في " غدا " أن جعلتها تامة ٠ وأرى أن صاحب المعجم المفصّل في شواهد النحو الشعرية نسـب رأياً إلى من لم يقله وغفل عمن قاله ٠
وذكر " البغدادي " هذا البيت ونسبه إلى " الشنفرى " وقال فيه : " قوله غدا طاويا يحتمل أن يكـون بمعنى ذهب غدوه ويحتمل أن يكون بمعنى دخل في الغدوة ويحتمل أن يكون بمعنى ذهـب أي وقـت كان مجازاً من باب استعمال المقيد في المطلق فغدا على هذه الوجوه تكون تامة وطاويا يكون حـالاً مـن ضمير غدا الراجع إلى أزل ٠ ويحتمل أن يكون بمعنى يكون في الغدوة فيكون غدا من الأفعال الناقصـة وطاويا يكون خبرها وغدا مع فاعلها المستتر استئنافية منقطعة عما قبلهـا ٠ ويجـوز أن تكـون الجملـة صفة أخرى لأزل أو حالا منه بتقدير قد " ٠
وأرى أن البغداي ذكر عدة معان لقوله " غدا " وحكم على كونها تامة أو ناقصة من خلال هذه المعانى ولهذا كان رأيه أوضح من غيره لأن العرب كثيراً ما يذكرون الكلمة ويقصدون معناهـا وهـذا يـدل علـى عمق اللغة العربية واتساع ثروتها اللغوية ٠

" بأذناب " الباء بمعنى (في)[١].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ﴾[٢].. أي على قنطار[٣]. ومنه قول الشاعر :

أَرَبٌ يبُولُ الثُّعْلُبَانُ برأسِهِ لَقَدْ هَانَ مَنْ بالَتْ عَلَيهِ الثَّعالِبُ[٤].

وقد أخرَّ العكبري تجويز " الباء " بمعنى " على " ؛ لأنه يرى أن الاستعلاء من معاني الباء الفرعية لذا فهو لا يذكره ضمن معاني الباء الأصلية[٥].

(١) إعراب اللامية : ص٩٥ .

(٢) آل عمران : ٧٥ .

(٣) التبيان : ١٤٠/١ .

(٤) البيت من الطويل ، وهو للعباس بن مرداس في ملحق ديوانه : ص١٥١ ، وللعباس أو لغاوي بن ظالم السُّلمي ، أو لأبي ذر الغفاري في لسان العرب : ٢٣٧/١ (ثعلب) وفي أدب الكاتب بلا نسبة ، ٨١، ١٩٨ . وفي جمهرة اللغة : ١١٨١ ، الجنى الداني : ٤٣ ، ومغني اللبيب : ١١٤ .

(٥) انظر : حاشية التحقيق على كتاب اللباب : ٣٦١/١ .